

الدكتور

عبد العزيز عبد المطلب السيد

أثر

الحضارة الإسلامية

على

الشرق والغرب

جوستاف لوبون نموذجاً

للنشر والتوزيع



دار العلم و الإيمان

مكتبة المهتدين الإسلامية

# أثر الحضارة الإسلامية

## على الشرق والغرب

جوستان لوبون نموذجًا

الدكتور

عبد العزيز عبد المطلب السيد



٠٧١,٩٦٢

السيد ، عبد العزيز عبد المطلب .

ع . ١

أثر الحضارة الإسلامية على المشرق والمغرب / د. عبد العزيز

عبد المطلب السيد . - ط ١ . - دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

مكتبة

٢٢٤ ص ؛ ١٧,٥ × ٢٤,٥ سم .

تدمك : 2 - 417 - 308 - 977 - 978

١ . تاريخ . ١ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٥١٦٠ - ٢٠١٤ .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات - ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm\_aleman@yahoo.com

elelm\_aleman@hotmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحذير:

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل

من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

2014



## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٧	• المقدمة .....
٣١	- الفصل الأول : الملاحظات الإيجابية فى العقيدة والشرعة.....
٣٤	• المبحث الأول : الملاحظات الإيجابية فى العقيدة .....
٤٤	• المبحث الثانى : الملاحظات الإيجابية فى الشرعة .....
٦٩	• المبحث الثالث : شمولية الإسلام .....
٧٥	- الفصل الثانى : أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب.....
٧٨	• المبحث الأول : معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا والعالم..
٩٥	• المبحث الثانى : أثر الحضارة الإسلامية على الغرب فى الفلسفة ..
١٠١	• المبحث الثالث : أثر الحضارة الإسلامية فى الأدب على الشرق والغرب .....
١٠٦	• المبحث الرابع : أثر الحضارة الإسلامية على الغرب والشرق فى الكتابة التاريخية .....



## تابع فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١١٠	• المبحث الخامس: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب والشرق في الرياضيات.....
١١٤	• المبحث السادس: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الفلك.....
١١٧	• المبحث السابع: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في العلوم الجغرافية.....
١٢٣	• المبحث الثامن: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الفيزياء والميكانيكا.....
١٢٦	• المبحث التاسع: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الكيمياء.....
١٢٩	• المبحث العاشر: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في العلوم الطبية.....
١٣٣	• المبحث الحادى عشر: أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الفنون والعمارة.....
١٤١	- الفصل الثالث: وضع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.....
١٤٤	• المبحث الأول: سماحة المسلمين مع أهل البلاد المفتوحة.....
١٥٢	• المبحث الثانى: حقوق أهل الذمة.....

## تابع فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٨	• البحث الثالث : واجبات أهل الذمة.....
١٦٥	• البحث الرابع : مقارنة بين تسامح المسلمين وتعصب الغرب ...
١٧٧	- الفصل الرابع : النظام الاجتماعى فى الإسلام .....
١٨٠	• البحث الأول : المرأة فى الإسلام .....
١٨٣	• البحث الثانى : معاملة النساء عند الفرنجة .....
١٩٢	• البحث الثالث : المذاهب والفرق الإسلامية .....
١٩٦	• البحث الرابع : الدين والأخلاق فى الإسلام .....
٢٠١	• الخاتمة .....
٢٠٥	• المراجع .....





## مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون والقائل : ﴿...وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٧] والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم معلم الناس الخير المبعوث رحمة للعالمين .  
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة من برئ من التقليد وشرب من كؤوس التوحيد سلسبيلًا .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي انشق له القمر وكلمه الحجر فأفحم أهل الكفر والزور والإبتداع صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الغر الميامين صلاة تدوم بدوام ملك الله.

أما بعد ،

فقد كان لانتشار الإسلام وصدق كتابه وعظمت منهجه ما لفت أنظار المشتغلين بالعلوم النظرية في العالمين العربي والغربي ، فانبرى كل منهم يكتب عنه ، ويؤلف حوله إما مثنيا عليه مطريا على شمائله ، وإما مغرضًا يكتب عما يكره وما وصل إليه تفكيره ، ومن عجيب الأمر هذا الكم الهائل من الكتب المؤلفة عن الإسلام ونبيه والمقالات التي دبجها أصحابها إما مدحًا أو قدحًا فمنهم من إقترب من الإسلام وفهم ما يدعوا إليه وشرح الله صدره له ، ومنهم من وقف محايدًا ومع ذلك لم يستطع التخلي عن الفهم الخاطيء في معالجة بعض أموره وقضاياها .

فكان جوستاف لوبون ممن ينطبق عليهم الوصف الأخير ( الحيدة والتحامل ) فكان لابد من تحقيق ما كتب ، حتى يكون هناك من ينافح عن الإسلام ونبيه صلى الله





عليه وسلم وقد وقع إختياري على كتاب ( حضارة العرب ) الذي ألفه ( لوبون ) والذي وفقني الله لفهمه والمتابعة عنه إما مؤيداً لما ذهب إليه وإما معارضاً لما كتب ورده على صاحبه متوخياً السلوب المنهجي الذي لا يتعدى حدود البحث العلمي والنفع القائم على الصراحة والوضوح .

## التعريف بالمصطلحات :

**أولاً الحضارة :** مفهوم الحضارة في اللغة ، وردت في مختار الصحاح <sup>(١)</sup> من الفعل " حضر " " حضرة " الرجل قرينه وفناؤه وكلمه بحضرة فلان " بحضرة " فلان بمشهد منه و ( تحضر ) فلان البدو و ( المحضر ) المسجل و " الحاضر " هذا الباب والحاضرة ضد البادية وهي المدن والقرى والريف والبادية ضدها يقال له فلان من أهل الحاضرة و فلان من أهل البادية و فلان حضري ، و فلان بدوي ، و فلان حاضر بموضوع كذا أي مقيم به " الحضارة " بالكسر الإقامة في المحضر والحضور ضد الغيبة " حضر " بالكسر لغة غنة يقال حضر القاضي قال وك؟ أنهم يقولون يحضر بالفم . قلت وفي الديوان جعل هذه اللغة من باب فعل يفعل ويقال اللبن محتضر ومحضر فنط إناءك أي كثير لآفة وأن الجن تحضره والكنف محضره وقوله تعالى : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ <sup>(٢)</sup> أي تصيبني الشياطين بسوء في القاموس المحيط <sup>(٣)</sup> في مادة " حَضَرَ " وحضر ضد غاب " والحضرة بالكسرة إذا حضر بخير " ، الحضر والحضرة والحاضر والحضارة خلاف البادية " الحضارة " الإقامة في الحضر . وفي مادة " حَضَرَ " في المعجم الوجيز <sup>(٤)</sup> حضر الغائب حضوراً قدم والصلاة حل وقتها وعن فلان قام مقامه في الحضور . و " حاضر " القوم جالسهم وحادثهم بما يحضره ومنه فلان حسن المحاضرة وألقي عليهم محاضرة ( حَضَرَ ) الشئ أعده يقال حضر الدواء وحضر الدرس وحضر الأدوات اللازمة للتجارب ( أحتضر )

١- الرازي مختار الصحاح ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

٢- سورة المؤمنون آيه ٩٨ .

٣- القاموس المحيط ج ٢ ، ص ٦١ .

٤- إبراهيم مذكور ، المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٩٤ ، مادة " حضر " .

حضره الموت . تحضر تخلق بأخلاق أهل الحضرو عاداتهم . ( استحضره ) طلب حضوره  
والشيء أحضره ، وفلان السائل والمعاني : تتذكرها ( الحاضر ) والمقيم في الحضرو يقال  
فلان حاضر الجواب سريع الإتيان به وحاضر البديهة سريع الخاطر و " الحضرة "  
خلاف البادية وهى المدن والقرى والريف والعاصمة وحاضرة الشيء القريبة منه وفي  
القرآن الكريم ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ... ﴾<sup>(١)</sup>  
والحاضرة : الإقامة فى الحضرو هى ضد البداوة ومظاهر الرقي العلمي والإجتماعي فى  
الحضر. و " الحضر " المدن والقرى والريف .

### مفهوم الحضارة فى الإصلاح:

يقول ( ألبرت سفنسر ) فى كتابه ( فلسفة الحضارة ) { إن الحضارة بصفة  
عامة هى : " التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء " وهذا يعنى أن  
الحضارة نشاط إنسانى إبداعى يسير فى خطين متوازيين فى وقت واحد وهدفهما فى  
المحصلة النهائية هو الارتقاء بالإنسان بوصفه يمثل كلاً متكامللاً لا انفصال فيه بين  
جانب المادة وجانب الروح }<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالحضارة : [ نوع من أنواع الحياة البشرية المتقدمة عمادها بصفة  
أساسية معيشة الحضرو ما تتطلبه من تنظيم و ما تسفر عنه من نتائج و تدابير تتمثل فى  
الكتابة والتشريع ونظم الحكم وأساليب التجارة والتدين ] .

والحضارة على الأساس المتقدم لا يمكن تصورها إلا فى رحاب المعدن فهو تحديد  
يركز على الجانب المادي للحضارة . ومنهم من يركز على الجانب الروحي فيقول :  
فالحضارة فى جوهرها تقوم على الجانب البشري وعلى الأشياء المادية والناس  
المتحضرين وغير المتحضرين وفقاً لبعض مزاياهم القلبية والروحية ، وتدل كلمة الحضارة  
على وجود عقلية روحية كما تدل كلمة صحة على جودة طبيعية أو جسمية ومنهم أن يركز

١- سورة الأعراف ، آية ١٦٣ .  
٢- مجلة الأزهر " ثمار من قاعة الإمام محمد عبده " ١٤١٨ هـ .

على الجانب المادي والمعنوي معاً ويقول الدكتور محمد حسنين البطح : [ الحضارة هى التقدم الروحي و المادي للأفراد و الجماهير على حد سواء ثم يركز على الجانب الأخلاقى أكثر ، يقول و لما بحثت فى ماهية الحضارة و طبيعتها تبين لى أن الحضارة فى جوهرها أخلاقية ] .<sup>(١)</sup>

### مفهوم الحضارة الإسلامية :

يعنى مفهوم الحضارة فى نظر الإسلام [ تقدم المجتمع من الناحية المادية و المعنوية فى جميع نواحي الحياة الإنسانية بروح خيرة و نحو غاية خيرة ] .

و هذا يعنى أن أى تقدم فى أى ناحية لا يدخل فى الحضارة الإسلامية ما لم يتم بروح خيرة أى يبتغى به وجه الله عزوجل و لتحقيق غاية خيرة ، ولو كان فى التقدم الروحى . ولو أن انسانا يقضى ليله و نهاره فى عبادة متواصلة و لم يكن فى عبادته مخلصا بأن كان فى ذلك مرائياً أو منافقاً لا يعد متقدماً روحياً بل لا يعد عمله عملاً روحياً على الإطلاق .

فمن سمات الحضارة الإسلامية أن يتم التقدم و التحضر بروح خيرة ، فالتقدم بغير هذه الروح يؤدي فى النهاية الى إنهيار الحضارة و الى تعاسة البشرية فى النهاية شأن الحضارات البالية التى قامت على أسس مادية و لغات مادية للمتعة الحسية فقط . و ثمة ميزة أخرى للحضارة الإسلامية و هى إستخدام الروح الخيرة فى دفع عجلة التقدم فى الميادين المختلفة لأن القوة الروحية طاقة جبارة فإذا دخلت فى النفوس و رسخت فيها تحولت إلى طاقة محركة تدفع عجلة التقدم فى جميع مناحيها بسرعة و لكن لا يمكن تكوين هذه الروح الخيرة فى نفوس إلا ببناء الأفراد و المجتمع بالتربية الإسلامية .

عند ذلك يصبح الأفراد الذين يحملون هذه الروح سادة الحضارة لا عبيدها ثم يتحركون بعجلاتها و هم فى مأمن من هذا التحرك لأنهم يتحركون على بصيرة و إلى غاية محددة تنتهى بهم إلى الرفاهية و السعادة ، من أجل رفع مستوى الإنسانية ، و تعميم الخير

١- حولىة كلية أصول الدين بالقاهرة ، العدد العاشر ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٩٥ .

على البشرية ، ولذلك تكون الحضارة التي يقصدها الدين الإسلامى هى أداة السعادة والرفاهية القائمة على الخير.

ويمكننا إجمال الحضارة الإسلامية فى الآتى

أولاً: العناصر المعنوية : وتشمل العناصر الإعتقادية والروحية والأخلاقية والعلمية والإبداعية.

ثانياً: العناصر المادية : وتشمل التقدم الزراعي والصناعي والتجاري والعمراني أي المحسوسات والماديات التى يقوم الإنسان بصناعتها بيديه ويتدخل فى تعديلها.

ثالثاً : العناصر التنظيمية والتشريعية التى تنظم حياة الفرد والمجتمع والدولة مرتبطاً بجميع جوانب الحضارة ، كما تشمل نظم الدولة السياسية ونظام الأسرة والمجتمع<sup>(١)</sup>.

وكل هذه العناصر السابقة من منطلق التشريع الإسلامى الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم فى القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية المشرفة.

ثانياً : العرب : بلسان العرب<sup>(٢)</sup>:

العرب والعرب ، جيل من الناس معروف ، خلاف العجم ، وهما واحد مثل العجم والعجم ، مؤنث وتصغيره بغير هاء نادر والغريب تصغير العرب . والعرب العاربة : هم الخلف منهن ، ومتعربة ومستعربة : دخلاء ليسو بخلص . والعربى منسوب إلى العرب وأن لم يكن بدويًا والأعرابى : البدوي ، وهم الأعراب ، والأعرابى : جمعاً للعرب . وجاء فى الشعر الفصيح والأعرابى وقيل ليس الأعراب جمعاً للعرب كما كان الأنباط جمعاً للنبط ، وإنما العرب

١- حولىة كلية أصول الدين ، العدد العاشر ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، م ٤ ، دار المعارف ، مادة " عرب " ص ٢٨٦٣ - ٢٨٦٨ .



اسم جنس والنسب إلى الأعراب : أعرابي ، قال سيباوي : إنما قيل فى النسب من الأعراب أعرابي ، وحكا الأزهري : رجل عربي إذا كان نسبه فى العرب ثابتاً ، وإن لم يكن فصيحاً وجمعه العرب ، ورجل معرب إذا كان فصيحاً ، وإن كان عجمي النسب . ورجل أعرابى ، بالألف ، إذا كان بدويًا صاحب نجعة وانتواء وارتباد للكلاء ، وتتبع لمساقط الغيث ، وسواء كان من العرب أو من مواليهم . ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب والأعرابى إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وبش له والعربي إذا قيل له يا أعرابى غضب له . فمن نزل البادية أو جاور الباديين وظعن بظعنهم ، وانتمى بانتمائهم : فهم أعراب ، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمى إلى العرب : فهم عرب ، وإن لم يكونوا فصحاء وقول الله عز وجل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنًا قُلْ لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا... ﴾ <sup>(١)</sup> فهؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعاً فى الصدقات ، لا رغبة فى الإسلام فسماهم الله تعالى الأعراب ، ومثلهم الذين ذكرهم الله فى سورة التوبة ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا... ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال الأزهري : والذى لا يفرق بين العرب والعربي والأعرابي ربما تحامل على العرب مما يتأوله فى هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب ، ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار وأعراب إنما هم عرب لأنهم استوطنوا القرى العربية ، وسكنوا المدن سواء منهم الناشيء بالبدو ثم استوطن القرى ، والناشيء بمكة ثم هاجر إلى المدينة ، فإن لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعمًا ، ورعوا مساقط الغيث بعدما كانوا حاضرة أو مهاجرة ، وقيل : قد تعربوا أى صاروا أعرابًا ، بعدما كانوا عربًا والأعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون فى الأمصار ، ولا يدخلونها

١- سورة الحجرات ، آية ١٤ .

٢- سورة التوبة ، آية ٩٧ .

إلا حاجة ، وفي الحديث الشريف : " ثلاث من الكبائر ، منهم التعرب بعد الهجرة " وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب ، بعد أن كان مهاجراً وكانوا يعتبرونه كالمرتد .

والعربية : هي لغة العرب . واختلف الناس في العرب لم سُمُّوا عرباً . فقال بعضهم : أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، وهو اليمن كلهم ، وهو العرب العاربة ونشأ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام معهم فهو أولاده العرب المستعربة : ( العرب المستعربة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خمسة أنبياء من العرب وهم : محمد وإسماعيل وشعيب وصالح وهود وصلوات الله عليهم ) وهذا يدل على أن لسان العرب قديم ، وهؤلاء الأنبياء كانوا يسكنون بلاد العرب .  
والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيهم بعد فستعربوا . قال الأزهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم وحكوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم .

وَعَرَّبَهُ : أي علمه العربية .

وفي المعجم الوجيز<sup>(١)</sup> : " عَرَّبَ " عروب وعروبيه وعروبية : فصح . ( أعرب ) الكلام بنية وطبق عليه قواعد النحو وبمراده أفصح به ولمن يوارب وعن حاجته أبان .

( عَرَّبَ ) : الاسم الأعجمي : نطق به على مناهج العرب . ( تعرب ) : تشبه بالعرب وأقام بالبادية .

( استعرب ) : سار دخيلاً في العرب وجعل نفسه منهم .

( الأعراب ) : من العرب سكان البادية خاصة يتتبعون مساقط الغير ومنابت الكلاً . والواحد أعرابي .

( التعريب ) : صوغ الكلمة عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية .

١- المعجم الوجيز ، ص ٤١١ ، ٤١٢ .

( العاربة ) : عرب عاربة صرحاء خلص و قبائل بادت و درست آثارهم كعاد  
وتمود و هم العرب البائدة .

( العرب ) : أمة من الناس سامية الأصل كان منشؤها شبه جزيرة العرب .  
ويقال رجل عربي و لسان عربي .

( العرباء ) : عرب عرباء صرحاء خلص .

( العُروب ) : المرأة المتحبة إلى زوجها ، وجمعها (عُرب) ، و في القرآن الكريم

﴿ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

( المتعربة ) : من العرب : بنوا قحطان بن عامر الذين نطقوا بلسان العاربة  
وسكنوا ديارهم .

( المستعربة ) : من العرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ومثل ذلك في كلام من : مختار الصحاح<sup>(٢)</sup> ، المعجم الوسيط<sup>(٣)</sup> بنفس المعاني .

### العرب في الإستصلاح :

اختلف اللغويون و المؤرخون في تعليل تسمية العرب بهذا الاسم ، فقليل لأنهم لم  
يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام و الفصاحة في المنطق و الدلاقة في اللسان  
والأعراب المقصود فهو من أعرب إذا أبان عما في ضميره ، و منه قوله صلى الله عليه وسلم  
" و الثيب تعرب عن نفسها " ، و قيل نسبة إلى " يعرب بن قحطان " جد العرب العاربة  
فإنه أول من نطق بالعربية الفصحى و أخذها عنهم أهل اليمن . و قيل نسبة إلى "عربه"  
بلدة بتهامة الحجاز قرب المدينة نشأ فيها أولاد إسماعيل ، و أقامت فيها قريش و أسلافهم  
فنسيبوا إليها ، و يرى آخرون أن المدلول الحقيقي لفظ عرب أنه هو صحراء .<sup>(٤)</sup>

١- سورة الواقعة ، آية ٣٦ ، ٣٧ .

٢- مختار الصحاح للرازي ، تحقيق محمود فاطر ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، مادة " عرب " .

٣- المعجم الوسيط ، ج ٢ ، مادة " عرب " ، ص ٦١٢ .

٤- عبد الفتاح شحاتة ، تاريخ العرب و عصر الرسول ، ط ٣ ، ١٩٥٤ ، ص ١٥ - ٢٠ .

وإذا أطلق هذا اللفظ قبل الإسلام فيراد به : سكان شبه جزيرة العرب فقط وهذه اللفظة في التاريخ القديم يراد لفظ " بدو " ولما تحضر بعض القبائل قديماً وأقاموا في مدن اليمن والحجاز ، و حوران وغيرها لم يعد " العرب " محسوراً في " البدو " فتنوع معناه كما تنوع مسماه ، فاضطروا إلى كلمات تميز بين الحاليين ، فأستعملوا لفظ " الحضر " لأهل المدن و " البدو " لأهل البادية (١) .

وبلاد العرب في الجزء الجنوبي من آسيا ، وهي شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات : البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج الفارسي ، ويطلق على بلادهم اسم جزيرة العرب .

وبلاد العرب في مجموعها صحراء ، ولكنها ليست ككل الصحاري التي لا زرع فيها ولا ماء .

ومما يلاحظ عليها طبيعة سطحها ، فهو مختلف الأجزاء ، فبعضها مغطى بالكتبان الرملية ، والبعض الآخر بالجبال الأكام ، كما أن بعضهم غور منخفض وبعضه الآخر مرتفع (٢) وتنقسم من الناحية الجغرافية إلى :

١ - تهامة: وهي الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة الساحل البحر الأحمر من ينبع إلى نجران في اليمن .

٢ - الحجاز : ويقع شمال اليمن وشرق تهامة .

٣ - نجد : ويمتد بين اليمن جنوباً وبادية السماوية شمالاً والعروض وأطراف العراق وسمي نجد لإرتفاع أرضه .

٤ - اليمن : ويمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر غرباً . ويتصل به من الشرق حضرموت والشجرو عمان ، وكانت بلاد اليمن وحضرموت في الجنوب ميدانا للحروب الداخلية والفتن الأهلية .

١- د / محمود محمد رسلان ، فجر الدعوة الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٩٢ ، ص ١٩ .  
٢- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام . ج ١ ، ط ٤ مكتبة النهضة العربية ، ١٩٩٦ ، ص ٩ .



٥ - العروض : ويشمل اليمامة و عمان و البحرين و سمي عروضا لإعتراضه بيت اليمن و نجد و العراق . و كانت عمان و البحرين ، منفصلتين عن سائر بلاد العرب بأمريين وأحدهما طبيعي وهو تلك المفاوز والبراري الواسعة و الصحاري الجدبة القفرة التي حالت بينها و بين سائر البلاد والأمر السياسي و هو خضوعها لسيادة الفرس (١) .

### ثالثا : الإستشراق :

الإستشراق فى اللغة : من " شَرَقَ " شرقت الشمس تشرق شروقاً . طلعت . واسم الموضوع الشرق . (٢) .

### الإستشراق فى الإصطلاح :

يراد بالإستشراق دراسة كل شيء عن الشرق . لغاته القديمة ولهجاته الحديثة وتاريخه و أساطيره ، و طباعه و عاداته ، و معارفه ، وكل شئ يتصل به من الناس و الحيوان و النبات و المناخ و التربية و مكوناته الشخصية ، و عوامل الفرقة . و يراد بالمستشرقين أولئك الذين لهم اهتمامات جادة بهذه الدراسات (٣) .

" و المستشرق عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية " و لابد أن يتوافر فى هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها فى العالم المتخصص المتعمق حتى ينتج و يفيد البشرية و الحضارة بإنتاجه العلمي . و لا بد أن ينتمى هذا العالم إلى الغرب ، ولو كان هذا العالم يابانياً أو إندونيسيا أو هندياً لما استحق أن يوصف بالمستشرق لأنه شرقي بحكم بيئته و مولده و حضارته (٤) . و قد تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تاريخاً أو فلسفة أو أثاراً أو اقتصاداً ولكنها ترتبط بالشرق ، وليس من الضروري أن يرحل هذا المستشرق إلى الشرق ليعيش فيه أو لينطبع انطباعه أو حضارته ، فقد يقوم بدراسته

١ - حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام . ج ١ ، ط ٤ مكتبة النهضة العربية ، ١٩٩٦ ، ص ٩ ، ١٠ .

٢ - لسان العرب ، م ٤ مادة " شَرَقَ " ص ٢٢٤٤ - ٢٢٤٨ .

٣ - عبد المتعال الجبري ، السيرة النبوية ، وأوهام المستشرقين ، ص ٩ .

٤ - المرجع السابق ، ص ٢٥ .

فى جامعته الغربفة أو فى وطنه وإن كان رحفله إلى الشرق بفعل دراسته أكثر فائدة وأقرب إلى الواقفة والحففة . ولبس من الضرورى أفضا أن ففحدث باللغات الشرق وإن كان الإمام بها أو إفادنها فعنه كئفرا فى دراسته وأبحاثه و ففئما بدأ الإستشرق كان غالبا هواها بعض الأوروبففن الذفن فذبهم الشرق بسحره وأساراه وممفزانه الحضارففة الخاصة . واقترن الإستشرق أففانا فحب الرحلات إلى الشرق وأصبحت كئب هؤلاء النفر من المستشرقفن أقرب إلى الوضفة أو كئب الرحلات فأهئم المستشرق ففشد مؤلفاته بكل ما هو غرفف أو عففب مما فئفر تشوفق الأوروبفف و فدفعه للإطلاع على هذه الصورة من الففة الفف فخالف صورة ففاته المؤلففة . كما اتفه بعض الأوروبففن أفضا نحو الإستشرق بدافع من التعصب الدففف أو التعصب القومفف (١) .

ولكن الإستشرق فى العصر الحديث قد أصبح حرفه واتخذ الطابع العلمف المنظم وأصبح له قواعد وأسسه والمنهففة ، فففة التطور العلمف ، وإفئلاف الظروف السفسافة فى العالم ونهضة الشرق ، وتطور العلاقات بفن الشرق والغرب ، ولذا أصبح المستشرق فى القرن العشرفن ففئلف ففاما عن المستشرق فى العصور الوسطى أو فى مطلع العصور الحديثة . وهكذا خضع ففدد مفهوم " المستشرق " لسنة الففة والتطور وإفئلاف ظروف الزمان والمكان ، ولتطور العلاقات الدوففة ، وللتقدم العلمف والحضارفف (٢) .

وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا فى نهافاف القرن السابع المفلادف " الأول الهجرف " عن طرفق ففئ بلاد الأندلس الفف فطلق عليها الآن " أسباففا والبرتغال " وكان المسلمون قد ففحوا مسافدهم ومفبالسهم العلمفة لكل من أراد العلم ، والعلم فى عرف المسلمفن الأوائل كان فعنى الشرفة والعربفة والإفئتماعفة والكوففة والتقلفة ، ولا ففئون بالفنون الحضارففة على أحد من النصارى أو الفهود أو ففرهم من البشر ، باعتبار الإسلام

١- على حسنفف الخربوطلفف ، المرفع السابق ص ٢٦ .

٢- نفسه ، ص ٢٦ .

رسالة الإرتقاء بالإنسان إلى مستوى أفضل عقلياً و مادياً . فكان يفد إلى الأندلس كثير من الشباب من كافة أنحاء أوروبا لينهلوا من علوم المسلمين <sup>(١)</sup> .

وقد استهوت علوم المسلمين وأخلاقهم وعاداتهم كثيراً من هؤلاء الوافدين إلى الإسلام فخشيت الكنيسة الغربية على مستقبلها فعملت على الحيلولة بين الشباب وبين بلاد الأندلس وجامعاتها . ولذلك عمدت إلى إعداد طائفة من الرهبان والقساوسة لدراسة العلوم الشرقية يعنى الإسلامية وغيرها مما يدرسه أهل الشرق - حتى يمكنهم جذب الشباب إلى حلقات مماثلة يكون زمامها الكنيسة . ويمكن من خلالها تشويه صورة الإسلام لدى الدارسين ، ومن ثم كان الإرتباط الأول بين العملية الإستشراقية وبين عملية محاربة الإسلام بالكتابة والمحاضرة والقصة والأغنية وسائر وسائل الإعلام . ولذلك أنشئت الكراسى العلمية لتعليم اللغة العربية فى أوروبا وتمت ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية للإنطلاق منه ضد الإسلام ودراسة العلوم الإسلامية والشرقية <sup>(٢)</sup> .

و نستنتج مما سبق :

أولاً : أن الإستشراق علم يحاول أصحابه دراسة الشرق وكل ما يتعلق به من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها .

ثانياً : أن المعنى الأصلي لكلمة (( استشرق )) صار شرقياً وأن صيغة (( المستشرق )) علمياً " تطلق على ذلك الذى يشتغل بالعقليات الشرقية عامة والسامية خاصة والعربية بوجه أخص <sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : أن الإستشراق علم لا يقتصر على دراسة غير الشرقيين فحسب بل أثر الشرق فى تكوين البناء الحضاري وتطوره فى العالم بأسره .

رابعاً : أن الإستشراق علم يشمل طوائف مختلفة تعمل فى مجال الدراسات الشرقية من علوم وآداب تتعلق بالشرق كله .

١- نفسه ، ص ٢٦ .

٢- الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

٣- أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الإستشراق ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

خامساً : أن الإستشراق علم قائم بذاته له خصائصه التي تدل على إستقلاله و أن أصحابه قد شغلوا فترة طويلة دون أن يهتم أحد بدراستهم دراسة علمية واعية إلا في أحيان نادرة في معرض النقد والتقريظ .

سادساً : أن الإستشراق مهنة أكثر منه علماً و أنه أقرب منه إلى دائرة التبشير من دائرة العلم و هنا كان الإسلام بيت القصيد للهجوم والنيل منه .

سابعاً : أن الإستشراق في المفهوم العلمي علم يضم في رحابه الكتاب الغربيين الذين كتبوا عن الفكر الإسلامي و حضارته ومنهم القدماء والمحدثون ومنهم المادحون والمنتقدون .

ثامناً : أن المستشرق عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية على الإطلاق .

تاسعاً : أن لفظة (( استشرق )) مولودة و مترجمة عن الشرق أو الشرقية .

عاشراً : أن الإستشراق كمفهوم علمي حركة علمية تعني بدراسة الشرق بصفة عامة تاريخه و حضارته و علومه و أهله و أديانه <sup>(١)</sup> .

والمستشرقين دوافع عديدة للقيام بجدية بهذه الحركة الغربية الإستشراقية في

بلاد الشرق الإسلامي بصفة خاصة والشرق بصفة عامة منها :

أولاً : الدوافع النفسية : وهي دوافع تكمن في طبيعة الإنسان نفسها من حيث ما يكون كائن حي ، ومخلوق مفكر ، له خصائصه وآماله وأحلامه و أطماعه و أهدافه و نزواته و احساساته ، كل هذا دفعه الى معرفة أخبار الآخرين ومعتقداتهم وعاداتهم و أساليبهم في الحياة ، فارتحل الرجل العربي إلى الشرق لتحقيق الدوافع <sup>(٢)</sup> .

ثانياً : الدوافع التاريخية : لقد كانت العلاقة بين الشرق والغرب علاقة صراع متواصل ملتهبة تارة ، وخامدة تارة ، وتطورت بعد إنطلاق الإسلام واتساع

١ - سميالوفتش ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

٢ - سميالوفتش ، المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤٢ .



أراضيه وإرتقاء المسلمين فأصبح صراعًا بالسلاح بقدر ما كان بالأفكار وبعد أن أصبح للإسلام أثر كبير في العالم ، اضطر علماء الغرب إلى دراسة الإسلام والبحث في كل ما يتعلق به لفهم مظاهره وأحداثه المعجزة ، وعلى ذلك فالإستشراق قد ولد في أحضان الواقع التاريخي وأوجهه<sup>(١)</sup>.

ثالثًا : الدوافع الإقتصادية : لقد كان للنواحي الإقتصادية المتمثلة في التجارة وإلتماس سبل العيش عبر الأراضي والبحار أثر كبير في حركة الإستشراق حيث كان العالم الإسلامي مجالًا اقتصاديًا ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوروبيين و تبع ذلك بالضرورة عناية بدراسة علومه وثقافته وفلسفته<sup>(٢)</sup>.

رابعًا : الدوافع الأيديولوجية : كان للدوافع الفكرية وانتشار الأفكار النفعية والبحث عن المصالح الخاصة أثر كبير في خلق حركة الإستشراق واستقرارها في الشرق الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

خامسًا : الدوافع الدينية : كان للإختلاف الديني بين الشرق والغرب أثرًا كبير في نشأة الإستشراق وخاصة بعد انتشار الدين الإسلامي وسيطرته على العالم في العصور الوسطى ، مما دفع البابوية في روما إلى إتخاذ موقف حاد وجاد ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة زعزعة عقيدة المسلمين وتشكيكهم في دينهم وخاصة بعد فشل الحروب الصليبية في الاستيلاء على الشرق الإسلامي وتحقيق أهداف البابوية والغرب الأوروبي، فكانت حركة التبشير وإرسال المبشرين المسيحيين لتحويل أبناء الشرق إلى المسيحية ، ثم حركة الإستشراق ودراسة علوم الشرق ولغته وحضارته<sup>(٤)</sup>.

١- نفسه ، ص ٤٣ - ٤٥ .

٢- نفسه ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

٣- سميلوفتش ، المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٨ .

٤- نفسه ، ص ٤٨ - ٥٠ .

سادساً : الدوافع الإستعمارية : وجاءت هذه الدوافع من منطلق ضرورة السيطرة على بلاد الشرق لتحقيق الأغراض الكنيسية والغربية من التبشير والاستشراق عن طريق حياته و مده بالمال والسلطان . ولذلك جاء الإستعمار فى نهاية كل هذه الدوافع بعد أن فشلت كل الطرق والوسائل السلمية فى تحقيق أغراض الغرب <sup>(١)</sup> .

وعلى أية حال فقد تمثلت مقاصد المستشرقين فى معرفة اللغة العبرية عن طريق اللغة العربية ، ولذلك لا نجد مستشرقاً لا يعرف هاتين اللغتين ، ومن ناحية ثانية تشكيك المسلمين فى دينهم وزعزعة عقيدة المسلمين <sup>(٢)</sup> وقد مر الإستشراق بأطوار كثيرة منها طور التكوين ، وطور التقدم ، و طور الإنطلاق ، حتى وصل إلى الطور المعاصر فى العصر الحديث <sup>(٣)</sup> خلال دراسات هؤلاء المستشرقين وموقفهم من الإسلام بدأ واضحاً أنهم ليسوا جميعاً على وتيرة واحدة فى موقفهم من الإسلام والمسلمين ، فهناك فئة منهم من المنصفين الذين اعتنقوا الدين الإسلامى وهناك من المنصفين ولكنهم لم يعتنقوا الإسلام وهناك فئة ثالثة وهم المعادين للدين الإسلامى أو المحققون الذين دفعتهم عداوتهم للإسلام إلى اللجوء إلى الطعن فى الإسلام ونبيه وكتابه <sup>(٤)</sup> .

وفى نهاية المطاف فقد ترك الاستشراق الكثير من الآثار السلبية والإيجابية فى المجتمعات الإسلامية فى المجال الدينى والاجتماعى والإقتصادى والثقافى والفكرى والعلمى <sup>(٥)</sup> .

- 
- ١- نفسه ، ص ٥٠ - ٥١ .
  - ٢- محمد عزت الطهطاوى ، التبشير و الإستشراق ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦ .
  - ٣- أنظر التفصيلات فى : د / عبد الله سمك ، الإستشراق بين الجحود والإنصاف ، القاهرة ، ١٩٩٢ ص ١٣ - ٢٢ ، د / عبد الله عبد الحى ، التبشير والإستشراق خططا وتطبيقات ، ط ١ دار الطباعة المحمدية ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢ ، ٣٢ .
  - ٤- أنظر التفصيلات فى : د / على شاهين ، دراسات فى الإستشراق ، ط ١ ، دار الطباعة المحمدية ١٩٩٢ ، ص ٧٣ - ١٢٣ .
  - ٥- أنظر التفصيلات فى : د / محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الإستشراقى فى المجتمعات الإسلامية ط ١ دار عين للنشر ، ١٩٩٧ .

## رابعاً : جوستاف لوبون :

الدكتور جوستاف لوبون طبيب واجتماعى مربي وقف نفسه على خدمة العلم وتقرير حقائقه حتى تجاوز عمره الثمانين . ولد فى بلدة نوجان لى زيرو سنة ١٨٤١ م . وتولى فى حرب السبعين رئاسة أطباء فرقة التنقلات العسكرية المتحركة . وفى سنة ١٨٨٤ م سافر الى الهند مكلفاً من الحكومة بمهمة درس هندسة الآثار البوذية ، وساح فى أفكار أخرى منها هذا الشرق الإسلامى .

ورغم أن جوستاف لوبون طبيباً إلا أنه عني بالتاريخ للحضارة الشرقية ، فله فى ذلك كتب و مؤلفات منها : آثار الحضارة العربية ، وحضارة العرب فى الأندلس وله كذلك بالحضارات الأولى :

- حضارات الهند .

- آثار الهند .

- رحلة إلى جبال تتراس .

- رحلة إلى نبال .

- روح السياسة .

- روح التربية .

- جوامع الكلم العصرية .

- أمس و غد .

- الثورة الفرنسية .

- النتائج الأولى للحرب .

- أسلوب التخطيط والآلات المدونة .

- التعاليم النفسية للحرب الأوروبية .

- الإنسان والجماعات .

- تطور الأمم .

- روح الإشتراكية .
- أسلوب الخطب الفرعونى .
- أصول الحضارة الفارسية .
- مذكرات فى الطبيعة .
- حياة الحقائق .
- دخان التبغ " بحث كيماوي " .
- أبحاث تشريحية ورياضية فى سر تطور حجم الجمجمة .
- تطور المادة .
- تطور القوى .
- بحث فى الأمراض التناسلية الدولية .
- علم الصحة العمل للجندى والجرحى .
- الحياة فسيولوجية بشرية .
- الموت الظاهري والعروض قبل الموت .
- فسيولوجيا أصل البشر وأهم الكائنات الحية .
- فلسفة التاريخ .
- الآراء والمعتقدات .
- روح الإجتماع .
- اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى .
- السنن النفسية لتطور الأمم <sup>(١)</sup> .

ويعتمد لوبون فى تأليفه لهذه المؤلفات على ما لاحظته فى رحلاته وترصده ، ومن تلك الكتب على الخصوص يستنبط على ما بدأ له من سنن الإجتماع فيضع سنة ١٨٩٤ م كتاب السنن النفسية لتطور الأمم ، ثم كتاب روح الجماعات سنة ١٨٩٥ . ويعد لوبون

١- جوستاف لوبون ، مقدمة الحضارات الأولى ، ترجمة : محمد صادق رستم ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .



مجددًا في علم النفس والإجتماع وإمامًا وموجهًا إليهما ، فعالج جميع الموضوعات التي تناولها بدقة ، فوصل إلى الحقائق الرائعة ، فظهر في كل ما كتب عبقريًا مبتكرًا حر التفكير ، مستقلًا لبقًا إلى الغاية . ولذلك كان من الصواب أن نقول أن لوبون أعظم عالم نفسي فرنسي في الوقت الحاضر بما تزرع به من صبر وما اتفق له من بصيرة نقد روح العصر<sup>(١)</sup> .

**النقد في الاصطلاح :** مأخوذ من نقد الكلام يقال نقد الكلام ناقشه وهو من نقده الشعر و نقاده و انتقد الشعر على قائله . وهذا معنى معهود عند العرب استعمله المحدثون في المهمة التي تصدروا لها في دراسة الأحاديث و ناقلها<sup>(٢)</sup> .

ويختلف التعريف الاصطلاحي للنقد تبعًا للمجال المستخدم فيه ، إذ أن أنواع النقد تعددت لتعدد مجالاته ، فهناك النقد الأدبي ، الفني ، العلمي ، والرياضي ..... إلى غير ذلك من أنواع النقد الذي ينبع جميعها من منبع واحد وهو " تمييز الجيد من الرديء " وليس أدل على ذلك مما ذكره الدكتور محمد السعدي فرهود في تعريف النقد الأدبي بأنه " تمييز الأدب أو تمييز النص الأدبي... فهو لا يخرج عن أمرين : التحليل والتقويم"<sup>(٣)</sup> .

**خامسًا : مصطلح الميزان :**

الميزان في اللغة : وتجمع على موازين : وهو آلة يوزن بها الشيء ويعرف مقداره بطريقة حسابية كالجمع والضرب<sup>(٤)</sup> وفي القاموس المحيط : الميزان والعدل والمقدار

١- جوستاف لوبون ، السنن النفسية لتطور الأمم.

٢- أحمد محمد نور يوسف : كتاب حجي بين معين و كتابه التاريخ دراسة و ترتيب و تحقيق ، حد ١ ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٥ ، ٦ .

٣- د. ياسر أبو شبانة : جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرآن الأول حتى القرن السابع الهجري ( عرض و نقد ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية أصول الدين بالمنصورة ، ٢٠٠٠ م ص ٣ .

٤- لويس المعلوف ، المنجد في اللغة و الأدب و العلوم.

وازنه عادله وقابله وحازاه<sup>(١)</sup>. ويعرف أيضا بأنه العدل والقسط فى الأحكام والمعاملات. وهوالشريعة التى يتناصف بها الناس وبها يقوم العدل بينهم والميزان<sup>(٢)</sup>.

## تعريف الميزان فى الإصطلاح :

يعرف الميزان بأنه الآلة المعروفة التى يوزن بها الأثقال والمحسوسات .  
وفى المعنويات هو الذى توزن به أعمال العباد من خير وشر وقبيح وحسن  
ومثوبة وذنب .

ويقول المرحوم الشيخ حسن بن مخلوف فى تفسير ﴿...وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [سورة الرحمن: من الآية ٧] شرع العدل أمر به ليستقيم أمر العالم أو خلق الآلة المعروفة التى تعرف بها مقادير الأشياء ليتوصل بها الناس فى الأرض إلى الإنصاف فى المعاملات وفى قوله تعالى ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٨] قال : أى لئلا تتجاوزوا الحق فيه ، وقال فى : ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ...﴾ [سورة الرحمن: ٩] أى قوموا وزنكم بالعدل . المراد حث الناس على مراعاته فى جميع أقواله وأفعاله ﴿...وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [سورة الرحمن: ٩] أى لا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى فلقد أمر الله تعالى " بالتسوية " ونهى عن الطغيان فيه الذى هو إعتداء وزيادة عن الخسران فيه الذى تطفيف ونقصان وكلاهما ظلمة ... إلخ<sup>(٣)</sup>.

## سارساً : الدعوة فى اللغة :

جاء فى لسان العرب فى مادة " دعا " دعا الرجل دعواً ودعاه ناداه والاسم الدعوة ودعوت فلان صحت به واستدعيته ودعوة شهادة أن لا إله إلا الله ، وتداعى القوم دعا

١- الفيروز أبادى ، القاموس المحيط ، ص ٢٧٥ .

٢- د/ احمد محمد صبرة ، الكيل و الميزان فى القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية أصول الدين بالمنصورة ص ٤١ .

٣- جوستاف لوبون ، تاسنن النفسية لتطوير الأمم .

بعضهم بعضا حتى يجتمعون ، والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلال ، ورجل داعي إذا كان يدعو الناس إلى دين ، والنبي داعي الله وكذلك المؤذن <sup>(١)</sup> .

وفى مختار الصحاح مادة " دعا " الدعوة إلى الطعام وهما مصدران والدعوة بالكسر والنصب وتداعت الحيطان أى تهدمت ودعاه صاح به <sup>(٢)</sup> وفى القاموس المحيط الدعوة الرغبة إلى الله يقال دعا دعاة وتداعوا عليه تجمعوا ودعاه ساقه والنبي دعى الله ويطلقه على المؤذن ودعوته سميته <sup>(٣)</sup> ﴿... أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾ <sup>(٤)</sup> .

والدعوة المرة الواحدة من الدعاء ، وفى الحديث : " فإن دعوتهم تحيط من ورائهم " <sup>(٥)</sup> أى تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم ، يريد أهل السنة دون البدعة ، وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا ، ودعاه إلى الأمير أى ساقه ، فقوله تعالى ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ <sup>(٦)</sup> . ومعناه داعيًا إلى التوحيد وما يقرب منه والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة <sup>(٧)</sup> والدعاء إلى الشئ بمعنى الحث على قصده والدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقًا أو باطلًا وفى ذلك حكاية القرآن عن سيدنا يوسف عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ... ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أى من طاعة النسوة والوقوع فى الإثم ، وكما ورد فى قول الرسول الرسول صلى الله عليه وسلم للأوس والخزرج حين اصطفوا للقتال " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم " ومن الحق قوله تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ... ﴾ <sup>(٩)</sup> وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ

١- ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، دار المعارف ، مادة " دعا " ، ص ١٣٨٥ - ١٣٨٩ .

٢- مختار الصحاح ، مادة " دعا " ، ص ٢٠٥ .

٣- القاموس المحيط ، جـ ٤ ، مادة " دعا " ، ص ٣٢٩ .

٤- سورة الإسراء ، آية ١١٠ .

٥- أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ من حديث أنس رضى الله عنه .

٦- سورة الأحزاب ، آية ٤٦ .

٧- لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٣٨٧ - ١٣٨٩ .

٨- سورة يوسف ، آية ٣٣ .

٩- سورة الرعد ، آية ١٤ .

يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ... ﴿١﴾ وفى كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل " أدعوك بدعاية الإسلام" ﴿٢﴾ أى بدعوته ، وهى كلمة الشهادة وإتباع منهج الله ، ولذلك قال مؤمن فرعون ﴿ وَنَقُومِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿٣﴾ . فاستبان لنا أن هنا كدعوة إلى الجنة وأخرى إلى النار .

والدعوة هى المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة وهى الإبتهال والسؤال ﴿٤﴾ . فجاء فى المصباح المنير ، دعوت الله أدعوه ، وأدعوه دعاءً أى أبتهل إليه بالسؤال وأرغب فى ما عنده من الخير ﴿٥﴾ .

### الدعوة فى الإصطلاح :

الدعوة هى حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة الآجل والعاجل وتتمثل فى ثلاثة أنواع هى :

الأول : دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام .

الثانى : دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير وتأميرهم فيما بينهم بالمعروف وتنأهيه عن المنكر ويقوم به خاصة الأمة العارفون بأمر الدين وأسرار التشريع .

الثالث : ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ويستوى فى ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه والنهي عن الشر والتحذير منه ﴿٦﴾ .

- ١- سورة يونس ، آية ٢٥ .
- ٢- الشيخ محمد الغزالي ، فقه السيرة ، ص ٣٧٧ .
- ٣- سورة غافر ، آية ٤١ .
- ٤- جمعة أمين عبد العزيز ، الدعوة قواعد وأصول ، دار الدعوة ، ص ١٤ .
- ٥- المصباح المنير ، ج ١ ، ط ٨ ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، مادة " دعا " ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦ .
- ٦- الشيخ على محفوظ ، هداية المرشدين ، طريقة الوعظ والخطابة ، ط ٩ ، دار الإعتصام ، ١٩٧٩ ، ص ١٧ .



وقال آخرون هى : نقل الأمة من محيط إلى محيط ، تلك هى مهمة الداعية ، وفيها يندرج مجمل مناهجه و مفصله و من ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه و رسالته <sup>(١)</sup> . ويقول فريق ثالث من العلماء :

إنها الحركة الإسلامية فى جانبها النظرى و التطبيقى من حيث بناء الدولة و دفاع عن استمرار وجودها <sup>(٢)</sup> أما الفريق الرابع من علماء فيعرفونها بأنها : " برنامج كامل يضم فى أطوائه جميع المعارف التى يحتاج إليها الناس ليبصروا و يستكشفوا معالم الطريق الذى يجمعهم راشدين " <sup>(٣)</sup> . وقام من عنده أهليه الدعوة إلى الله بترغيب الناس إلى فعل الخير و تحذيرهم من الوقوع فى الشر و إنقاذهم مما وقعوا فيه و بيان محاسن الإسلام لغير المسلمين ليدخلوا فيه <sup>(٤)</sup> .

و على هذا فإن الدعوة هى إلتزام بدين الله الذى بعث رسله و أنزل به كتبه و الذين يستجيبون فى هذه الدعوة هم حزب الله ، ويقول بن القيم : " الدعوة جمع داع ، كقاضٍ وقضاة ، ورام ورماة و اضافتهم إلى الله للاختصاص أى دعوة المخصوصين به ، الذين يدعون إلى دينه و عبادته و معرفته و محبته و هؤلاء هم خواص خلق الله عند الله منزلة وأعلاهم قدرًا فالداعى إلى الله هو الذى يدعوا الناس بالقول و العمل إلى الإسلام و إلى تطبيق منهجه و إعتناق عقيدته و تنفيذ شريعته " <sup>(٥)</sup> .

### تعريف بالكتاب :-

إن الكتاب هو كتاب " حضارة العرب " للمستشرق الفرنسى جوستاف لوبون .  
وقد قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ " عادل زعيتر " و طبع الكتاب بمطبعة عيسى البابى الحلبي و شركاه سنة ١٩٦٩ م .

- ١- البهى الخولى ، تذكرة الدعاة ، مكتبة وهبة ، ص ٢٧ .
- ٢- د/ رؤوف شلبى ، الدعوة الإسلامية فى عهدى المكي : مناهجها و شأيتها ، ط ٢ ، دار الفكر بالقويت ١٩٨٢ ، ص ٣ .
- ٣- الشيخ محمد الغزالى ، مع الله ، ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية ، ١٩٨١ م ، ص ١٧ .
- ٤- د. / محمد رجب الشنوى ، الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب و السنة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٢٦ .
- ٥- جمعة أمين عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ .

والأستاذ عادل زعيتر من الأساتذة الذين عكفوا على الترجمة إلى اللغة العربية وله باع طويل في هذا المجال ، فقد كان ضليعاً في اللغة وأصيلاً في التعبير بالعربية وفحولة التركيب اللغوي كما قال عنه الأستاذ محمد عبد الغني حسن . وقالت عنه الدكتورة بنت الشاطي " أنه الذي رد للترجمة اعتبارها بعد أن هبط بها المرتزقة والمأجورون وصناع الاستعمار الفكري " .

هذا فضلاً عن أنه كان عالماً في السياسة والأدب والاجتماع كما يقول عنه كامل الشماوي ولهذا كان جامعة وحدها ومجمعاً وحده وهو ظاهرة لا تتكرر في كل قرن من الزمان كما يقول وديع فلسطين .

ويشيد به كل المثقفين العرب في أسلوبه وبلاغته حتى إنهم يعتبرونه إماماً من أئمة البلاغة العرب في هذا العصر . وعن ترجمته لكتاب حضارة العرب يقول طه الهاشمي من بغداد " .... والله لو لم يترجم عادل زعيتر تلك المجلدات العربية من أمهات الكتب بذلك القلم السيل البليغ ، واكتفى بترجمة كتاب " حضارة العرب " لجوستاف لوبون وحده لكفاه فخراً وخلوداً .... و يقيني أن خدمته للأمة العربية تفوق أضعافاً مضاعفة خدمات رجال السياسة والأدب من أبناء العروبة " .



## الفصل الأول

### الملاحظات الإيجابية فى العقيدة و الشريعة

و يحتوى على :-

- الملاحظات الإيجابية فى العقيدة .
- الملاحظات الإيجابية فى الشريعة .
- شمولية الإسلام .





# مقدمة

سأتناول فى هذا الفصل الملاحظات التى تُحسب للمؤلف فى حديثه عن الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخ الأمة الإسلامية ورسولها الكريم صلى الله عليه وسلم ، والتى أصاب فيها جوستاف لوبون وأعطى للإسلام والمسلمين حقوقهم فيها ، وأنصف الإسلام فيها ، ولا نعدم الحقيقة فى كثير من تلك الموضوعات فقد أصاب المؤلف فى الكثير من النقاط والمباحث التى تناولها مثل العلاقات الأوضاع الاجتماعية والقضائية فى الإسلام ، وحقوق الرقيق فى الإسلام وأوضاع الأجانب فى ديار الإسلام .

# المبحث الأول

## الملاحظات الإيجابية فى العقيدة :-

أبدأ بملاحظات المؤلف عن العقيدة وفى هذا البحث نبدأ ببيان معنى العقيدة .  
والمعنى اللغوي للعقيدة : فى المعجم الوسيط <sup>(١)</sup> : " الحكم الذى لا يقبل الشك فيه  
لدى معتقده ، وفى الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة  
الرسول والجمع عقائد " .

والمعنى الاصطلاحي للعقيدة : " هي الجانب النظري الذى يطلب الإيمان به  
أولاً وقبل كل شئ إيماناً لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهه ، ومن طبيعتها : تضافر  
النصوص الواضحة على تقريرها ، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع  
ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءه ، وهى أول ما دعا إليه الرسول ، وطلب  
من الناس الإيمان به فى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وهى دعوة كل رسول جاء من  
قبل الله ، كما دل على ذلك القرآن فى حديثه عن الأنبياء والمرسلين " <sup>(٢)</sup> فيقول الله تعالى :  
تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾  
<sup>(٣)</sup> . ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فى الأرض  
فانظروا كيف كانت عاقبة المكذِبين ﴾ <sup>(٤)</sup> ويقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى  
قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... ﴾ <sup>(٥)</sup> ويقول تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادٍ  
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> . ويقول سبحانه :

- ١- المعجم الوسيط ، ح ٢ ، ط ٣ ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٥ ، ص ٦٣٧ .
- ٢- الشيخ محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة و شريعة ، ط ١٣ ، دار الشروق ، ١٩٨٥ ، ص ٩ ، ١٠ .
- ٣- سورة الأنبياء ، آية ٢٥ .
- ٤- سورة النحل ، آية ٣٦ .
- ٥- سورة الأعراف ، آية ٥٩ .
- ٦- سورة الأعراف ، آية ٦٥ .

﴿وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ...﴾<sup>(١)</sup>  
 ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ...﴾<sup>(٢)</sup>

ويشهد جوستاف لوبون<sup>(٣)</sup> في حديثه عن العقيدة أن سهولة الإسلام العظيمة تُشتق من التوحيد المحض وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام فيقول: "وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفي السهولة سر قوة الإسلام، وإدراكه سهل خالٍ مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم، غالبًا، من المتناقضات والغوامض ولا شيء أكثر وضوحًا وأقل غموضًا من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد بمساواة جميع الناس أمام الله وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها ويدخل النار من يعرض عنها. وأنتك إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثًا عن التثليث والاستحالة وما ماثلها من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل ويركز الدين الإسلامي على عقيدة التوحيد التي هي لب العقيدة الإسلامية وروح الوجود الإسلامي، المتمثلة في الإيمان بإله واحد له الخلق والأمر وإليه المصير، وهو رب كل شيء، ومدبر كل أمر، وهو وحده الجدير بالعبادة والشكر والطاعة لا الجحود والكفر والعصيان<sup>(٤)</sup>. وفي ذلك يقول تعالى:

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾<sup>(٥)</sup>

١- سورة الأعراف، آية ٧٣.

٢- سورة الأعراف، آية ٨٥.

٣- حضارة العرب، ص ١٢٥.

٤- د/ يوسف القرضاوي، حقيقة التوحيد، ط ٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٥، ص ٥.

٥- سورة الأنعام، آية ١٠٢، ١٠٣.



و يقول الدكتور يوسف القرضاوي<sup>(١)</sup> فى التوحيد الأمور به : " إنه توحيد اعتقادي علمى ، و توحيد عملي سلوكي ، و بعبارة أخرى هما توحيدان لا يغنى أحدهما عن الآخر : توحيد فى المعرفة والإثبات والاعتقاد ..... و توحيد فى الطلب والقصد والإرادة . فلا يقبل إيمان امرئ عند الله ما لم يقيم بتوحيد الله سبحانه : علماً واعتقاداً ، بأن يؤمن بأنه تعالى واحد متفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له ولا شبيه له ، ولا ولد ولا والد له .

وتوحيده كذلك : قصداً وعملاً ، بأن يفرده عز وجل بالعبودية الكاملة والطاعة المطلقة ، والدال له والإنابة إليه والتوكل عليه والخشية منه والرجاء فيه ... إلخ .

وقد بنى الدين الإسلامى على اليسر والسماحة فى تعاليمه التى جاءت تلبية لطبيعة الإنسان على وجه معتدل ، لا إفراط فيه ولا تفريط<sup>(٢)</sup> وهذا واضح من قول الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله كذلك : ﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله سبحانه : ﴿ ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾<sup>(٥)</sup> .

و يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " يسروا ولا تعسروا وبشروا وتنفروا " <sup>(٦)</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم " إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا " <sup>(٧)</sup> .

و يقر بسماحة الإسلام ويسره وعقلانيته المستشرق توماس أرنولد<sup>(٨)</sup> حيث يقول :  
: " الإسلام فى جوهره دين عقلى ، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الإشتقاقية

- ١- حقيقة التوحيد ، ص ١٧ .
- ٢- محمود شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، ط ٨ ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ٢١ .
- ٣- سورة البقرة ، آية ٢٨٦ .
- ٤- سورة البقرة ، آية ١٨٥ .
- ٥- سورة الحج ، آية ٧٨ .
- ٦- رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب " الدين يسر " ج ١ ، ص ٩٣ ، رقم ٣٩ عن أبى هريرة .
- ٧- رواه البخارى فى كتاب العلم ، باب " ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوله بالموعظة " ، عن أنس رضى الله عنه ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، رقم ٦٩ .
- ٨- سير توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

والتاريخية . فإن تعريف الأسلوب العقلي بأي طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ، ينطبق عليها تمام الانطباق .

والحق أن محمداً الذي كان متحمساً لدينه ، كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان ، و نار الإقتناع تلك الصفة القيمة التي بثها كثيراً جداً في أتباعه – قد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحي وإلهام : على أن هذا النوع من الوحي ليس إلا صورة من العرض والتفسير وإن لدينا كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل . وتتلخص العقيدة الإسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الإعتقاد بوحداية الله ورسالة نبيه ، أما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليل لا روح فيه ، فنعتقد في الله وفي الحياة الآخرة . وهذان المبدآن هما أقل ما ينبغي للاعتقاد الديني ، وهما أمران يستقران في نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق ، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها فهي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام . ومما لا سبيل إلى إنكاره أن كثيراً من عقائد اللاهوت ونظمه ، وكثيراً من الخرافات كذلك ، من عبادة الأولياء إلى استخدام المسابح والتعاويذ قد طعم به الجزعة الرئيسى للعقيدة الإسلامية . ولكن على الرغم من التطور الخصب ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى لتعاليم النبي، حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل ، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة .

وقد جهر القرآن دائماً بمبدأ الوحدانية فى عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التمول . ومن العسير أن نجد فى غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا ، وإن هذا الإخلاص كمبدأ الدين الأساسى ، والبساطة الجوهرية فى الصور التى يصاغ فيها هذا الدين والدليل الذى كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعاً يلهب حماسة وغيره ، إن هذا كله يكون الأسباب الكثيرة التى تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد خالية من جميع التعقيدات الفلسفية ، ثم هى تبعاً لذلك فى

متناول إدراك الشخص العادي ، أن تمتلك - و أنها لتمتلك فعلاً - قوة عجيبة ، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس.

وقد أصاب المؤلف كذلك حينما أقر صراحة أنه من دواعي انتشار الدين الإسلامى واقتناع الناس به ليس فى البلاد المفتوحة فحسب ، بل كل من عرف أصول الدين الإسلامى ، وخاصة أنه يدعوا إلى العدل والإحسان فيقول : " وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعده على إنتشاره فى العالم ، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الدين الإسلام ، كما نفسر السبب فى عدم أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً ، سواء كانت هذه الأمة غالبية أم مغلوبة (١).

والإسلام من أكثر الديانات ملائمة لاكتشافات العالم ، ومن أظلمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح ، وإن فاقت جميع الأديان السامية فلسفة ، تراها مضطرة أن تتحول تحولات ما تستمر بها الجموع ، وهى لا شك ، دون الإسلام فى شكلها المعدل هذا " (٢).

فمن الأسس التى قام عليها الإسلام الحنيف وحض المسلمين على نشرها والعمل بها " العدل " وقد عرفه ابن مسكويه فى تهذيب الأخلاق : " بأنه فضيلة للنفس تحدث من إجتماع الفضائل الثلاث : الحكمة والعفة والشجاعة ، وذلك عند مسالة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزه ، حتى لا تتغلب ولا تتحرك نحو مطالبها على سوء طبائعها ، ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدا الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً ، ثم الإنصاف من غيره له (٣).

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١٢٥ .

٢- نفس المرجع ، ص ١٢٦ .

٣- د. أحمد محمد الحوفي ، من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، دار نهضة مصر ، ص ١٠٦ .



وهذا يعني إعطاء كل ذي حق حقه بغير تفرقة بين المستحقين ، ومواخذة المسيء أو المقصر على قدر إساءته وتقصيره بدون إعنات أو محاباة" <sup>(١)</sup> وقد حث الله تعالى المسلمين على الأمر بالعدل والحكم به فيما بينهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> . ولم يأمر الله سبحانه بالعدل بين المسلمين فحسب ، بل أمر بإقامته أيضا بين الأعداء فيقول : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وحتى بين أهل الكتاب كذلك فيقول تعالى : ﴿ ... وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> وكيف يحكمونك وعندهم التَّورَةُ فيها حكمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ مَا نَشَاءُ مِنْهُم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

١- نفسه.

٢- سورة النساء ، آية ٥٨.

٣- سورة المائدة ، آية ٨.



مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَآخُذْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ... ﴿١﴾

وقد سار الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا النهج القويم فى إقامة العدل بين المسلمين وغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، ويظهر هذا من موقفه من الأسرى فى غزوات المسلمين ، و موقفه من المخزومية التى سرقت فأقام الحد عليها ، وكذلك موقف الخلفاء الراشدين والحكام المسلمين فى البلاد المفتوحة ، ووصايا الخلفاء لهؤلاء الولاة لإقامة العدل بين المسلمين ، ولسنا بصدد تفصيل هذه المواقف (٢).

وأما "الإحسان" فهو يعنى الإنعام والتفضل ، وهو الفعل الحسن الذى هو ضد الإساءة (٣). ويقول صاحب منهاج المسلم فى الإحسان : "المسلم لا ينظر إلى الإحسان ، وإنه خلق فاضل يجل التخلق به فحسب ، بل ينظر إليه وإنه جزء من عقيدته ، وشق كبير من إسلامه ، إذ الدين الإسلامى مبناه على ثلاثة أمور وهى الإسلام والإيمان والإحسان ، كما جاء ذلك فى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فى الحديث المتفق عليه لما سألته عن الإسلام والإيمان والإحسان وقال عقب انصرافه ، هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم ، فسمى الثلاثة ديناً" (٤).

وفى الحديث الكريم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "... قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فأنت لم تكن تراه فإنه يراك ، قال: صدقت ..."(٥).

- ١- سورة المائدة ، آية ٤٢ - ٤٨ .
- ٢- د. أحمد محمد الحوفي ، من أخلاق النبى ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، على عبد الواحد وافي ، حقوق الإنسان فى الإسلام ، نهضة مصر ص ٦ ، - ١٢ .
- ٣- د. عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامى ، ص ٢٠٧ .
- ٤- أبو بكر الجزائري ، منهاج المسلم ، ص ١٥٢ .
- ٥- الحنبلي البغدادي ، جامع العلوم والحكم ، ط ٥ ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨٠ ، ص ٢٧ أخرجه الإمام مسلم فى أول كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، و هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ٣٦/١ رقم ١ و أخرجه البخاري فى كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان عن حديث أبى هريرة ١١٤/١ رقم ٥٠ .

وقد جاء ذكر الإحسان فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، فجاء منها مقرونا بالإيمان وتارة مقرونا بالإسلام ، وتارة مقرونا بالتقوى أو بالعمل الصالح <sup>(١)</sup> . فالمقرون بالإيمان كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

أى بالعودة على المحتاج ، وقيل أحسنوا الظن بالله ، وأحسنوا فى أعمالكم بامتنال الطاعات ولعله أولى <sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ... ﴾ <sup>(٥)</sup> أى أى أعمالكم سواء كانت لازمة لأنفسكم أو متعديّة للغير أى عملتموها على الوجه المستحسن اللائق أو فعلتم الإحسان وما يترتب عليه من ثواب <sup>(٦)</sup> والقرون بالإسلام كقوله كقوله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ... ﴾ <sup>(٧)</sup> والمقربون بالتقوى فى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ... ﴾ <sup>(٨)</sup> و تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الله تعالى فى الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان <sup>(٩)</sup> . ويقول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى... ﴾ <sup>(١٠)</sup> أى إحسان الأعمال والعبادة أى الإتيان بها على الوجه اللائق <sup>(١١)</sup> وكذلك قول الله تعالى عن المحسنين : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

١- نفسه ، ص ٤٢ .  
٢- المائدة ، آية ٩٣ .  
٣- الألوسي ، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، ج ٢ ، دار الفكر ، ١٩٩٧ ، ص ١١٨ .

٤- سورة الكهف ، آية ٣٠ .  
٥- سورة الأسراء ، آية ٧ .  
٦- الألوسي ، روح المعانى ، ج ٩ ، ص ٢٧ .  
٧- سورة البقرة ، آية ١١٢ .  
٨- سورة يونس ، آية ٢٦ .  
٩- الحنبلي البغدادي ، جامع العلوم و الحكم ، ص ٤٣ .  
١٠- سورة النحل ، آية ٩٠ .  
١١- الألوسي ، روح المعانى ، ج ٨ ، ص ٣٢١ .

﴿١٢٨﴾ (١) والإحسان هنا بمنزلة السير والسلوك فى الأحوال والمقامات إلى أن ينتهى إلى  
محو الرسم والوصول إلى مخدع الأنس (٢) وقوله تعالى :

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ  
لِتُكْبِرُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) أي المخلصين فى كل ما يأتون ويزرون  
يزرون فى أمور دينهم ، وعن ابن عباس هم الموحدون (٤) .

وعن الأخلاق فى القرآن يتحدث جوستاف لوبون (٥) بموضوعية فائقة وقد أصاب  
أصاب فى قوله معترفًا بأن الدين الإسلامى يدعوا إلى مكارم الأخلاق التى دعت إليها  
الديانات السابقة كاليهودية والمسيحية ، ولكن الإسلام فاق هذه الديانات لأن أهله  
طبقوا هذه الأخلاق وتمسكوا بها على عكس الديانات الأخرى ، فيقول : " أصول الأخلاق  
فى القرآن طيبة ، فالقرآن يأمر بالصدقة والإحسان والقرى والاقتصاد فى الرغائب  
والوفاء بالعهد وحب الأقربين واحترام الوالدين وحماية الأياىم واليتامى وبما نجده  
مكرراً فيه من درء السيئة بالحسنة ، وتتطابق أصول الأخلاق فى القرآن ما ورد فى  
الإنجيل تقريباً : بيد أنه لا أهمية كبيرة لدراسة ما فى أحد الكتب من أصول الأخلاق ما  
كانت مبادئ الأخلاق فى كل دين طيبة ، وليست مكارم الأخلاق التى تؤمر بها الأمم ، إذا  
هى التى تجب معرفتها عند البحث فى شئونها ، بل ينظر إلى ما عملت به منها ، ولا  
عجب ، فقد دلت المشاهدة على أن مطابقة الأعمال للأقوال ضعيفة جداً على العموم وقد  
حاولنا فى الفصل الذى خصصناه فى كتابنا الأخير للبحث فى نشوء الأخلاق ، أن نثبت  
أن نشأة الدين فى تكوين الأخلاق أمر ثانوي على العموم ، وأن الأخلاق وليدة  
المنفعة والبيئة والرأى وقواعد الحقوق والإنتخاب الطبيعى والتربية والذكاء و

- ١- سورة النحل ، آية ١٢٨ .
- ٢- الألوسى ، روح المعانى ، ج ٨ ، ص ٣٨٨ .
- ٣- سورة الحج ، آية ٣٧ .
- ٤- الألوسى روح المعانى ، ج ١٠ ، ص ٢٣٥ .
- ٥- حضارة العرب ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .



ما إلى ذلك ، وقد ذكرنا فيه أن أقدم الديانات لم تنص على أصول الأخلاق ، وأن النص على مبادئ الأخلاق لم يكن في غير أديان الهندوس و أديان موسى وعيسى ومحمد ، وأن هذه الأديان لم تصنع أكثر من تأييدها لما كان معروفاً ، وأن هذا التأيد قام على الأمل في الثواب والخوف من العقاب في اليوم الآخر ، وأن خوف العقاب لم يكن مهيمنا على أكثر الناس ما جعلت تلك الأديان غفران الذنوب أمراً سهلاً .

ومن أفضل المنازل عند الله سبحانه وتعالى وأكرمها حسن الخلق ومكارمها<sup>(١)</sup> ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> كما جمع له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال عليه الصلاة والسلام : " حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار"<sup>(٤)</sup> وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أحبكم إلى أحسنكم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويلفون "<sup>(٥)</sup> وعن حسن الخلق قال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدواء الأدوية ؟ قالوا بلى . قال : الخلق الدني ، واللسان البذي . وقال بعض الحكماء : من ساء خلقه ضاق رزقه . وقال بعض البلغاء : الحسن الخلق من نفسه في راحة ، والناس منه في سلامة ، والسيء الخلق الناس منه في بلاء ، وهو من نفسه في عناء وقال بعض الحكماء : عاشر أهلك بأحسن أخلاقك فإن الثواء فيهم قليل<sup>(٦)</sup> .

وهكذا فالإسلام يهدي إلى الأخلاق الفضلى والمثل العليا ، والقرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين المنزل من عند الله تعالى الذي يعلم السرو والنجوي وما هو أخفى عظيم

١- ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج٢ ، دار البيان العربى ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

٢- سورة القلم ، آية ٤ .

٣- سورة الأعراف ، آية ١٩٩ .

٤- رواه الإمام أحمد ، رقم ١ - ٢٦٠ .

٥- رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ، ج٤ ، ص ٣٢٥ ، رقم ٢٠١٨ ، وقال هذا حديث حسن وغريب و التونة : التمهيد و التذليل ، و فراش و طى لا يؤذي جنب الذائم ، و الأكناف الجوانب ، أراد الذين جوانبهم و طينة يتمكن فيها من يصاحبهم و لا يتأذى . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص ٢٣٢ .

٦- الماوردي ، أدب الدنيا و الدين ، تحقيق حمزة الشيرازي و آخرون ، القاهرة ، ص ٢٩٤ .



# المبحث الثانى

## الملاحظات الإجابية فى الشريعة :-

الشريعة فى اللغة: فى المعجم الوسيط ، ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام وهى الطريقة . والتشريع هو: سن القوانين <sup>(١)</sup> وعلى ذلك فهى المنهج ، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا... ﴾ <sup>(٢)</sup> وكذلك ﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا... ﴾ <sup>(٣)</sup>.

الشريعة فى الاصطلاح : والشريعة هى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه المسلم ، وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون ، وعلاقته بالحياه . <sup>(٤)</sup>

وفى تعريف آخر : هى كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رق الوثنية والتقليد والخرافات... وما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الإنسان من زيغ الأهواء ، وفتنة الشهوات .

وما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفساد والإستبداد <sup>(٥)</sup>. ومن أجل هذا كله جاءت الشريعة بنظام مدنى ينظم علائق الناس بعضهم مع بعض ، وعلائقهم بالسلطة والحاكمة ، ويصون لهم حقوقهم ويؤمن للجميع مصالحهم ، ويحقق فى الأرض عزتهم وسيادتهم <sup>(٦)</sup>.

١- المعجم الوسيط ، ج ١١ ، ص ٤٩٨ .

٢- الجاثية ، آية ١٨ .

٣- المائدة ، آية ٤٨ .

٤- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة و شريعة ، ص ١٠ .

٥- عبد الله ناصح علوان ، محاضرة فى الشريعة الإسلامية و فقها و مصادرها ، دار السلام للطباعة والنشر ، ص ٩ .

٦- نفسه .

ومما سبق يتضح أن الشريعة تقوم على ثلاث دعائم أساسية : " عقيدة عقلية وعبادة روحية ، ونظام قانونى قضائي " وهذا يدل على أن الإسلام من خلال شريعته دين ودولة <sup>(١)</sup>.

وسميت الأحكام الإسلامية بالشريعة لاستقامتها ولشبهها بمورد الماء لأن بها حياة النفوس والعقول كما أن فى مورد الماء حياة الأبدان . والشريعة والدين والملة بمعنى واحد - على رأى - وهو ما شرعه الله لعباده من أحكام ولكن هذه الأحكام تسمى شريعة باعتبار وضعها وبيانها واستقامتها ديناً باعتبار الخضوع لها وعبادة الله بها وتسمى ملة باعتبار إملائها على الناس <sup>(٢)</sup>.

ويفسر فضيلة الإمام محمود شلتوت العلاقات فى الشريعة والتي تربط الإنسان بربه وبإخوانه المسلمين وإخوانه فى الإنسانية بالحياة كاملة بأنها تتمثل فى : أداء الواجبات الدينية كالصلاة والصوم ، وتبادل المحبة والتناصر على الدوام والأحكام الخاصة بتكوين الأسرة والميراث ، والتعاون فى تقدم الحياة العامة والسلم العام ، وحرية البحث والنظر فى الكائنات واستخدام آثارها فى رقى الإنسان والتمتع بلذائذ الحياة الحلال دون إسراف أو تقشف <sup>(٣)</sup>.

وفى مجال الشريعة تحدث جوستاف لوبون عن المرأة فى الإسلام وإباحة الإسلام لمبدأ تعدد الزوجات ، وقد دافع المؤلف بموضوعية عن هذه الأوضاع التى أقرها الإسلام وأوضح كيف أن الإسلام قد صان كرامة المرأة وحفظ لها حقوقها دون الأديان الأخرى فيقول : " إن من يقرأ القرآن يجد فيه ما فى الأديان الأخرى من الصرامة ، وإن ما أحبه

---

١- عبد الله ناصح علوان ، محاضرة فى الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها ، دار السلام للطباعة والنشر ، ص ٩.

٢- د. / عرفة سالم حسن سيف الدين ، " دعوى تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الرومانى " حولية كلية أصول الدين بالقاهرة ، العدد العاشر ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م ، ص ٣١٧.

٣- الشيخ محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ١٠ هوامش ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦.

القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريباً على الشعوب المسلمة التي عرفتة قبل ظهور محمد وأن هذه الشعوب لم تجد نفعا جديداً في القرآن لهذا السبب" (١).

ويقول في موضع آخر: "... وأرجو أن يثبت عند القاريء الذي يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوربية جانباً ، أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به ، ويزيد الأسرة ارتباطاً ، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا . وأقول قبل إثبات ذلك ، إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصاً بالإسلام ، فقد عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد ، ولم تر الأمم التي أعتنقت الإسلام فيه نغماً جديداً إذاً ، ولا نعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تحول الطبايع فتبتدع ، أو تمنع مثل ذلك المبدأ الذي هو وليد جو الشرقيين وعروقهم وطرق حياتهم" (٢).

ويدافع عن هذا المبدأ قائلاً: "وبما أن التأقلم المؤقت مما يتعزز في جو الشرق ولا يلائم مزاج الشرقيين ، كان مبدأ تعدد الزوجات ضربة لازب ... ولا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوربيين ، وأبصر العكس فأرى ما يجعله أسنى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظرهم إلى هذا الإحتجاج شذراً . ومن السهل أن ندرك علل إقرار الشرائع الشرقية لمبدأ تعدد الزوجات بعد أن نشأ عن العوامل الجسمانية المذكورة آنفاً ، فحب الشرقيين الجم لكثرة الأولاد وميلهم الشديد إلى الحياة الأسرية وخلق الإنصاف الذي يردعهم عن ترك المرأة غير الشرعية بعد أن يكرهوها" (٣).

ويستطرد في تبريره ودفاعه عن مبدأ تعدد الزوجات في الإسلام فيقول: "يتزوج رب الأسرة صغيراً على العموم ، وتضعف زوجته الأولى بعد أن تكون ذات أولاد كثير على

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١٢٧ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩٧ .

٣- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩٨ .

حين يبقى تام القوة فيضطر للزواج مرة أخرى بتحريض الزوجة الأولى غالباً و بموافقتها تقريباً... وقد يعجب المرء أول وهلة من حمل امرأة زوجها على الزواج بمرأة أخرى ، ولكن العجب يزول حينما نعلم أن النساء الإسلامية الزراعية هن الآئى يقمن بشئون المنزل مهما كانت شاقة .

و من ثم ترى أن الزوجة تشير فى تلك الأحوال على زوجها بأن يبني بزوجة أخرى و لا سيما إذا ما علمت أنها تصنع ذلك حينما تكون آخذة فى الهرم منهمكة فى واجبات الأمومة " (١) .

ويستكمل المؤلف دفاعه وإيراده للأسباب التى تدفع الرجل لتعدد الزوجات قائلاً "حبهم للذرية الكثيرة ، ولا عجب ، فالعقم عند الشرقيين من أعظم ما يصاب به إنسان والشرقي إذا ما رزق بضعة أولاد طمع فى زيادة عددهم ، وتزوج نساء أخروصلاً إلى هذا الغرض " (٢) .

ويربط المؤلف حديثه عن تعدد الزوجات فى الإسلام بمدى تأثير الإسلام فى المرأة المسلمة وما كرمها به من حقوق جعلها تفوق كل النساء فى العالم ، وفى هذا الموضوع يتحدث المؤلف بموضوعية فائقة من منطلق الحقوق التى منحها الإسلام للمرأة ووردت فيها آيات كثيرة فى القرآن فيقول : " لم يقتصر الإسلام على مبدأ تعدد الزوجات الذى كان موجوداً قبل ظهوره ، بل كان ذا تأثير عظيم فى حال المرأة فى الشرق ، والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعى وشأنها رفعا عظيما بدلاً من خفضها خلافاً للمزاعم الكثرة على غير هدى ، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما فى أكثر قوانيننا الأوربية .. أجل أباح القرآن الطلاق كما أباحت قوانين أوروبا التى قالت به ، ولكنه اشترط أن يكون للمطلقات متاع بالمعروف " (٣) .

١- نفسه ، ص ٤٠٠ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٠٠ .

٣- نفسه ، ص ٤٠١ .



ويقارن المؤلف بين وضع النساء فى المجتمع العربى قبل الإسلام وما أصابهن من وأد ، وانظر إليهن على أنهن مثل البهائم ، وكذلك فى أوربا العصور الوسطى ، وبين وضعهن فى ظل الإسلام فيقول : " أن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من إحترام المرأة ، والإسلام ، إذا لا النصرانية ، هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل الذى كانت فيه ، وذلك خلافا للإعتقاد الشائع ، وإذا نظرت إلى سنيوارت الأنصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئا من الحرمة للنساء ، وإذا تصفحت كتب تاريخ ذلك الزمن وجدت ما يزيل كل شك فى هذا الأمر ، وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظا نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى و من ذلك ما جاء فى تاريخ غاران لولو هيران عن معاملة النساء فى عصر شارل مان وعن معاملة شارل مان نفسه لهن كما يأتى : " انقض القيصر شارل مان على أخته فى أثناء جدال وأخذ بشعرها وضربها ضربا مبرحا وكسرى بقفازة الحديدى ثلاثا من أسنانها " ، فلو حدث مثل هذا الجدل مع سائق عربية فى الوقت الحاضر لبدا هذا السائق أرق منه لا ريب " (١) .

ويصل جوستاف لوبون فى حديثه عن تكريم الإسلام للمأة أدى ذلك إلى إشتهار كثيرات منهن فى العالم بكافة فروعها وخاصة فى بلاد الأندلس فيقول : " إن نساء ذلك الزمن - الذى كان للعلم والأدب شأن عظيم فيه ببلاد الأندلس - كن محبات للدرس فى خدورهن ، وكان الكثير منهن يتميزن بدمائتهن ومعارفهن ، وكان قصر الخليفة يضم لبنى أى هذه الفتاة الجميلة العالمة بالنحو والشعر والحساب وسائر العلوم ، والكتابة البارعة التى كان الخليفة يعتمد عليها فى كتابة رسائله الخاصة . . . وكانت فاطمة تكتب بإتقان نادر ، وتملك مجموعة ثمينة من كتب الفن والعلوم ، وكانت خديجة (٢) تنظم الأبيات الرائعة وتنشدها بصوتها الساحر ، وكانت مريم تعلم بنات الأسر الراقية فى أشبيلية

١- جوستاف لوبون حضارة العرب ، ص ٤٠٣ .

٢- خديجة المذكورة هنا ليست خديجة بنت خويلد وإنما هى إحدى جوارى عبد الرحمن الثالث فى الأندلس وكانت شاعرة تقرأ الشعر .

وكانت راضية نابغة عصرها فى القريض ... " (١) وغيرهن كثيرات . ولكى يثبت المؤلف بالدليل القاطع أن الإسلام قد كرم المرأة تكريمًا عظيمًا فيقارن بينها وبين النساء فى المجتمعات الأخرى ، فى أسبرطة فى اليونان ، وفى أسبانيا وغيرها من المجتمعات الأخرى التى تحتقر شأن المرأة (٢) .

ويختتم المؤلف حديثه عن المرأة فى الإسلام وتأثير الإسلام على أوضاعها على عكس وضع المرأة فى المجتمعات الأخرى فيقول : "... إن مبدأ تعدد الزوجات أمر طيب وأن حب الأسرة وحسن الأدب وجميل الطبائع أكثر نموًا فى الأمم القائلة به مما فى غيرها على العموم ، وأن الإسلام حسن حال المرأة كثيرًا ، وأنه أول دين رفع شأنها ، وأن المرأة فى الشرق أكثر احترامًا وثقافة وسعادة منها فى أوروبا على العموم تقريبًا " (٣) .

ويتطرق المؤلف بعد ذلك للحديث عن نظام الميراث فى الإسلام ، وقد أصاب حين وصف هذا النظام بالعدل والإنصاف فيقول " وتعد مبادئ المواريث التى نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف ، ويمكن للقارئ أن يدرك هذا من الآيات التى أنقلها منهم ولم يبصر فى القرآن جميع الأحوال التى عالجها المفسرون فيما بعد وإن أشير فيه بدرجة الكفاية إلى روحها العامة ، ويظهر من مقابلتى بينها وبين الحقوق الفرنسية ، والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات ، اللآئى يزعم أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف حقوقا فى المواريث لا تجد مثلها فى قوانيننا " (٤) .

وفى حقيقة الأمر أن نظام الميراث يعد من النظم التى ينفرد بها الإسلام دون سائر النظم سواء كانت وضعية أم سماوية ، لأنه أعطى سهمًا لكل وارث من الأهل وكذلك

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٠٤ .

٢- نفسه ، ص ٤٠٦ - ٤٠٩ .

٣- نفسه ، ص ٤١٥ .

٤- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ص ٣٨٩ .

قرر لأجل توزيع التركات نظاما يكاد يكون فريداً في نوعه ، وأيضاً لأنه منح الأنثى نصيباً عظيماً في هذا الميراث <sup>(١)</sup>.

وقد بنى الميراث على قواعد أساسية في الشريعة الإسلامية تتمثل في -

**أولاً :** علاقتى القرابة والزوجية ، فالقرابة تشمل الآباء والأبناء والأخوة والزوجية تشمل الزوج والزوجة .

**ثانياً :** إلغاء صفات الذكورة والأنوثة ، والصغر ، والكبر ، فالكل منهم حق الميراث .

**ثالثاً :** أن الأصول والفروع لا يسقطون في أصل الإستحقاق بحال ما ، وإن كان يؤثر عليهم وجود غيرهم في كمية النصيب .

**رابعاً :** لا إرث للإخوات مع وجود الأبوين وإن كانوا ينزلون بنصيب الأم من الثلث إلى السدس .

**خامساً :** أنه متى اجتمع في الوارثين ذكور وإناث أخذ الذكر ضعف الأنثى <sup>(٢)</sup> .

وقد فصل القرآن نظام الميراث بين الأهل والأقرباء فيقول الله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ

اللَّهُ فِي أَوْلَادِهِ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُّسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا <sup>(٣)</sup>﴾

١- مصطفى الرافعي ، الإسلام نظام إنساني ، ص ٨٢ . فالواضح أن التفاوت في الميراث بين الرجل والمرأة ، جاء نتيجة للتفاوت بينهما في الأعباء المالية المفروضة على كل منها شرعاً . فلو افترضنا أبا مات وترك ابناً و بنتاً فالابن يتزوج و يدفع مهراً أو يدخل بالزوجة فيدفع نفقتها على حين تتزوج البنت فتأخذ مهراً ، ثم يدخل بها زوجها فيلتزم بالنفقة و لا يكلفها شيئاً و إن كانت من أغنى الناس فإذا كان قد ترك لهما مائة و خمسين ألفاً مثلاً . أخذ الابن منها مائة ألف و أخته خمسين ، فعندما يتزوج الابن قد يدفع مهراً و هدايا نقدرها بخمس و عشرين ألفاً فينقص نصيبه إلى خمسة و سبعين ألف ، في حين تتزوج البنت فتقبض مهراً و هدايا نقدرها بما قدرنا به ما دفع أخوها لمثلها فهنا يزيد نصيبها خمسة و سبعين ألفاً فيتساويا .

٢- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة و شريعة ، ص ٢٤٢ .

٣- سورة النساء ، آية ١١ .



ويقول تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ ۚ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّيكُ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوَرِّثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّيكُ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّتُهُ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ (١) ويقول سبحانه : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۝ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (٢) .

وهكذا وكما يقول الدكتور على عبد الواحد وافي (٣) : " ووضع الإسلام للميراث نظاماً حكيمًا يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً ، ويحول دون تضخمها وتجمعها في أيدي قليلة ، ويفتت رؤوس الأموال إلى ملكيات صغيرة ، وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى فيوسع بذلك دائرة الإنتفاع بها من جهة ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الناس . فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الأفراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس وتستحيل إلى ملكيات صغيرة وهذه هي أمثال طريقة لتقليل الفروق بين طبقات الناس وتقريبها بعضها من بعض " .

وقد حذر الله من الأخلال بهذه القواعد فيقول ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

١- سورة النساء ، آية ١٢ .

٢- سورة النساء ، آية ١٧٦ .

٣- حقوق الإنسان في الإسلام ، مكتبة نهضة مصر ، ص ٢١ ، ٢٢ .



فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ  
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ (١).

ومن النظم الحضارية التي تحدث عنها المؤلف بموضوعية تامة وأصاب في تحليله  
للموضع أو النظام القضائي في الإسلام القائم على العدل والإنصاف فيقول : " ونظام  
القضاء والمرافعات عند المسلمين بسيط إلى الغاية ، أى أنه يقوم بالقضاء قاض منفرد  
معين من قبل ولي الأمر ، ولا تستأنف أحكام القاضي ، ويحضر الخصوم أمام القاضي  
بدعوة ، ويترافعون إليه مشافهة ، ويعرضون عليه بيناتهم التي قد تكون على الإقرار  
أو الشهادة أو التحليف ، فينطق بالحكم حالا ، وقد أتيح لي في مراكش أن أشاهد إصدار  
هذه الأحكام المختصرة ، فرأيت القاضي جالسا في الساحة التي هي أما قصر الوالي  
والخصوم والشهود حوله جثيا موجزين قضاياهم ، وأحكام القاضي تنفذ فوراً حينما  
يكون ذلك ممكنا كأن يأمر بجلد المذنب بضع جلدات . أجل قد لا تضمن تلك الطرق  
البسيطة العدل كما تضمنه طرقنا الأوروبية المعقدة ، ولكنها لا تضيق وقت المتقاضين  
الذين على كل حال ، ولا تثقلهم بالنفقات القضائية التي تدفع في العالم فتخرب بيوتهم  
غالبا . وتكون أحكام أولئك القضاة عادلة على العموم مع بساطة تلك الطرق ، فروح العدل  
والإنصاف نامية كثيراً في العرب ويرجع نموها فيهم إلى أن العدل أساس الحياة في تلك  
المجتمعات التي لا تزال على الفطرة ، لا إلى أمر القرآن وحده بالعدل على أن العدل من  
أحسن الفضائل " (٢).

وحديث جوستاف لوبون يتطابق تمام التطابق مع بداية النظام القضائي في  
الإسلام ، ففي بدء عهد الإسلام ، لم يكن لجماعة المسلمين من قاض غير رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، ولقد كانت الطريقة التي يعتمد عليها في القضاء طريقة وجدانية صرفة  
لا تعقيد فيها ولا فخامة ، بل هي تنحصر في تنفيذ قول الله تعالى : ﴿... فَأَحْكُمْ

١- سورة النساء ، آية ١٣ ، ١٤ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

يَنْهَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ... ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٢﴾.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بين الناس بما ينزل الله عليه من الوحي ويحضر الخصمان إليه مختارين ، فيسمع كلام كل منهما ، وكانت طريقته هي الإثبات بالبينّة وباليمين وبشهادة الشهود ، وبالكتابة وغيرها <sup>(٣)</sup> ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "البينة على من إدعى واليمين على من أنكر" <sup>(٤)</sup> ويقول كذلك صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر" <sup>(٥)</sup>.

ويقول عليه السلام : "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر" <sup>(٦)</sup>. وكان عليه الصلاة والسلام لا يحابي أحد من المتخاصمين ، فأثر عنه عليه السلام أنه قال ... فإذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقض حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء <sup>(٧)</sup>.

والدليل على هذه الأسس التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم للقضاء ، أنه جاء رجلان يختصمان في موارد بينهما قد درست ، وليس بينهما بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم تختصمون إلي رسول الله وإنما أنا بشر ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بينكم على ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، وإنما أقطع له قطعة من النار... فبكى الرجلان ، وقال كل منهما : حقي

١- سورة المائدة ، آية ٤٨ .

٢- سورة النساء ، آية ٦٥ .

٣- مصطفى الرافعي ، الإسلام نظام إنساني ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

٤- رواه الإمام النووي في الأربعين النووية ، رقم ٣٣ .

٥- رواه ملا علي قاري في الأزرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، ص ١٣٤ .

٦- رواه البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا أصاب أو أخطأ ، ج ١٣ ، ص ٣١٨ ، رقم ٧٣٥٢ .

٧- أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية باب "كيف القضاء" ج ٣ ، ص ٣٠٠ ، من حديث علي رضي الله عنه .

لأخى ! فقال لهما النبی : أما إذا فقوموا فاذهبوا فلتقتسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما ثم ليحل كل منكما صاحبه " (١).

ومن هذا المنطلق تم وضع الشروط الفقهية والصفات التي يجب توافرها في القاضي المسلم وخاصة بعد اتساع رقعة الدولة العربية والإسلامية والفتوحات الإسلامية وتمصير الأمصار التي فتحها المسلمون ، ومن هذه الشروط :-

[ أن يكون القاضي حراً مسلماً بالغاً عاقلاً عادلاً عالماً مجتهداً ] وإلى جانب هذه الشروط اختلفوا في كونه أن يكون قاضياً واحداً في الإقليم أو اثنين ، فاشتراط مالك أن يكون واحد ، أما الشافعي فيرى أنه من الجائز أن يكون هناك قاضيان في المصر " إذا رسم لكل واحد منهما ما يحكم فيه (٢) كما اشترط البعض الآخر الكفاية الجسدية فلا يكون قد أصابه العمى أو الخرس أو قطع أحد الأطراف (٣).

رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء :-

وقد وضع عمر بن الخطاب في رسائله للقضاة في الأمصار الإسلامية الدستور الذي يسرون على هديه في الأحكام ويعتبر أساس علم المرافعات في القضاء ، فيقول فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، سلام عليك : أما بعد فالقضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . وسوبين (٤) الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حقك ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر

١- مصطفى الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ . " ألحن بحجته " اللحن الميل عن جهة الاستقامة ، يقال لحن فلان في كلامه إذا مال عن صحيح المنطق ، و أراد أن بعضكم يكون أعرف بالحجة و أفطن لها من غيره ، و يقال لحن فلان إذا قلت له كلام يفهم و يخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، و منه قالو لحن الرجل فهو لحن إذا فهم و فطن لما لا يفطن له غيره . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ، ص ٥٦ .

٢- ابن رشد القرطبي الأندلسي ، بداية المجتهد و نهاية المقتصد ، ج ٢ ، دار الكتاب الحديث ، ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ابن حزم ، المحلى بالآثار ، ج ٨ ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ص ٤٢٧ .

٣- منيب محمد ربيع ، ضمانات الحرية في النظام الإسلامي و تطبيقاتها ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة الرابعة عشر ، الكتاب الثاني القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٥٩ .

٤- اعدل وساوى بينهم .

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق . فإن الحق قديم ، ومراجعتة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما إختلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم أعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها ، واجعل للمدعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى إليه ، فإن أحضر بينة أخذ بحقه ، وإلا وجهت القضاء عليه فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ للعدو . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلود في حد أو مجرما في شهادة زور أو ظنينا ( متهما ) في ولاء أو قرابة . فإن الله سبحانه تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات ، وأياك والقلق الضجر والتأذي للناس والتذكر للخصوم في مواطن القلق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الزجر ، فإنه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شأنه <sup>(١)</sup> .

ولأن القضاء هو الأداة المهيمنة الفعالة لحفظ الحقوق وصيانتها فقد ارتكز على العدل ، واعتبره الإسلام نوعا من أداء الأمانات <sup>(٢)</sup> فيقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ... ﴾ <sup>(٣)</sup> ونستنتج من كتاب عمر بن الخطاب إلى القضاة ، أن القضاء في الإسلام يرتكز على أمور منها : البساطة والروحانية والإعتماد في الغالب على ضمير القاضي وتدينه ، لا على علمه وتعقله <sup>(٤)</sup> . وقد كان القاضي يحكم بما يوحى إليه اجتهاده ، وخاصة قبل تبلور المذاهب الأربعة ، حيث كان يرجع القاضي إلى الكتاب والسنة في الفصل في الخصومات ولم يكن القضاء متأثرا بالسياسة فقد كان القضاة مستقلين بأحكامهم ، لا يتأثرون بميول

١- د. / حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ح ١ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

٢- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة و شريعة ، ص ٤٤٨ .

٣- سورة النساء ، آية ٥٨ .

٤- الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١٦١ .





الدولة الحاكمة<sup>(١)</sup>. ومن الواضح فى كتاب عمر رضى الله عنه تركيزه على المساواة باعتبارها إحدى أهم الركائز التى يقوم عليها النظام القضائى فى الإسلام ، فلا فرق عند القاضى المسلم بين غنى أو فقير ، ولا بين قوى أو ضعيف ، ولا بين صاحب المنصب و آحاد الناس .

كما نراه مهتماً أيضاً بمسألة التحرى الدقيق فى الحكم ، بحيث إذا راجع القاضى نفسه ولم يطمئن قلبه تمام الاطمئنان إلى الحكم الذى أصدره ، فلا يستنكف ولا يمنع الحياء أن يعود فى حكمه ، لأن مراجعة الحق – كما قال الفاروق رضى الله عنه – خير من التماذى فى الباطل .

وبالجملة ، فإن هذا الكتاب يعد بحق دستوراً متكاملًا للنظام القضائى فى الإسلام ويحتاج إلى مراجعة دقيقة من أصحاب هذا الشأن ، ولا يتسع المجال هنا لاستعراض كافة ما تضمنه من أسس وركائز للنظام القضائى .

وعلى مر العصور تطور النظام القضائى الإسلامى وأصبح هناك ديوان للقضاء ويقوم بمساعدة القاضى مجموعة من المساعدين والأعوان لإقرار العدل بين المتظالمين وهم: الحماة الذين كانوا من القوة بحيث يستطيعون التغلب على من يلجأ إلى العنف أو يحاول الفرار من وجه القضاء . وكذلك الأعوان الذين يقومون برد الحقوق إلى أصحابها بعد صدور الحكم . والفقهاء الذين يساعدون المسائل الشرعية التى تشكل عليه . فضلاً عن الكتبة الذين يسجلون الأقوال ، والشهود الذين يشهدون على ما يصدره القاضى من العد والحق<sup>(٢)</sup>.

١- نفسه ، ص ١٦٢  
٢- نفسه ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

## الرق:

كما أصاب و أجاد جوستاف لوبون عند حديثه عن الرق فى بلاد الإسلامية ، ولم تمنعه مسيحيته عن الإعتراف بأن الإسلام قد كفل كل الحقوق و الحريات لهؤلاء الرقيق بدرجة أن الأرقاء أنفسهم بوضعهم الممتاز عند المسلمين لم يكونوا يلجأون بأي حال من الأحوال بالمطالبة بالحرية لأنهم يتمتعون بكافة الحقوق التى منحت لهم أكثر من تمتع الأحرار بحريتهم ، فيقول : "واعترف جميع السياح الذين درسوا الرق فى الشرق درساً جدياً بأن الضجة المغرضة التى أحدثها حوله بعض الأوروبيين لا تقوم على أساس صحيح وأحسن دليل يقال تأييداً لهذا هو أن الموالى الذين يرغبون فى التحرير بمصر يذالونه بإبداء رغبتهم فيه أمام أحد القضاة و أنهم لا يلجأون إلى حقهم هذا ، قال مسيو إيبر مشيراً إلى ذلك : "يجب عد الرقيق فى بلاد الإسلام مبخوتا<sup>(١)</sup> على قدر الإمكان<sup>(٢)</sup> .

ويستشهد على ذلك بكثير من المؤرخين والمؤلفين الغربيين فيقول مسيو شارم : "يبدو الرق فى مصر أمراً ليناً هيناً نافعاً منتجاً ، ويعد إلغاؤه فيها مصيبة حقيقية ، ففي اليوم الذى لا يستطيع وحوش أفريقية الوسطى أن يبيعوا فيه أسرى الحرب ، ولا يرون فيه إطعامهم ، لا يحجمون عن أكلهم ، فالرق ، وإن كان لطفة عار فى جبين الإنسانية ، أفضل من قتل الأسرى أكل لحومهم إذا ما نظر إليه من وجهة نظر هؤلاء الأسرى ، وذلك على الرغم من رأى محبي الإنسانية من الإنجليز الذين يقولون إنه أجدر بكرامة الزنوج أن يأكلهم أمثالهم من أن يسودهم أجني<sup>(٣)</sup> .

وقال مدير مدرسة اللغات فى القاهرة مسيو دوفوجاني : "ترى الأرقاء الذين يستفيدون من الحرية الممنوحة لهم قليلين إلى الغاية مع أن هذه الحرية تسمح لهم بأن يعيشوا كما يشاءون من غير إزعاج ، فالأرقاء يفضلون حال الرق السالم من الجور على

١- المبخوت أي المحظوظ ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٤٢ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٧٧ .

٣- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٧٧ .

حال القلق الذى يكون مصدر آلام و متاعب لهم فى الغالب . . . وترى الأرقاء فى مصر أحسن حالا مما كانوا عليه قبل استرقاقهم بدلا من أن يكونوا من البائسين المناكيد وبلغ الكثيرون منهم - ولا سيما البيض - أرقى المناصب فى مصر، ويعد ابن الأمة فى مصر مساويا لابن الزوجة فى الحقوق ، وإذا كان ابن الأمة هذا بكر أبيه تمتع بكل ما تمنحه البكرية من الامتيازات ، ولم تكن من غير الأرقاء زمرة الممالك التى ملكت مصر زمننا طويلاً ، وفى أسواق النخاسة اشترى على بك وإبراهيم بك ومراد بك الجبار الذى هزم فى معركة الأهرام ، وليس من النادر أن ترى اليوم قائداً أو موظفاً كبيراً فى مصر لم يكن فى شبابه غير رقيق ، وليس من النادر أن ترى رجلاً فى مصر كان سيده المصرى قد تبناه وأحسن تعليمه وزوجه ابنته " (١) .

ويعترف جوستاف لوبون وغيره بأن الرفق بالأرقاء لم يكن فى بلد دون آخر من بلاد الإسلام ولكنه كان فى كل بقعة من بقاع الإسلام ، ويقول : " وليست مصر القطر الوحيد الذى يعامل فيه الأرقاء برفق عظيم ، أى ما تراه فى مصر ترى مثله فى كل بلد خاضع للإسلام . . . . . وأن الأرقاء عند العرب من الأبناء المدللين أكثر من أن يكونوا من الأجراء " (٢) وهذا دليل قاطع شهد به غير المسلمين على أن الإسلام نفسه هو الذى جاء بالأسلوب الأمثل لمعاملة هؤلاء الرقيق ، وهذه شهادة حق .

فقد كانت القاعدة قبل الإسلام أن الرق منافع لجميع الحقوق المدنية ، فكانوا كالنقيضين لا يجتمعان ، فلم يكن الرقيق أهلاً لإجراء أى عقد ، ولا يتحمل أى التزام ولا لتملك عقار ولا منقول ، وكل ما كان يقع فى يده عن طريق ميراث أو هبة أو وصية أو غير ذلك كان ينتقل بطريق آلى إلى مالكه ، فكان الرقيق يعتبر فى مثل هذه الحالات مجرد جسر تعبر عن طريقه الملكية إلى سيده ، وما كان يجوز أن تكون له أسرة ولا أن يتزوج بعقد كما يتزوج الأحرار (٣) .

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٧٨ .

٣- د. / عمر عبد العزيز قريشي ، سماحة الإسلام ، ج ٣ ، ط ١ ، دار الاستقامة ، ١٩٩٠ ، ص ٢٨٥ .

وليس لهم الحق فى تكوين أسرة بالمعنى القانونى الكامل ، كان الإتصال بين ذكورهم و إناثهم لا يعتبر زواجا وإنما كان يتم باختيار مواليتهم ، وفى صورة يقصد منها مجرد التناسل و تكاثر عدد الرقيق كما يحدث بين الأنعام<sup>(١)</sup>.

أما الإسلام فقد عمل تدريجياً على منع الرق ، رغم أن الرقيق قد كثر عددهم فى بداية عهد الإسلام من كثرة الحروب و ما نتج عنها من أسرى ، وقد اختلفت جنسية الأرقاء فى بدء عهد الإسلام و باختلاف الأمم التى حاربها ، فقد حرم الإسلام :

١ - استرقاق المسلمين رجالاً أو نساءً.

٢ - استرقاق الرجال من العرب ولو كانوا غير مسلمين.

٣ - استرقاق المعاهدين وغير المحاربين .

٤ - استرقاق الرجل الحر وأولاده من أمة .<sup>(٢)</sup>

ولم يبق إلا الحرب التى كانت مصدراً أساسياً من مصادر الاسترقاق ، وقد قيده الإسلام بعدة قيود ، بعد أن ضيق مجال الرق الوراثى . فقد حدد الإسلام أن تكون الحرب بين طائفتين من المسلمين لأن المسلمين لا يسترقون . و أن تكون شرعية بين المسلمين والكفار أو بين المسلمين والمشركون ، وبهذا ألغى الأسر والسبي بالنخاسة والإختطاف فضيق مجال الأسر . و ألا يكون المسلمون فى الحرب معتدين و إذا ما انتصر المسلمون على الكفار وأسروا منهم ، فهم مخيرون فى أن يمنوا على الأسرى بالإطلاق والتحرير بغير عوض أو فدية ، وهكذا أصبح النظام الغالب فى الإسلام هو المن والفداء ، وقد طبقه الرسول عليه الصلاة والسلام فى أسرى بني المصطلق وفتح مكة وجنين .<sup>(٣)</sup>

تطبيقاً لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ... ﴾<sup>(٤)</sup> .

١- نفس المصدر .

٢- مصطفى الرافعى ، الإسلام نظام إنسانى ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

٣- د/ أحمد محمد الحوفى ، سماحة الإسلام ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

٤- سورة محمد ، آية ٤ .



كما سار المسلمون على أنه إذا أسلم أسى فقد عصم نفسه وضمن حريته ، وكذلك إذا دخل عدو محارب دار الإسلام أمن على نفسه من السبي ، وإذا فقد أبطل الإسلام الاسترقاق بالخطف وما يشبهه <sup>(١)</sup>.

وهكذا كما يقول الكتور على عبد الواحد وافى أن الإسلام لم يقر الرق إلا في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج وذلك بأن ضيق روافده ، بل لم يسمح ببقائها إلا لأجل معلوم ، ووسع منافذ العتق إلى أبعد الحدود . وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شئ بجدول مثرت مصباته وانقطعت عنه موارده التي يستمد منها الماء : وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف <sup>(٢)</sup>.

و يفسر القول السابق منافذ العتق التي حددها و أقرها القرآن الكريم و تتمثل في :-

(١) أن يجري على لسان السيد بأي صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده سواء كلن قاصداً أو غير قاصد .

(٢) أن يجري على لسان السيد لفظ يفيد " التديير " أي يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده .

(٣) أن يأتي السيد من جاريته بولد يعترف ببنوته .

(٤) أن يكتب السيد عبده ، ويتفق معه على مبلغ من المال يدفعه له في مقابل الحصول على حريته ، وقد كفل الإسلام للرقيق مصادر هذا المال فسمح لهم بالتجارة ، وحث جميع المسلمين على مساعدتهم والتصدق عليهم ، وتخصيص مبالغ من الزكاة والصدقات و من عقوبات ارتكاب الذنوب والجرائم لإفداء الرقيق وتحرير رقابهم للتكفير عن هذه الأخطاء والذنوب <sup>(٣)</sup>. وقد قرر الإسلام هذه المنافذ والمصادر ترتيل آيات كثيرة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿...وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُتُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ

١- د. أحمد محمد الحوفي ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

٢- حقوق الإنسان في الإسلام ، ص ١٣٥ .

٣- د. علي عبد الواحد وافى ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ص ٢١٢ .

مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْنَاكُمْ... ﴿١﴾ ويقول تعالى فى التفكير عن القتل ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ...﴾ ﴿٢﴾.

وللتفكير عن إفطار يوم فى رمضان والحنث فى اليمين يقول سبحانه ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُ، إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾ ﴿٣﴾. وعن كفارة الظهار يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا...﴾ ﴿٤﴾ ويقول تعالى فى الصدقات وتحرير الرقيق: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ...﴾ ﴿٥﴾ كما أمر الإسلام بحسن معاملة الرقيق. فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٦﴾ وهكذا قرن قرآن الله سبحانه وتعالى حسن معاملة الرقيق، - وهم ما ملكت أيمانكم - بوجوب عبادته وعدم الشرك به وبوجوب البر بالوالدين. ﴿٧﴾

وفى هذا الصدد يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم" ﴿٨﴾. وقال كذلك صلى الله عليه وسلم: " إخوانكم خولكم (أي خدمكم وعبيدكم)

١- سورة النور آية ٣٣.

٢- سورة النساء، آية ٩٢.

٣- سورة المائدة، آية ٨٩.

٤- سورة المجادلة، آية ٣.

٥- سورة التوبة، آية ٦٠.

٦- سورة النساء، آية ٣٦.

٧- د./ على عبد الواحد وافى، حقوق الإنسان فى الإسلام، ص ١٣٥.

٨- أخرجه الإسلام أحمد فى المسند، ج ١، ص ٧٨، وأخرجه أبو داود فى كتاب الأدب، باب حق المملوك

ج ٤، ص ٢٤٦ رقم ٥١٥٦.

جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس" (١).

ومن الآثار أن عمر بن الخطاب لما سافر مع غلامه إلى بيت المقدس ليتفاوض مع البطريق في تسليم البلد عقب حصارها بجيش أبي عبيدة بن الجراح لم يكن معه هو وغلامه إلا ناقة واحدة ، فكانا يتناوبان ركوبها الواحد بعد الآخر إلى أن اقتربا من بيت المقدس ، وكان الدور للعبد ، فلم يستنكف خليفة المسلمين من أن يركبه ويسعى خلفه على أقدامه ، ودخلا بيت المقدس على هذه الحال . وقد مر عمر بمكة فرأى العبيد وقوفا لا يأكلون مع ساداتهم ، فغضب وقال لمواليهم مؤنباً " ما للقوم يستأثرون على خدامهم " ثم دعا الخدم فأكلوا مع السادة في جفان واحدة (٢).

كما نهى الإسلام المولى عن إيذاء عبيدهم والتمثيل بهم ، فيرى ابن حنبل أن العبد يعتق ويصبح حراً إذا آذاه سيده بدون حاجة إلى حكم حاكم " ويحصل العتق بالفعل كما لو حصل بالقول . فمن مثل برقيقه ولو بلا قصد ، فجذع أنفه أو أذنه أو نحوهما ، كما لو خصاه أو حرق عضواً منه كما لو حرق كفه ، أو حرق عضواً منه كإصبعه بالنار ، عتق بلا حكم حاكم (٣). وقد روى عن ابن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه " (٤).

وكذلك حمى الإسلام الرقيق من الإعتداء عليهم من أى شخص آخر غير ساداتهم وأنهم فى مثل هذه الحالات من الاعتداء بالضرب أو القتل مثلهم مثل الأحرار ، فقد رأى أبو حنيفة أن الحريق يقتل بالعبد (٥)، هذا انطلاقاً واستدلالاً بقول الله تعالى : ﴿ وَكُنَّا

- ١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ٢٢ المعاصي من أمر الجاهلية و لا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ، ج ١ ، ص ٨٤ ، رقم ٣٠ عن أبي نر.
- ٢- على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .
- ٣- على عبد الواحد وافي ، هامش ١ .
- ٤- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب صحبة المماليك و كفارة من لطم عبده ، ج ٣ ، ص ١٢٧٨ ، رقم ٢٩ وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب حق المملوك ، ج ٤ ، ص ٣٤٤ ، رقم ٥١٦٨ .
- ٥- علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ... ﴿١﴾ واستنباط الحكم من هذه الآية مبني على قاعدة أن " شرع من قبلنا شرع لنا إلا فيما ورد فيه نص " وهذا هو مذهب طائفة كبيرة من الفقهاء على رأسهم الإمام الأعظم أبو حنيفة و يفسر هؤلاء قوله تعالى في: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى... ﴾ ﴿٢﴾، بأن المعنى " أن قتل الحر بالحر والعبد بالعبد قصاص ، وهذا لا ينفي أن يكون قتل الحر بالعبد قصاصا كذلك لأن التنصيص لا يدل على التخصيص (٣) .  
و فضلاً عن كل ما سبق قد كفل الإسلام الكثير من الحقوق امدنية لهؤلاء الرقيق مثل:-

- ١ - حق الحياة : حرم الإسلام القتل ، لا فرق في ذلك بين حر وعبد ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ومن قتل عبده قتلناه " (٤)، وغير ذلك مما يثبت أن حياة العبد مقدسة كحياة الحر (٥).
- ٢ - الحصانة الجسدية : منع الإسلام تشويه الجسد أو ضربه ضرباً مبرحاً ، ولم يجز إلا ضربه ضرباً خفيفاً للتأديب (٦)، وقد روى أن عبداً لزنبا ع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مجروح الأنف فسأله عن خبره فزعم أن سيده هو الذي جدد أنفه ، فلما ثبت للنبي صدقه قال له " اذهب فأنت حر " (٧).

- ٣ - الحصانة العائلية : لقد منع الإسلام من التفريق بين العبد وعائلته (٨).

١- سورة المائدة ، آية ٤٥ .

٢- سورة البقرة ، آية ١٧٨ .

٣- على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، هامش ١ .

٤- رواه أبو داود في كتاب الديات ، باب من قتل عبده أو مثل به ، ح ٤ ، ص ١٤٧ ، رقم ٤٥١٥ .

٥- مصطفى الرافعي ، الإسلام نظام إنساني ، ص ١١١ .

٦- نفسه .

٧- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، ح ٨ ، ص ٣٦ .

٨- مصطفى الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .



٤ - حق النفقة : فرض الإسلام على السيد أن يقدم لعبده كسوته و طعامه بالمعروف فإن كان السيد بخيلاً مقترراً على نفسه راجع العبد القاضى ، فقد يلزم سيده بأن يلبسه أحسن مما يلبس و يطعمه أحسن مما يأكل (١).

٥ - الرفق بالرقيق : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالأرقاء فيقول : " لا تحملوا العبيد ما لا يطيقون ، و أطعموهم مما تأكلون ، و يقول : إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم " (٢).

وقد حافظ الإسلام على كرامة الأرقاء وصيانتها ، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عند مخاطبة الأرقاء بكلمتي : "عبد و أمة" وطلب من المسلمين أن يستعملوا فى خطاب أرقائهم كلمات : "فتى و فتاة و غلام" ، أما الأرقاء فكان بينهم أن يخاطبوا أسيادهم بـ "يا ربى" ، فالله ربهم (٣). فعن عمر : جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم و سلم فقال : يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ قال اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة (٤).

وعن أبي مسعود قال : كنت أضرب غلاماً لى بالسوط فسمعت صوتاً من خلفى يقول : اعلم يا أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا منى إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اعلم أبا مسعود ، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فألقيت السوط من يدي ، و قلت لا أضرب مملوكاً بعده أبداً (٥).

### المساواة :

وعن المساواة بين البشر فى الإسلام من النواحي الاجتماعية و السياسية فقد أصاب جوستاف لوبون فى حديثه عنها فيقول : "ونختم قولنا فى نظام العرب الاجتماعية

- ١- مصطفى الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١١٢.
- ٢- أخرجه البيهقي فى السنن الكبرى ، ح ٨ ، ص ٣٦.
- ٣- مصطفى الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١١٢.
- ٤- رواه أبو داود فى كتاب الأدب ، باب حق المملوك ، ح ٤ ، ص ٣٤٣ ، رقم ٥١٦٤.
- ٥- رواه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان ، باب صحبة المماليك و كفارة من لطم عبده ، ح ٣ ، ص ١٢٨٠ ، رقم ٣٤.

بأن نذكر أن العرب يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقا لنظمهم السياسية ، وأن مبدأ المساواة الذى أعلن فى أوربا قولاً ، لا فعلاً ، راسخ فى طبائع الشرق رسوخاً تاماً ، وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التى أدى وجودها إلى أعنف الثورات فى الغرب ولا يزال يؤدي ، وأنه ليس من الصعب أن ترى فى الشرق خادماً زوجاً لابنة سيده وأن ترى أجزاء منهم قد أصبحوا من الأعيان " (١).

ويستكمل حديثه بقوله "... صان المسلمون أنفسهم حتى الآن من مثل خطايا الغرب الهائلة فيما يمس رفاهية طبقات العمال ، وتراهم يحافظون بإخلاص على النظم الباهرة التى يسوي بها الإسلام بين الغنى والفقير والسيد والأجير على العموم ، وليس من المبالغة أن يقال ، إذاً ، أن الشعب الذى يزعم الأوروبيون أنهم يرغبون فى إصلاحه هو خير مثال فى ذلك الأمر الجوهري " (٢).

لقد قرر الإسلام المساواة بين البشر فى كل شيء ، فلا القيمة الإنسانية ، وفى الحقوق والواجبات ، وأمام القانون ، وفى المنشأ والمصير ، وفى الشعور والكرامة وكل هذا واضح جلى من خلال الآيات القرآنية التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم ليضع القواعد الأساسية والمتينة فى التعامل بين الناس فيقول سبحانه ليرد الناس جميعاً إلى أصل واحد ونسب واحد : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٣) ويقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٤).

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩١.

٢- نفسه و ص ٣٩٢.

٣- سورة طه ، آية ٥٥.

٤- سورة المؤمنون ، آية ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦.

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup>. ويقرر سبحانه أن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى فيقول: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ويقول تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ <sup>(٣)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة على هذا المنهج القويم بأن التقوى والإيمان هما درجتا المفضلة بين الناس فكلهم متساوون في كل شئ وأصلهم أصل واحد فقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مؤكداً ذلك: "أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر، فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب" <sup>(٧)</sup>.

وتقاوّل ذات مرة أبو ذر الغفاري وعبد زنجي في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام فاحتد أبو ذر على العبد وقال له "يا ابن السوداء" فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال "طف الصاع طف الصاع" أي قد تجاوز الأمر حده "ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح". فوضع أبو ذر خده على الأرض، وقال للأسود "قم فطأ على خدي" <sup>(٨)</sup>. وهكذا لا يصبح اللون ولا الثراء والمال، ولا العصبية

١- سورة الإسراء، آية ٧٠.

٢- سورة الحجرات، آية ١٣.

٣- سورة النساء، آية ١٢٣، ١٢٤.

٤- سورة الحجرات، آية ١٠.

٥- أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج ٥، ص ٤١١.

٦- ذكره الزبيدي في التحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، ج ٨، ص ٣٧٥.



ولا يصلح أى منها أن يكون أساساً للمفاضلة بين الناس فكل الأمور من الله سبحانه وتعالى هي الأساس للتفاضل والتمايز بين الناس عند الله (١).

فقد أنكر زعماء العرب على النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ المساواة الذي بدأ تطبيقه فقالوا له: كيف نجلس إليك يا محمد وأنت تجلس إلى مثل بلال الحبشي وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وعمار، وسواهم من العبيد وعامة الناس؟ اطردهم ونحن نحضر مجلسك ونسمع دعوتك. فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقالوا: فجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فكاد أن يجيب رغبته (٢)، فنزل عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٢﴾ وكذلك فتناً بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ۝٥٣ وإذا جاءك الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَاثِبَتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا ابْجَهَلَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥٤﴾ (٣).

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولى "بلال" على المدينة المنورة وفيها كبار الصحابة، وبلال كان مملوكاً (٤) اشتراه أبو بكر وأعتقه، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى "بازان" الفارسي على اليمن، ولما مات ولى ابنه مكانه (٥).

ومن منطلق المساواة الكاملة بين الناس انطلقت العدالة الكاملة بين الناس دون النظر إلى الجنس أو لون أو دين، فقد اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم من نفسه

١- محمد البهي، الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم، ط ٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٠، ص ٢٧١-٢٧٤.

٢- طيارة، روح الدين الإسلامي، ص ٢٩٨.

٣- سورة الأنعام، آية ٥٢ - ٥٤.

٤- كان بلال مولى أبي بكر ويكنى أبا عبد الله، وكان من مولدى السراة، واسم أمه حمالة وكانت لبعض بنى جمع. أنظر: ابن سعيد، الطبقات الكبرى، ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ص ١٢٣. وقد مر أبو بكر ببلال وهو يعذب فاشتراه من أميه بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب ونكر مشتراه لجامعة ممن أسلم من العبيد والإماء. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٣، دار الفكر العربى، ص ٥٨.

٥- طيارة، المرجع السابق، ص ٢٩٩.



فى غزوة بدر فقد وجد " سوادا " خارجا عن النصف ، فقال : " استوا يا سواد " وطعنه فى بطنه ، فقال له سواد : " أوجعتنى يا رسول الله " فكشف الرسول صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال له : استقدمنى " !! هكذا بلا حقوق مقدسة ، وبلا حصانة ، وبلا هيبة مصنوعة ، فالكل فى مجال الحق سواء <sup>(١)</sup> . وقد نادى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الناس قبل وفاته ، قائلاً : " أيها الناس من كنت له ظهرا فهذا ظهري ... ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي " <sup>(٢)</sup> .

و يجب أن يكون العدل منطلقا من المساواة ، مع ملاحظة أنه لا يمكن أن يتساوى معهم الكافر ، فإذا كان لهم العزة فله الذلة ، ولكن ليس معنى هذا أن يظلم بل نفى له بما عاهدنا عليه إذا أوفى لنا بما عاهدنا عليه <sup>(٣)</sup> . وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال ، فقد شكى يهودى علياً إلى عمر بن الخطاب فى خلافة عمر ، فلما مثلا بين يدى عمر ، خاطب عمر اليهودي باسمه ، بينما خاطب علياً بكنيته فقال له : أبا الحسن حسب عادته فى خطابه معه ، فظهرت آثار الغضب على وجه علي .

فقال له عمر : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا وأن تمثل معه أمام القضاء على عدم المساواة . فقال على لا ولكننى غضبت لأنك لم تسو بينى وبينه ، بل فضلتنى عليه إذ خاطبته باسمه بينما خاطبتنى بكنيتى ( والخطاب بالكنية كان أسلوبا من أساليب التعظيم للمخاطب <sup>(٤)</sup> ) وأوصى الخلفاء الراشدون كذلك القضاة والولاة فى الولايات بإقرار المساواة والعدل بين الناس جميعا <sup>(٥)</sup> .

- 
- ١- د. / توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ط ١ ، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٨ ، ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ .
  - ٢- أخرجه الطبراني فى المعجم الكبير ، ج ١٨ ، ص ٢٨٠ ، من حديث الفضل عن العباس رضى الله عنه .
  - ٣- د. / سعيد حوى ، الإسلام ، ج ٢ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٧ ، ص ٦٨ .
  - ٤- د. / علي عبد الواحد وافي ، حقوق الإنسان فى الإسلام ، ص ٨ .
  - ٥- نفس المرجع ، ص ٦ - ١٣ .

# المبحث الثالث

## شمولية الإسلام :-

وعن شمولية الإسلام و نفوذه السياسي و الديني أصاب جوستاف لوبون فى حديثه فى هذا الصدد ، حيث اعترف بأن الإسلام دين و دولة و شامل لكل شيء فى الحياة الإنسانية ، فيقول : " ولا ريب فى أن نفوذ الإسلام السياسي والمدني كان عظيما إلى الغاية ، فقد كانت بلاد العرب قبل محمد مؤلفة من إمارات مستقلة و قبائل متقاتلة دائما ، فلما ظهر محمد و مضى على ظهوره قرن واحد كانت دولة العرب ممتدة من الهند إلى أسبانية و كانت الحضارة تسطح بنورها الوهاج فى جميع المدن التى خفقت راية النبی فوقها " (١).

ومن هذا الامتداد العظيم للإسلام فى العالم كان يمثل الدستور السياسى والدينى للمسلمين ، فيقول جوستاف لوبون " ... ولو كان القرآن دستورا دينيا فقط ما كان هنالك كبير محذور ، ولكن القرآن إذا كان دستورا سياسيا ومدنيا أيضا ، وإذا كان بطبيعته ثابتا بدت عدم المطابقة بينه وبين الاحتياجات الدائمة التحول فى الأمم الثابتة نظمها ، وحالت هذه النظم دون تقدم تلك الأمم التى قيدت بقيود الماضى " (٢).

ويستكمل جوستاف لوبون فى حديثه عن الأعياد الدينية التى شرعها الله سبحانه وتعالى للمسلمين ، لم تكن دينية فقط ولكنها كانت مراسم سياسية للّمْ (الجمع) شمل المسلمين فيقول : " وبلغ تأثير الإسلام فى أدق شئون العرب مبلغا تكون جميع مراسمهم أعمالا دينية ، ومن تلك المراسم أنكحتهم وختاناتهم التى وصفناها فى فصل سابق و التى ليست فى الحقيقة سوى أعمالا دينية ومدنية معا " (٣).

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ص ١٢٦ .

٢- نفسه ، ص ٣٩٤ .

٣- نفسه ، ص ٤٢١ ، ٤٢٢ .

وقد لفت الإسلام نظر الإنسان إلى أن الله قد سخر له هذا الكون كله وأن واجبه أن يستخدم عقله في توظيف كل شىء من أجل خير الإنسان وعمارة الأرض فيقول الله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (١). ويقول سبحانه أيضاً ليعطي الإنسان الفرصة للتفكير وإعمال عقله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣) (٢).

فالنصوص الدينية في الإسلام ملزمة للإنسان المسلم فيما يتصل بالأصول والتشريعات الدينية ، ولكن الإنسان له حرية الاجتهاد في أمور الدنيا (٣) وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " أنتم أعلم بأمور دنياكم " (٤).

ويتضح لنا من آيات القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين أن الإسلام فضلاً عن أنه دعوة دينية إلى الحق ، فهو أيضاً دستور للسياسة في شئون الحكم وكل أمور الدنيا فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٦) وقوله سبحانه ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (٧).

وكذلك فقد تناول القرآن الوسيلة والكيفية التي يتعامل بها المسلمون مع غيرهم وكيفية القضاء على الفتن ، ومعاملة هؤلاء الذين يعملون على إثارة الفتنة في المجتمع الإسلامي فيقول سبحانه ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَّارَدُّوًا

- ١- سورة هود ، آية ٦١ .
- ٢- سورة الجاثية ، آية ١٣ .
- ٣- د. محمود زقزوق ، الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ، سلسلة قضايا إسلامية ، العدد ٣٦ ، وزارة الأوقاف ، ١٩٩٨ ص ٧٠ ، ٧١ .
- ٤- رواه الإمام مسلم في وجوب الفضائل ووجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي ، ج ٤ ، ص ١٨٣٦ ، رقم ١٤١ .
- ٥- سورة المائدة ، آية ١٠٥ .
- ٦- سورة الأنعام ، آية ٦٦ .
- ٧- سورة البقرة ، آية ٢٧٢ .

إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ  
وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفَقَّهُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١﴾. وقد جاء القرآن  
مفصلاً واضحاً في تعبيره عن مبادئ الحكم: سواء بين المؤمنين، أو بين الناس جميعاً، وأن  
الوحي به حق، يعلمه أولئك السابقون على الإسلام من أهل الكتاب، كما يعلمه الذين  
آمنوا به من أمة الرسول عليه الصلاة والسلام <sup>(٢)</sup>، ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿أَفَغَيْرَ  
اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣﴾.

وهكذا شملت العقيدة الإسلامية كل أمور حياة الإنسان الدنيوية، فأحكام العقيدة  
الإسلامية، وهي تتعلق بأمور العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر وهذه الأمور الاعتقادية  
وأحكام الأخلاق، وهي المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم، وما يجب أن يتخلى عنه  
كوجوب الصدق وحرمة الكذب. كما أن هناك أحكاماً تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان  
بخالقه، كالصلاة والصيام وغيرها من العبادات <sup>(٤)</sup>.

وهناك كذلك أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم وهذه على أنواع، -

١ - أحكام الأسرة من نكاح وطلاق وإرث ونفقة... وتسمى في الاصطلاح الحديث  
بأحكام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية.

٢ - أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم كالبيع والإجارة والرهن والكفالة  
وهي التي تسمى بأحكام المعاملات المعاملية أو القانون المدني.

٣ - أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى وأصول الحكم والشهادة واليمين والبيانات وهي  
تخل فيما يسمى بقانون المرافعات.

١- سورة النساء، آية ٨٩ - ٩١.

٢- د. محمد البهي، الدين و الدين و الدولة، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

٣- سورة الأنعام، آية ١١٤.

٤- د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط ٣، بغداد، ١٩٧٥، ص ٥٠.



٤ - أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية ، والحقوق التي يتمتعون بها والتكاليف التي يلتزمون بها ، وهذا يسمى بالقانون الدولي الخاص .

٥ - أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب وهذا يعرف بالقانون الدولي العام .

٦ - أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده ، وكيفية اختيار رئيس الدولة ، وشكل الحكومة وعلاقات الأفراد بها ، ويعرف بالقانون الدستوري <sup>(١)</sup> .

٧ - أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها ، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة ، وبين الأغنياء والفقراء ، ويعرف بالقانون المالي .

٨ - أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهى عنها " الجرائم ومقدار عقوبة كل جريمة " ...

ويسمى بالقانون الجنائي ، والإجراءات التي تتخذ في تنفيذ هذه الأحكام والعقوبات للمذنبين يعرف بقانون تحقيق الجنايات أو قانون المرافعات الجزائية <sup>(٢)</sup> .

وقد عبر الشهيد حسن البنا عن أبعاد هذه الشمولية في الإسلام بقوله :- " إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباء الزمن " وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم " وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة " <sup>(٣)</sup> .

ويعلق على ذلك الدكتور يوسف القرضاوي فيقول : " إنها رسالة لكل الأزمنة والأجيال ، ليست رساله موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ، ينتهي أثرها بانتهاء كما كان الشأن في رسالات الأنبياء السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم ... وإذا كانت هذه الرسالة غير محدودة بعصر ولا جيل ، فهي كذلك غير محدودة بمكان ولا بأمة ولا شعب ولا بطبقة ، إنها الرسالة الشاملة التي تخاطب كل الأمم ، وكل الأجناس

١- نفسه .

٢- نفسه .

٣- د. / يوسف القرضاوي ، مدخل لمعرفة الإسلام ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٦ ، ص ١٥٣ .

وكل الشعوب ، وكل الطبقات . . . . . وهى كذلك رسالة الإنسان من حيث هو إنسان متكامل ، إنها ليست رسالة لعقل الإنسان دون روحه ، ولا لروحه دون جسمه ولا لأفكاره دون عواطفه ، ولا عكس ذلك ، إنها رسالة للإنسان كله : روحه وعقله ، وجسمه ، وضميره وإرادته ووجدانه . . . والإسلام رسالة للإنسان كله فى كل مراحل حياته ووجوده . . . وأن الإسلام رسالة للإنسان فى كل مجالات الحياة ، وفى كل ميادين النشاط البشرى وكل جوانب الحياة " (١).

و يمكن تفسير كل ما سبق عن شمولية رسالة الإسلام من منطلق قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْۤ اِلَيْهِمْ مِّنْ اٰهْلِ الْقُرَىۙ اَفَلَمْ يَسِيْرُوْۤا فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْۤا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْۚ وَلَدَارُ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌۭ لِّلَّذِيْنَ اتَّقَوْۤاۚ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۙ ﴾ (٢)، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ اُمَّةٍ رَّسُوْلًاۙ اَنِ اعْبُدُوْۤا اللّٰهَ وَاجْتَنِبُوْۤا الطَّاغُوْتَۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدٰى اللّٰهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلٰلَةُۚ فَسِيْرُوْۤا فِى الْاَرْضِ فَانظُرُوْۤا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الْمُكْذِبِيْنَ ۙ ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ ۙ ﴾ (٤) وكذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۙ ﴾ (٥).

- 
- ١- د. / يوسف القرضاوى ، مدخل لمعرفة الإسلام ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٦ ، ص ١٥٣ - ١٥٦ .
  - ٢- سورة الأنبياء ، آية ٢٥ .
  - ٣- سورة النحل ، آية ٣٦ .
  - ٤- سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ .
  - ٥- سورة الأعراف ، آية ١٥٨ .



## الفصل الثاني

### أثر الحضارة الإسلامية على الشرق و الغرب

و يحتوى على :-

- معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا و العالم .
- أثر الحضارة الإسلامية على الغرب فى الفلسفة .
- أثر الحضارة الإسلامية فى الأدب على الشرق و الغرب
- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب فى الكتابة التاريخية.
- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب و الشرق فى الرياضيات .
- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق و الغرب فى الفلك .
- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق و الغرب فى العلوم الجغرافية .
- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب فى الفيزياء والميكانيكا .

- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق و الغرب فى الكماء .
- أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب فى العلوم الطبية .
- أثر الحضارة العربية والإسلامية على الشرق والغرب فى الفنون والعمارة.





# مقدمة

جاء الدين الإسلامي بحضارة رائعة فاقت كل الحضارات السابقة وذلك لأثر الدين الإسلامي في هذه النواحي الحضارية ، فقد ارتكزت هذه الحضارة على أسس ربانية. وحقيقة الأمر أن الحضارة الإسلامية قد استفادت من الحضارات السابقة مثل اليونانية والفارسية والرومانية ولكنها بلورت هذه الأشياء وكيفتها بما يتلائم مع أسس الدين الإسلامي ، وذلك لإحاطة العالم الإسلامي بأصحاب هذه الحضارات ، وحتى لا يفوق هؤلاء الناس على المسلمين في شيء من أسس الحضارات .

ولأن الحضارات القوية في قواعدها وأسسها هي التي تؤثر في الحضارات الأخرى ، فقد انتشرت الحضارة الإسلامية في كافة أنحاء العالم الكائن آنذاك وأثرت في أهل هذه البلاد ولا زالت تؤثر حتى يومنا هذا على الرغم من انحطاط المسلمين أنفسهم وتدهور أحوالهم .

وقد انتشرت الحضارة الإسلامية في العالم عن طريق العديد من المعابر مثل الفتوحات الإسلامية ، والمدارس و دور التعليم الإسلامية في البلاد المفتوحة مثل أسبانيا وصقلية ، وعن طريق الحروب الصليبية وحركات التبشير والإستشراق وغير ذلك من المعابر ، وقد تمثل هذا التأثير الإسلامي في الحضارات الأخرى في كافة نواحي العالم وكذلك الأسس الحضارية المادية .





# المبحث الأول

## معايير الحضارة الإسلامية إلى أوروبا و العالم :

عاش العرب قبل الإسلام وسط نمط حضارى بسيط خاص بهم ، ولم يتجاوز العادات والتقاليد والأعراف التى ورثوها عن آبائهم ، وظلوا كذلك حتى مجيء الإسلام الذى جاء بديانة جديدة وتغيير الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية البالية التى عاشوا عليها ، وليضع للعالم كله أسسًا حضارية زاهرة تركز على الشرع الإسلامى .

وخرج المسلمون بعد أن اكتمل الدين الإسلامى من منطقة شبه الجزيرة العربية على ظهور جيادهم بمسكون بالقرآن الكريم فى يد ، والسيف فى اليد الأخرى ، ليقوموا بنشر الدين الإسلامى الذى جاء من عند الله للعالمين ، وليقوموا بحماية حدود الدولة الإسلامية الناشئة ، وحدثت حركة الفتوحات الإسلامية ، واستقر العرب المسلمون الفاتحون فى بلاد الشام ، وفارس ، ومصر ، وشمال أفريقية والأندلس ، وبلاد الهند والصين . وكانت هذه البلاد تتمتع بحضارات عريقة ، ولذلك تحتم على المسلمين أن يقتبسوا من هذه الحضارات ، فاقتبسوا من العلوم والفلسفات والسابقة وطوروها بما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية ، وساعدهم على ذلك أهل هذه البلاد سواء الذين دخلوا فى الدين الإسلامى ، أو الذين بقوا على ديانتهم من اليهودية أو المسيحية لأنهم كانوا على دراية باللغات القديمة التى كتبت بها هذه العلوم والآداب والفلسفات ، وتطورت الحضارة العربية والإسلامية وازدهرت وعمت آثارها على العالم كله .

وانتقلت هذه الحضارة عن طريق معابر عديدة أهمها تمثل فى الفتوحات الإسلامية والبلاد المفتوحة التى استقر فيها المسلمون وخاصة صقلية والأندلس والتجارة وحركة الحروب الصليبية فى بلاد الشام ، وقد انتشرت الحضارة الإسلامية واثقلت بهذه السرعة إلى أنحاء العالم نتيجة موقف الخلفاء والحكام المسلمين من أهل هذه البلاد ، وفى



ذلك يقول سيديو<sup>(١)</sup> ومهما كان الأمر فقد نجح العرب نجاحًا باهرًا فى القيام بدور الوسيط بين مختلف الشعوب من الفرات حتى جبل طارق ، وساعدهم على ذلك ما امتازوا به من نشاط ليس له مثيل وتسامح عظيم ، ولا سيما تجاه اليهود....."

فقد توطدت أركان الحضارة الإسلامية وساعد اهتمام الخلفاء المسلمين فى ظل الازدهار الاقتصادي الذى تمتعت به الدولة الإسلامية على حركة الترجمة والتأليف وغير ذلك من كافة النواحي الثقافية والحضارية بمعناها الواسع الشامل ، وانتشرت المدارس والجامعات الإسلامية فى كافة العواصم الإسلامية ، وفتحت أبوابها لكل طالب العلم المسلمين وغير المسلمين الذين يعيشون داخل ديار الإسلام وخارجها فى ظل السماح الإسلامية ، فجاء طلاب العلم من كل أنحاء العالم ليتلقوا العلم فى المدارس الإسلامية وعلى أيدي العلماء المسلمين ، فنقلوا أسس ومظاهر الحضارة الإسلامية إلى بلادهم التى كانت تعاني الظلام والتدهور الحضاري آنذاك .

فعندما ثبت العرب المسلمون أقدامهم فى صقلية اهتموا بالزراعة ، وأدخلوا كثير من المحاصيل الجديدة مثل القطن وقصب السكر ، ونقبوا فى ثروة البلاد الطبيعية مثل الفضة والحديد والنحاس والكبريت ، كما أدخلوا صناعة الحرير إلى البلاد . وانتشرت اللغة العربية والفن الإسلامى فى الجزيرة حتى بعد خروج المسلمين منها فقد اهتم ملوك النورمان بنواحي الحضارة الإسلامية وقاموا بحماية العرب المسلمين المقيمين فى الجزيرة.<sup>(٢)</sup>

أما أسبانيا فقد فتحها العرب المسلمون فى بداية القرن الثامن الميلادي ، ونقلوها من ظلمة الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ، واتجهوا نحو إحياء الأرض الميتة وتعمير المدن الخربة وتنشيط التجارة الراكدة وإنعاش الصناعة المتأخرة ، حتى أصبحت الأندلس فى ظل الخلافة الأموية الإسلامية أغنى البلاد الأوربية وأكثرها ازدهاما بالسكان ، وكل

١- تاريخ العرب العام ، ص ٣ .

٢- د. / سعيد عاشور ، أوروبا الوسطى ، ج ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨٦ - ٤٨٨ .

ذلك عن طريق العلم ، حيث اعتنوا بالآدب والعلوم والفنون وكافة نواحي الحضارة ونقلوا علوم الشرق إلى الغرب عن طريق استدعاء العلماء المسلمين من الشرق الإسلامي لنشر علمهم هناك كما أرسلوا البعثات إلى الشرق لينهلوا من علومه في مصر ودمشق وبغداد وبلاد الحجاز<sup>(١)</sup>

واشتد إعجاب الأسبان غير المسلمين بثقافة المسلمين وحضارتهم ، فاتجهوا إلى دراسة كتب الفقه والفلسفة الإسلامية ، والإستفادة من أساليبها اللغوية البليغة ، وفي ذلك يقول أحد الكتاب المسيحيين يعيب عليهم فيقول<sup>(٢)</sup> إن إخواني المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم ، لا لتنفيذها بل لتعلم أسلوب عربي بليغ . وأسفاه إننى لا أجد اليوم علمانيا يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الإنجيل ، بل إن الشبان المسيحيين الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا يعرفون علما ولا أدبا ولا لغة إلا العربية ، ذلك أنهم يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف ، ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها ..."

وقد بلغت الحضارة العربية ذروتها بالأندلس في النصف الثاني من القرن العاشر عندما أصبحت مدينة قرطبة - حاضرة الخلافة الأموية هناك - من أعظم مدن العالم واستمر شعاع الحضارة العربية الإسلامية مضيئاً في الأندلس في كافة الميادين الثقافية والاقتصادية والفنية ، حتى امتد ليضئ غرب أوروبا في القرن الثاني عشر والثالث عشر وما بعدهما. وقد ساعد على قيام هذه النهضة العظيمة سياسة التسامح التي اتبعتها المسلمون تجاه أهل الذمة، فتعلموا اللغة العربية وتعلموا على أيدي الأساتذة المسلمين ومن هناك نقلوا مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي عن طريق الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية ، واستمر هذا الأمر حتى بعد طرد العرب المسلمين من

١- نفس المرجع ، ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

٢- د. سعيد عاشور ، أوروبا الوسطى ، ج ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨٩ .

الأندلس فشجع الحكام الأسبان المسيحيين على نقل الثقافة العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية وخاصة الملك ألفونسو الخامس الملقب بالحكيم<sup>(١)</sup>.

ويقول جوستاف لوبون<sup>(٢)</sup> فى تخليد آثار الحضارة الإسلامية فى بلاد الأندلس :  
"إنه لا يوجد فى أسبانيا المعاصرة من أعمال الري سوى ما أتمه العرب " .

وكذلك مثلت الحروب الصليبية معبراً هاماً انتقلت عليه الحضارة العربية الإسلامية من بلاد الشام إلى الغرب الأوروبى ، فقد نقل الصليبيون مظاهر الحضارة الإسلامية وأسسها إلى الغرب الأوروبى . وإن كان " الدكتور سعيد عاشور<sup>(٣)</sup> يقلل من أهمية الحروب الصليبية كمعبر من معابر انتقال الحضارة الإسلامية ، فيرى إن الصليبين قد جاءوا الى بلاد الشام محاربين لا طلاب علم ، ولا هم إلاّ الاهتمام بالعمليات الحربية الهجومية والدفاعية ، ولم تخف وطأة الحرب بين الطرفين إلاّ بطردهم سنة ١٢٩١ م ، ولم يتوقف الحرب طول هذه الفترة إلا فترات قصيرة وسرعان ما تُستأنف ، وهكذا لم يستق الصليبيون فى بلاد الشام للدرجة التى تمكنهم من نقل الحضارة الإسلامية أو استيعابها وينقل عن باركر قوله : " أنه حتى لو توفرت مقومات الحياة العلمية للصليبين الذين أقاموا بالشام فأين لهم بالعلوم التى يأخذون عنها ؟ ذلك عن عصر الحروب الصليبية بالذات امتاز بنوع من النضوب الفكرى فى بلاد المشرق الإسلامى ، فقل الإقبال على الفلسفة بوفاة ابن سينا سنة ١٠٣٧ م والغزالي ١١١١ م ، بل إن الخليفة العباسى فى بغداد أمر سنة ١١٥٠ م بإحراق الكتب الفلسفية ومن بينها كتب ابن سينا نفسه ، فهل كان يُنتظر فى مثل هذه الظروف أن نستطيع رسل الغرب الاستفادة من المسلمين وعلومهم؟ " . ولم يستفد الصليبيون إلاّ من العمليات الحربية الإسلامية فحسب .

١- نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

٢- حضارة العرب ، ص ٢٩٤ .

٣- أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٦ .

ولكن المؤرخ العربى المسلم " أسامة ابن منقذ " <sup>(١)</sup> ( يوضح لنا مدى الاستفادة العظيمة التى استفادها الفرنجة الصليبيون من الآداب والعلوم والفنون والطب والأدوية من الحضارة العربية الإسلامية ، وأن فترات الهدوء والسلام ( الهدنة ) بين الصليبيين والمسلمين كانت فرصة للاندماج والاختلاط بين الطرفين والاطلاع على تقاليد وعادات وطباع كل منها ، وقد نقل الصليبيون علوم وطباع المسلمين ، ولذلك تحسنت طباعهم بعد الخشونة ، واستنارت بلادهم بعد أن نقلوا علوم العرب من بلاد الشام والأرمن المقدسة إلى الغرب الأوروبى .

و أما التجارة فكانت على درجة كبيرة من الأهمية فى نقل الحضارة الإسلامية إلى العالم كافة ، والغرب الأوروبى خاصة ، فقد كان العالم الإسلامى فى العصور الوسطى قبله لكل تجارة العالم من الشرق والغرب ، وخاصة فى فترة الحروب الصليبية عندما استولى الصليبيون على بلاد الشام ، وأصبح التجار الإيطاليون يمثلون الوسيط التجارى بين الشرق والغرب فنقلوا من الشرق الإسلامى كثيراً من المصطلحات والعمليات الحسابية العربية إلى اللغات الأوروبية ، وما زالت هذه المصطلحات موجودة فى العمليات التجارية الأوروبية <sup>(٢)</sup> .

وكما ذكرت من قبل أن الحضارة العربية الإسلامية قد استفادت من الحضارات القديمة فى البلاد المفتوحة وطورتها بما يتلائم مع الشريعة الإسلامية ، وفى ذلك يقول جوستاف لوبون <sup>(٣)</sup> : " وكانت معارف اليونان واللاتين القديمة أساساً لثقافة متعلمي العرب فى الدور الأول ، وكان هؤلاء كالطلاب الذين يتلقون فى المدرسة ما ورثه الإنسان من علوم الأولين ، وكان اليونان أساتذة العرب الأولين إذًا ، ولكن العرب المفطورين على قوة الإبداع والنشاط لم يكتفوا بحال الطلب الذى اكتفت به أوروبا فى القرون الوسطى

١- الاعتبار ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢- هيتشكوك و آخر ، الإثر العربى فى حضارة العصور الوسطى ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ، ط ١ ، دار عين للنشر ١٩٩٩ ، الفصل الأول الخاص بالتجارة .

٣- حضارة العرب ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .



فلم يلبثوا أن تحرروا من ذلك الدور الأول" ، ويقرر كذلك أن العرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها، وإذا ما كانت هذه المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة كما فى الإسكندرية، وذلك بخلاف الجامعات التى كانت موجودة فى المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة و طليطلة و قرطبة.. إلخ.

وعن مناهج العرب العلمية يقول جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> : " لم يلبث العرب ، بعد أن كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ، أن أدركوا أن التجربة والترصد خير من أفضل الكتب ، وأن العرب هم أول من قام بالتجربة والترصد ، اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة ، مقام الأستاذ ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ، وقد أبدى هذا رأى جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب ، فيقول هنبولد : " إن العرب ارتقوا فى علومهم إلى هذه الدرجة التى كان يجهلها القدماء تقريباً ويقول سيديو : " وكان من اعتماد العرب على التجربة أن منح ذلك مؤلفاتهم دقة وإبداعاً ونتج عن هذا المنهج التجريبي أن وصلوا إلى اكتشافات مهمة ، ولم يكتف العرب بذلك فقد قاموا بنشر العلوم أيضاً وذلك من خلال ما أقاموه من جامعات وألوف من كتب وبهذا المنهج العلمي الذى اتبعه العرب المسلمون فى العلوم والآداب وقد سبقوا العالم الحديث فى استخدامه ، بل أخذه عنهم الغربيون ، أصبح للمسلمين حضارة عربية إسلامية خالصة لا تشوبها شائبة ، ونشرت أشعتها على كل العالم الكائن آنذاك فى الشرق والغرب ، وقد أصاب جوستاف لوبون فى عرض هذا الأثير العربى الإسلامى فى الحضارة على الشرق والغرب ، وكان منصفاً موضوعياً فى ذلك حيث يقول : " وما عجز الأغارقة والفرس والرومان عنه فى الشرق قدر عليه العرب بسرعة ومن غير إكراه ، ومن ذلك أن مصر التى كان يلوح أنها أصعب أقطار العالم إنعاشاً للمؤثرات الأجنبية ، نسيت ، فى أقل من قرن واحد مر على افتتاح عمرو بن العاص لها ، ماضى حضارتها الذى دام نحو سبعة آلاف سنة

١- حضارة العرب ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

معتنقة دينا جديداً ولغى جديده وفنا جديداً اعتناقاً متيناً دام بعد توارى الأمة التى حملتها عليه " .

و يتابع قوله فيقول : " وما وفق العرب له فى مصر من التأثير البالغ اتفق لهم مثله فى كل بلد خفقت فوقه رايتهم كإفريقية وسورية وفارس ... إلخ ، وبلغ نفوذهم بلاد الهند التى لم يدخلوها إلا عابري سبيل ، وبلغ بلاد الصين التى لم يزورها إلا تجاراً ولا نرى فى التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب ، وذلك أن جميع الأمم التى اتصل العرب بها اعتنقت حضارتهم ، ولو حيناً من الزمن ..... " (١) .

ويوضح جوستاف لوبون النواحي التى تم تأثير الحضارة العربية الإسلامية فيها فى الشرق ، وإن كان قد أخطأ فى استخدام بعض المصطلحات التى لا تتلائم ولا تليق بالدين الإسلامى مثل عامية القرآن وهويته الصببانية فيقول : " ولم يتجل تأثير العرب فى الشرق فى الديانة واللغة والفنون وحدها ، بل تجلى فى ثقافته العلمية أيضاً ، ومن ذلك أن المسلمين كانوا ذوي صلات مستمرة بالهند والصين وأنهم نقلوا إليهما قسماً كبيراً من المعارف العلمية ..... ويجب ألا نستنبط من هذا القول نتائج واسعة فإذا كان العرب أفضل من الهندوس علماً ، كما هو واضح فإنهم دونهم فلسفة وديانة ، فليس فى عامية القرآن ولا هويته الصببانية ، التى هى من صفات الأديان السامية أيضاً ، ما يقاس بنظريات الهندوس التى أتيح لى أن أبين عمقها فى كتاب آخر..... " (٢) .

هذا عن تأثير الحضارة العربية الإسلامية فى الشرق ، أما تأثيرها فى الغرب الأوروبي فيوضحه جوستاف لوبون (٣) من خلال المقارنة بين ما كانت عليه أوروبا قبل دخول الإسلام أسبانيا وما كانت عليه من ظلام وجهل وبين ما أصبحت عليه أوروبا فى القرن الحادى عشر وبعده بعد أن ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية ونشرت ثقافتها على العالم كله واقتبسها أبناء الغرب الأوروبى ، وهذا صحيح وواقعى من وجهة

١- نفس المرجع ، ص ٥٦٤ .

٢- حضارة العرب ، ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

٣- نفس المرجع ، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

النظر الواقعية . إلا أن المؤلف يخطئ إلى حد كبير عندما يقلل من دور الحروب الصليبية في نقل الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي ، وقد ناقشنا هذا الموضوع في الحديث عن معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي ، فيقول : " نثبت الآن أن تأثير العرب في الغرب عظيم أيضا ، وأن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها ، والحق أن تأثير العرب ليس أقل منه في الشرق ، ولكن بمعنى آخر ، فأما تأثيرهم في الشرق فتراه باديا في أمر الدين واللغة والفنون على الخصوص ، وأما تأثيرهم الديني في الغرب فتراه صغرا ، لأن العرب كانوا يتصورون بعد أن يتعلم الأوروبيون اللغة العربية أن ينفثوا على الدين فيعرفونه خاصة وإن الإسلام لا يكره على الدخول فيه ، وترى تأثيرهم الفني واللغوي فيه ضعيفا وترى تأثيرهم العلمي والأدبي والخلقي فيه عظيما ، ولا يمكن أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخلوا الحضارة إليها ..... إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد ، حين كانت الحضارة الإسلامية في أسبانيا ساطعة جدا رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجا يسكنها سنورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون ، وإن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في ديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفسية في خشوع ، وذلك كيما يكون عندهم من الرقوق ما هو ضروري لنسخ كتب العبادة .... ودامت همجية أوروبا البالغة زمنا طويلا من غير أن يشعروا بها ، ولم يبد في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم ، ولم تكن الحروب الصليبية سببا في إدخال العلوم إلى أوروبا كما يردد على العموم وإنما دخلت العلوم أوروبا من أسبانيا وصقلية وإيطاليا " .<sup>(١)</sup>

١- حضارة العرب ، ص ٥٦٨ .



و يوضح جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> بأمانة و موضوعية كيفية نقل الغرب للحضارة العربية الإسلامية و أسسها إى بلادهم فيقول : " ..... و ذلك أن مكتبا للمترجمين فى طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠ م لينقل أهم العرب إلى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة ( ريمون ) ، و أن أعماله فى الترجمة كللت بالنجاح ما بدأ للعرب بها عالم جديد و لم يتوان الغرب فى أمر هذه الترجمة فى القرن الثانى عشر و الثالث عشر و الرابع عشر من الميلاد ، و لم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء العرب ، كالرازي و أبى القاسم و ابن سينا و ابن رشد ،... إلخ إلى اللغة اللاتينية ، بل نقلت إليها أيضا ، كتب علماء اليونان التى كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم الخاصة ككتب جالينوس و سقراط و أفلاطون و أرسطو و أقليدس و أرشميدس و بطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب كما روى الدكتور لوكير فى كتابه " تاريخ الطب العربى " ، و الحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم إلا من ترجمتها إلى لغة إتباع محمد و بفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التى ضاع أصلها ككتاب أبولونيوس فى المخروطات و شروح جالينوس فى الأمراض السارية و رسالة أرسطو فى المجارة ..... إلخ و أنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة ، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا ، قال مسيوليبري : " لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا فى الآدب عدة قرون .

و يقول مسيورينان : " إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا فى كل شئ ، و أن سان توما مدين فى جمع فلسفته لابن رشد و أن ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية ظلت مصدرا و حيدا ، تقريبا ، للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة قرون متوالية ..... " .

١- نفس المرجع ، ص ٥٦٨ ، ٥٦٩ .



ويخطئ جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> وبجانبه الصواب عندما ينكر أثر القرآن الكريم في تشكي العلوم والمعارف وأسس الحضارة الإسلامية ، ويقارن بين ذلك وبين عدم تأثير التوراة في العلوم الحديثة ، وهذا خطأ وقع فيه المؤلف لأن أسس الحضارة العربية الإسلامية قد ارتكزت على قواعد الشريعة الإسلامية ، وقد جاء القرآن الكريم ليلائم الفطرة البشرية ويقومها ، فيقول : " ولم يكن للقرآن تأثير في جميع مذاهب العرب العلمية والفلسفية التي نشروها في العالم في خمسة قرون كما أنه لم يكن للتوراة أثر في كتب العلم الحديث ، ولا عجب فالقرآن مجموعة أحكام كان يحترمها العلماء تقريبا لأنها مصدر سلطان العرب ، وللملاءمتها احتياجات الجماهير التي ليس لها من طبيعتها أن تكثر للعلوم والفلسفة في كل زمان إلا قليلا ، غير أن العلماء كانوا يبالغون بما بين نتائج اكتشافاتهم ونظريات الكتاب المقدس ( القرآن ) من الاختلاف " ،

ويذكر جوستاف لوبون<sup>(٢)</sup> عدم تأثير القرآن في العلوم الإسلامية في موضع آخر فيقول : " ومما تقدم ننتهي إلى نتيجتين : الأولى هي أنه لم يكن للإسلام كديانة تأثير في آثار العرب العلمية والفلسفية ، والثانية هي أن فضل الشرق في تأثيره في الغرب يعود إلى العرب وحدهم ، وأما الشعوب التي حلت محل العرب وإن اتفق لها شيء من التأثير السياسي أو الديني ، لم يكن تأثيرهم العلمي والأدبي والفلسفي في غير درجة الصفر " .

[ كيف لم يؤثر القرآن في المسلمين أليس هو المتضمن ﴿... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup> والقاتل ﴿... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾<sup>(٤)</sup> وفي الحديث " طلب العلم فريضة على كل مسلم " <sup>(٥)</sup> فلو لم يأمر القرآن بالعلم هل كان يوجد عصر الترجمة لما عند الغير من علوم ؟ إن القرآن الذي تحدث عن علم الفلك والرياضيات ، والبحار والهواء

١- حضارة العرب ، ص ٥٦٩ .

٢- نفس المرجع ، ص ٥٧١ .

٣- سورة طه ، آية ١١٤ .

٤- سورة الزمر ، آية ٩ .

٥- رواه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ج ١ ، ص ٨١ ، رقم ٢٢٤ .

والمياه والسماء ، ... إلخ أليست هذه مدعاة لتعلم العلم والمزيد منه ؟ [ . وقد أنصف جوستاف لوبون <sup>(١)</sup> وشهد شهادة حق في حق الإسلام والمسلمين حيث يعترف بصراحة أن السماحة الإسلامية وتسامح المسلمين مع غير المسلمين كانا من أهم العوامل التي ساعدت على إنتقال الحضارة العربية إلى الغرب الأوروبي فيقول : ... وليست المذاهب مصدر عدم التسامح في الغالب ، بل الأشخاص وكان العرق الغربي من التهذيب والتسامح الذي أقام الدليل عليه في كل مكان منذ بدء فتوحه ... ويمكن القول بأن التسامح الديني كان مطلقا في دور ازدهار حضارة العرب ، وقد أوردنا على هذا غير دليل ، ونسهب فيه ، وإنما نشير إلى ما ترجمه " مسيو دوزي " من قصة أحد علماء الكلام العرب الذي كان يحضر ببغداد دروسا كثيرة في الفلسفة يشترك فيها أناس من اليهود والزنادقة والمجوس والمسلمين والنصارى إلخ ..... ، فيستمع إلى كل واحد منهم باحترام عظيم ، ولا يطلب منه إلا أن يستند إلى أدلة الصادرة عن العقل ، لا الأدلة المأخوذة من أي كتاب ديني كان فتسامح مثل هذا هو مما لم تصل إليه أوروبا بعدما قامت به في ألف سنة من الحروب الطاحنة وما عانت من الأحقاد المتأصلة وما منيت به من المذابح الدينية " .

ثم يقرر جوستاف لوبون <sup>(٢)</sup> صراحة معترفا بأثر الحضارة العربية الإسلامية في الغرب الأوروبي ، وأن هذه الحضارة كانت الأساس في النهضة التي حدثت في أوروبا في العصر الحديث ثم يقرر كذلك وبإنصاف عوامل الحقد والكراهية الدفينة التي يكنها الغرب الأوروبي للإسلام والمسلمين والتي جعلتهم يحاولون إنكار الحضارة الإسلامية في الغرب فيقول : " والحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفته أوروبا من الأعداء إرهابا عدة قرون ، وأنهم عندما كانوا لا يرددوننا بأسلحتهم ، كما في زمن شارل مارقل والحروب الصليبية أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية ، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة ، وأننا لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس .... وتراكمت ميسرات للإسلام

١- حضارة العرب ، ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

٢- نفس المرجع ، ص ٥٧٧ - ٥٧٩ .

والمسلمين فى قرون كثيرة وصارت جزءاً من مزاجنا ، وأوضحت طبيعة متأصلة فىنا تأصل حقد اليهود على النصارى الخفى أحياناً والعميق دائماً . وإذا أضفنا إلى مبتسراتنا الموروثة ضد المسلمين مبتسرتنا الموروث الذى زاد مع القرون بفعل ثقافتنا المدرسية البغيضة القائلة إن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب فى الزمن الماضى أدركنا بسهولة سر جحودنا العام لتأثير العرب العظيم فى تاريخ أوروبا . . . . .

ويستكمل قوله قائلاً : "إنه كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم فى العالم ، وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التى اعتنقت دينهم ، وعن العرب هؤلاء البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقي أو أن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافى ، فكانوا مدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون " .

وترجع الأسباب الحقيقية لهذا التأثير إلى الصلات القديمة والعريقة بين العرب وبين أصحاب هذه البلاد ، ويوضح جوستاف لوبون <sup>(١)</sup> ذلك عن العلاقات العربية الهندية فيقول : " إن علاقة العرب بالهند تعود إلى أقدم عصور التاريخ فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تشك فى وجود بلاد الشرق الأقصى ، وكان العرب يتصلون ببلاد الهند بثلاث طرق أساسية إحداها برية واثنان منها بحريتان وكانت هناك مراكز كثيرة يتم فيها تبادل السلع على طول هذه الطرق " .

وعن الصلات بين العرب وبلاد الصين يقول : " كانت صلات العرب ببلاد الصين غير مباشرة حيث كان اتصالهم يتم بواسطة الهنود ولكن صلاتهم المباشرة بها لم تحدث إلا بعد أن أقاموا دولتهم . وكان العرب يتصلون بالصين بطرق برية وطرق بحرية وكان سلوك طريق البر بواسطة القوافل أعظم يسراً وأكثر استعمالاً وتبادل السلع بين الطرفين <sup>(٢)</sup> .

١- حضارة العرب ، ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

٢- نفس المرجع ، ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

كما كان للعرب صلات تجارية بأفريقية فيقول جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> أنه كان لعرب المغرب صلات تجارية بآتسام إفريقية الغربية على الخصوص ، وكان لعرب مصر صلات بأصقاع إفريقية الشرقية والوسطى ، وكان عرب مصر يذهبون إلى بلاد السودان بعد أن يقطعوا الصحراء طلبا للذهب والعاج والأرقاء ، وبلغ العرب ، في ارتيادهم إفريقية بقاءً مهمة ، ومنها مدن لم يوفق الأوروبيون المعاصرون لزيارتها ، وكان العرب يصلون إلى السواحل وإلى المناطق الوسطى أيضا .

ولم تقتصر علاقة و صلات العرب بالشرق فحسب ، ولكنهم اتصلوا بأوروبا كذلك أن العرب كانوا سادة البحر المتوسط وكانوا يرسلون إلى جميع الموانئ الأوروبية الإفريقية المحيطة بهم منتجاتهم الصناعية والزراعية كالقطن والورق والحريروالجلد وأصبحت الموانئ الأسبانية ذات نشاط كبير كما وصلت علاقاتهم واتصالاتهم بروسيا وما بعدها<sup>(٢)</sup>.

وقد أثر الإسلام تأثيراً عظيماً في العالم الكائن آنذاك وخاصة البلاد المفتوحة وتظهر آثار الحضارة العربية الإسلامية واضحة جليلة في الحضارات والمدنيات الأوروبية والعالمية في العصر الحديث في نواحي الحضارة من النواحي الإنسانية في العلوم، وكذلك العلوم الطبيعية والتطبيقية . وأول مظاهر هذا التأثير يظهر في أثر اللغة العربية وانتشارها وتحدث أهل البلاد المفتوحة باللغة العربية ، وانتقال الألفاظ والمصطلحات العربية إلى أنحاء العالم عن طريق المعابر التي ذكرتها من قبل ، فيقول جوستاف لوبون<sup>(٣)</sup> في ذلك " واللغة العربية من أكثر اللغات انسجاماً وهي لأريب ، مختلفة اللهجات في سورية و جزيرة العرب ومصر والجزائر وغيرها ، ولم يكن هذا الاختلاف في غير الأشكال فترى المراكشي يفهم بسهولة لهجة المصريين أو لهجة سكان جزيرة العرب مثلاً ، مع سكان القرى الشمالية الفرنسية لا يفهمون كلمة من لهجات القرى الجنوبية في فرنسا ، واسمع

١- نفس المرجع ، ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

٢- جوستاف لوبون ، نفس المرجع ، ص ٥٥٨ - ٥٦٢ .

٣- نفس المرجع ، ص ٤٣٩ - ٤٤٢ .



ما قاله الرحالة بركهارد الذى يعد حجة فى هذا الموضوع : " تجد اختلافًا كبيرًا ، لاريب فى لهجات اللغة العربية العامية أكثر مما فى أية لغة أخرى على ما يحتمل .

ولكنه لا يصعب عليك أن تفهمها جميعها إذا ما تعلمت إحداها ، وذلك على الرغم من اتساع البلدان التى يتكلم أهلوها بها ، وهى الواقعة بين مدينة مغادر ( الصوبرة ) ومدينة مسقط <sup>(١)</sup> وقد يكون لاختلاف طبيعة البلدان تأثير فى اختلاف تلك اللهجات التى هى عذبة فى أودية مصر والعراق الدنيا ، وجافة فى سوريا وجبال بلاد البربر ، وأعظم مزق ، كما أعلم هو ما بين لهجة المغاربة فى مراكش ولهجة الأعراب بالقرب من مكة فى الحجاز ، ولكن هذا الفرق بين تلك اللهجتين لا يزيد على اختلاف لهجة فلاحى سواب (جنوب ألمانيا ) عن لهجة فلاحى سكسونية ( شمال ألمانيا ) .

" وأن اللغة العربية قد حلت محل لغات أهل البلاد التى فتحوها وخاصة فى الشرق ... ولم يشذ سوى الأمم اللاتينية الأوربية التى لم تقم اللغة العربية مقام لغاتها القديمة ، ومع ذلك فإن اللغة العربية ذات أثر عميق فى اللغات اللاتينية ، وقد ألف دوزي وانجلمن معجمًا فى الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية وتركت لغة العرب أثرًا مهمًا فى فرنسا نفسها ، وذكر سيديو - والحق ما ذكر - " أن اللهجات السائدة لولاية أوفرن ، وولاية يموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية ، وأن أسماء الأعلام فيها ذات مسحة عربية " .

ويرد جوستاف لوبون على من قالوا بعدم تأثير اللغة العربية فى اللغات الأوروبية بقوله : " وزعم مؤلف أحد المعجمات الاشتقاقية الفرنسية الذى ألف حديثًا أن إقامة العرب بجنوب فرنسا لم تسفر عن أي أثر ، لا فى اللهجات ، ولا فى اللغة ، فقلة قيمة هذا الرأى تبدو مما قلناه آنفاً ، ومن العجيب أن يكرر بعض المثقفين مثل هذا الزعم " .

١- مسقط : هى عاصمة سلطنة عمان ، تقع على سواحل خليج عمان ، و بدأ اتصالهم بالأوروبيين سنة ١٥٠٨ / عندما استولى البرتغاليون عليها و على السواحل المجاورة ، و يقدر سكانها بـ ٧٥٠٠٠ نسمة ، منير البعلبكي موسوعة المورد العربى ، م ٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص ١١١٨ .

وقد جاء هذا التأثير من خلال انتشار العرب الذين جاءوا في جيوش الفتوحات الإسلامية ، وانتشروا في هذه البلاد ، كما أن كثيراً من الأسرات العربية قد انتقلت من بلادها في شبه الجزيرة العربية واستقرت في البلاد المفتوحة ، وحدث هناك تفاعل اجتماعي وتزاوج بين هذه القبائل وأهالي البلاد الأصليين مما أدى إلى انتشار اللغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية في البلاد ، وانتشرت أكثر وأسرع من انتشار الدين الإسلامي نفسه ، حيث أصبح غير المسلمين يتحدثون اللغة العربية<sup>(١)</sup> كما هو الحال في أرض الكنانة .

وقد ارتبط تعلم اللغة العربية في البلاد المفتوحة بعاملين رئيسيين هما : إقبال على الدين وفهمه ، والاهتمام العلمي بنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف . وفي الوقت الذي انتشر فيه الإسلام شرقاً وغرباً في فارس ومصر مثلاً ، وكانت الدواوين في هذه البلاد بغير اللغة العربية فقد تم تعريبها لتتلاءم مع المتغيرات الجديدة والتي في مقدمتها الإسلام ، وكان ذلك دعماً للغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية في هذه البلاد ، وفي جعل كثير من أبناء البلاد المفتوحة يجيدونها حتى أصبح بعضهم من كبار كتاب الدولة الإسلامية . وقد اهتموا بها لتوظيفها في مجالات فنون الأدب لأغراض شخصية لرفع مكانتهم الاجتماعية<sup>(٢)</sup> .

وقد اطلعت شعوب الأعاجم على الإسلام ، وقد أدرك كثير منهم أن الإسلام هو الدين الحق ، وكان الفرس من أسرع الناس استجابة لدعوة الحق ، وفي ذلك يقول توما أرنولد : " على أن سكان المدن وخاصة الصنائع وأصحاب الحرف ، وأهل الطبقة العاملة قد حبوا بالدين الإسلامي واعتنقه عدد عظيم منهم في حماسة كبيرة ، وذلك لما تتطلبه أعمالهم من تركهم ديانة " زرادشت " وتقبيح عبادة النار والأرض والماء ، وهم

١- محمود الحريري ، مصر في العصور الوسطى ، ط ١ ، دار عين للنشر ، ١٩٩٧ ، ص ٧٠ وما بعدها .

٢- سعد أبو الرضا ، " أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية " ، مجلة الأمة ، العدد ٧٥ ، ١٩٨٥ ، ص ٤٦ .

الذين ينظرون إليهم أمام القانون باحتقار وإزدراء ، ولما فى اعتناقهم الإسلام أيضًا من تركهم فى الحال أحرارًا و مساواتهم فى المذهب الدينى .....

وبالرغم من أنه كانت هناك حركات مضادة ، لكنها أقل من أن تعوق المد الإسلامى عن أن يغمر بقاع المشرق فى ذلك الحين كما أن الأتقاء لم يكونوا يؤمنون بعصبية ولا شعوبية ، وفى هذا الجوالإسلامى الخالص أحب كثيرون اللغة العربية وأقبلوا عليها ، فهى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وهى لغة الثقافة والعلم فى العالم فى ذلك الوقت ، وهى لغة الأمراء ورجال الحكم وأصحاب الدواوين ، وهى لغة الفاتحين من قبل ، ومن بعد لغة القبائل العربية التى استوطنت المشرق وامتزجت بأهله بل لقد مضى القرنان الهجريان الأول والثانى ، ولا يكاد يكتب فى شرقى الدولة الإسلامية بغير العربية ، وكذلك كان القرن الثالث شهد لهجات ولغات أخرى ولكن كان للعربية ملامح واضحة كثيرة فيها . وكذلك فى مصر كان الارتباط الوثيق بين تقدم الإسلام وانتشاره وتقدم اللغة العربية وانتشارها ظاهرة عامة فى كل الأرجاء التى دخلها الإسلام ، ولقد كانت الوظائف القيادية يتمتع بها المسلمون ، بالإضافة إلى عامل الهيبة الذى يتمتعون به باعتبارهم الحكم ، مما أغرى مجموعة من الأقباط باعتناق الإسلام لينعموا بالمساواة فى ظله . وبما يشملهم من حقوق ورعاية ترد للإنسان كرامته . وفى الوقت نفسه وجدنا طائفة أخرى من الأقباط يعتنقون الإسلام وقد جذبتهم إليه تعاليمه الصادقة وروحه الجديدة ، وقد عاش هؤلاء وأولئك عيشة إسلامية كاملة قوامها اللغة العربية فى الصلاة والحياة الرسمية ، وهكذا كان انتشار الإسلام من أهم عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية فى مصر .

وفى بلاد الهند للغة العربية أثر كبير على كل لغات ولهجات الهند ، فاستخدم الهنود كثيرًا من الكلمات العربية مع التخفيف فى بعض الحروف مثل حرفي " الصاد والحاء " وأدى هذا إلى التفاعل الحضارى بين الشعوب . ولم يقتصر هذا على استخدام الكلمات العربية فحسب ، بل استخدموا اللغة العربية على نحو التضييق فى المعنى

اللغوي مع تحول كلي في المضمون ، و لازالت الكلمات العربية باقية على شكلها و نطقها الأصليين<sup>(١)</sup>.

وشهد الغرب كله بمقدرة اللغة العربية وقدرتها على احتواء عناصر الحضارة ولذا فقد حاربها الغرب الأوروبي و أدعاء الإسلام و حاولوا القضاء عليها ولكنها صمدت أمام ضرباتهم ، وفي هذا تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطي " : وإذا كانت العربية قد صمدت لكل هذه الحملات الضاربة التي جاءت من الأجانب الغرباء ومن أبنائها المغتربين تحارنا باللهجات العامية حيناً وبالخط الاتيني حيناً آخروا تتهمنا بالبداءة والعقد فتعزلنا عن الميدان العلمي لتظل نائية عن روح العصر. أقول إذا كانت العربية قد صمدت لهذه الحملات فإنها دون ريب تملك القوة والحيوية والصلاحية للبقاء ما قاومت به محاولات المسخ ورفضت نبوءة التنبئين لها بالموت ، وقد عبر أحد المستشرقين عن نفس الفكرة قائلاً : إن المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية في الحضارة الأوروبية ، وإن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي ، وإن استمرار حياة اللغة العربية دولياً هو العنصر الجوهرى للإسلام بين الأمم فى المستقبل وقد لاحظ عالم إيطالى كبير أن معظم التعابير العربية التى تغلغت بكيفية مدهشة فى لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعماري ولكن بفضل إشعاع الإسلام<sup>(٢)</sup>.

١- سيد محمد منور نينار " اللغة العربية و أثرها على لغات الهند " ، مجلة الأمة ، العدد ٤٨ ، ١٩٨٤ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

٢- عز الدين الخطيب التميمي ، " التآمر على اللغة العربية " ، مجلة الأمة ، العدد العاشر ، ١٩٨١ ، ص ٩٠ ، ٩١ .



# المبحث الثانى

## أثر الحضارة الإسلامية على الغرب فى الفلسفة .

لقد كان للفلسفة الإسلامية أثر كبير فى الفلسفة الغربية ، ويوضح جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> ذلك فيقول : " وباتت الجماهير تمقت الفلاسفة مع ما تم لهم من المقام الأسمى فى جامعات العرب ، وكان الخلفاء يرون أن يدرأوا ما ينشأ عن مذاهب الفلاسفة من الفتن الشعبية فيضطرون فى الغالب إلى نفيهم لوقت معين . . . . . وللجماهير ما تعتذره عن معارضتها للفلاسفة ، فقد نبذ الفلاسفة أكثر حكام الإسلام ، ولم يسلموا بغير العقائد الأساسية كوحداية الله ورسالة محمد ، ثم كانوا ينشرون آراءهم علنا ويهاجمون بها عقائدهم مؤمنين بعدم الاكتفاء بعرضها على المثقفين . "

ثم يستكمل لوبون<sup>(٢)</sup> حديثه عن المنهج الذى أتبعه الفلاسفة المسلمون واستخدمهم لقواعد الشك وكذلك المنطق والأسس التى قامت عليها الفلسفة الإسلامية فيقول : " والحق يقضى بالاعتراف للعرب على أنهم أول من أغضى عما نسميه حرية الفكر فى الوقت الحاضر ، فمع ما كان يبديه الفلاسفة من التحفظ الكبير فى كتبهم كانت تبدر منهم فى الغالب ، تأملات مشتملة على جانب كبير من الشك والارتياب ومن ذلك قول أبى العلاء التنوخى الذى عاش فى القرن العاشر من الميلاد يقول : اثنان أهل الأرض : ذو عقل بلا دين ، وآخر دين لا عقل له . "

ويضيف قائلا : " ثم رأى فلاسفة العرب أن يفصلوا الدين عن الفلسفة مراعاة للجماهير ، وأجمل الفيلسوف الغزالي ، الذى كان يدرس فى القرن الحادى عشر من الميلاد فى بغداد ، ما انتهوا إليه فى الكلمة الآتية : ليست الحقائق التى يؤيدها العقل كل ما فى الأمر ، فهناك من الحقائق ما يعجز إدراكنا عن الوصول إليها ونحن نقول بها وإن كنا

١- حضارة العرب ، ص ٤٤٢ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

لا نقدر على استخراجها بقواعد المنطق وبالأصول المعروفة ، وليس مما يخالف الصواب وجود افتراض قائل بوجود دائرة أخرى فوق دائرة العقل . وإن شئت فقل دائرة التجلي الرباني ، ونحن إذ كنا نجهل سنن تلك الدائرة ونواميسها جهلاً تاماً نجد الكفاية في قدرة العقل على الاعتراف بإمكانها <sup>(١)</sup> .

وعن صيت الفلاسفة العرب وأثره في أوروبا يقول جوستاف لوبون : " وأبعد فلاسفة العرب صيتاً هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذي كان له أعظم تأثير في أوروبا أجل يعد ابن رشد ، عادة شارحاً لفلسفة أرسطو فقط ، ولكنني أرى أن هذا الشارح سبق أستاذاه في بعض الأحيان سبقاً يثير العجب ، وأن فلسفته مقبولة في كثير من الأمور أكثر من تلك ، وإذا لم يكن ابن رشد مفكراً حراً بالمعنى العصري على ما يحتمل فإنه فكر بحرية عظيمة في بعض الموضوعات : وتدل تلك العبارة الآتية التي أنقلها من كتاب مسيو رينان حول خلود الروح وقواعد الأخلاق على عظيم استقلال ابن رشد قال رينان : " يرى ابن رشد أن العقل العام المطلق باق على الدهر قابل للانفصال عن الجسم وأن العقل الفردي فان مع البدن " .

يخطئ جوستاف لوبون <sup>(٢)</sup> وقد جانبه الصواب عندما فسر قول ابن رشد عن أقاويل العامة عن الآخرة والنظر إلى الفضيلة على أنها وسيلة للسعادة بأنه ينكر الخلود والبعث والثواب والعقاب ، وهذا خطأ ، فيقول : " وينكر ابن رشد الخلود والبعث ويصرح بأن على المرء ألا ينتظر ثواباً غير ما يلاقي في هذه الحياة الدنيا بكماله الخالص ولم يخفف ابن رشد نفوره من أقاويل العوام عن الحياة الآخرة ، وهو يذهب إلى أنه يجب أن يعد من الأوهام الخطرة نظر المرء إلى الفضيلة وسيلة للسعادة لما يتضمنه ذلك من الإنكار للفضيلة نفسها ..... " <sup>(٣)</sup>

١- حضارة العرب ، ص ٤٤٤ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٤٥ .

٣- نفس المرجع و الصفحة .

وعلى أية حال فقد انتقل من الفكر الإسلامي للفكر الغربي نظريات وأفكار  
فلسفية متنوعة ، فقد أبدى "بيكون" <sup>(١)</sup> و "كاردان" <sup>(٢)</sup> عظيم الاهتمام بأبحاث "الكندى" <sup>(٣)</sup>  
و أفكاره ، ووافق كاردان الكندى على قوله بوحدة العالم وارتباطه ، كما تأثر "كانت" <sup>(٤)</sup>  
بمدرسة الكندى الفلسفية عن مصادر المعرفة التي هي : الحواس ، والعقل ، والخيال.  
كما كان لمنطق الفارابي عظيم التأثير على الباحثين الأوروبيين الذين عنوا بالمنطق  
وقد أخذ موسى بن ميمون <sup>(٥)</sup> .

- ١- والقوة العاقلة في نظر ابن رشد فيها كل شيء كائن فاسدة فالعقل الهيولاني الذي هو من المعقولات بمنزلة  
المادة الأولى من الموجودات يجب أن يكون أزلياً ، أما الصور الخيالية فهي كائنة فاسدة و ما يقال عن  
العقل الهيولاني يقال كذلك عن العقل بالمملكة فإن فيه جزءاً فاسد و هو فعله أما هو في ذاته فهو خالد  
لأنه يدخل علينا من خارج ، و أما العقل الفعال الذي ينقل العقل الهيولاني من حال القوة إلى حال الفعل  
فهو أزلي و مفارق " و جملة القول " أن في النفس عند ابن رشد جزءاً واحد مفارقاً و خالداً و هو العقل  
أما سائر أجزائها الغاذية و الحساسة و التروعية و المخيلة فهي كائنة و فاسدة فلا بقاء إذن إلا للعقل  
هيولاني كان أو فعالاً ، أما النفوس الفردية فإنها فاسدة . " أنظر جميل صليبي ، تاريخ الفلسفة العربية  
بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ص ٥٠٠ .
- ٢- بيكون : هو فرنسيس بيكون ، فيلسوف إنجليزي تعلم في كمبردج ، ولد سنة ١٥٦١ م ودرس المحاماة  
و شارك في الحياة السياسية و الوطنية لمساعدة عمه لورد بيرجلي ، توفي سنة ١٦٢٦ م ، وقد عين  
وكيلاً للنائب العام سنة ١٦٠٧ م في عهد جيمس الأول ثم نائباً عاماً عام ١٦١٣ م ، و في عام ١٦١٧  
عين حافظاً لمخاتم الأعظم ، و عين أخيراً قاضياً للقضاة سنة ١٦١٨ م ، و تزيد مؤلفاته عن ١٤ مؤلفاً  
موسوعة أعلام العرب والأجانب ، ج ١ ، مراجعة جورج نخل ، بيروت ، ص ٣٠٥ .
- ٣- كاردان : فيلسوف و طبيب و رياضي إيطالي ، ولد في بافيا سنة ١٥٠١ م ، و توفي في روما سنة  
١٥٧٦ م و هو ابن غير شرعي لكلارا ميثاري و للقاضي فازيو ، و كان صديقاً للفنان الإيطالي  
ليوناردو دي فينشي ، و حصل على الكتوراه في الطب النفسي سنة ١٥٢٦ م ، و في عام ١٥٦٠ م  
أصابته ضربة عنيفة من أعدائه مما جعله يترك المكان إلى بولونيا و يحصل على كرسي في كليتها سنة  
١٥٦٢ م ، و أودع السجن فترة ١٥٧٠ م بتهمة تسمية برج يسوع المسيح و منع من إلقاء المحاضرات  
ثم تصالح مع البابوية سنة ١٥٧١ م . أنظر : موسوعة أعلام الفلسفة ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
- ٤- الكندي : هو أبو يوسف يعقوب بن أسحق الكندي ولد بالكوفة سنة ١٨٤ هـ ، و درس بالبصرة و بغداد  
علوم الدين و اللغة و الفلسفة و الرياضيات و الطبيعيات و الفلك و الطب و الجغرافيا و الموسيقى  
و حاول التوفيق بين الفلسفة و الدين ، و توفي سنة ٢٥٠ هـ ، أنظر : موسوعة أعلام الفلسفة و الأجانب  
ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
- ٥- كانت : هو إيمانويل كانت ، ولد في مدينة كينسبيرج بروسيا سنة ١٧٢٤ م ، و درس في معهد فريدريش  
الكلاسيكيات الرومانية ، و توفي سنة ١٨٠٣ م . أنظر : عبد الرحمن بدوي ، إيمانويل كانت ، ط الكويت  
ص ٧ ، ٨ ، ٢٧ .



كما كان لمنطق الفارابي عظيم التأثير على الباحثين الأوروبيين الذين عنوا بالمنطق وقد أخذ موسى بن ميمون<sup>(١)</sup> عن الفارابي<sup>(٢)</sup> نظريته للتدليل على وجود الله ، التي أخذها عنه "توما الاكويني"<sup>(٣)</sup> . وأخذها من بعده<sup>(٤)</sup> .

وقد بلغ تأثير العرب في جامعات أوروبا من الاتساع ما شمل معه بعض المعارف التي لم يحققوا فيها تقدما مهما كالفلسفة ، فكان ابن رشد الحجة البالغة للفلسفة في جامعات أوربة منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، ولما حاول لويس الحادي عشر<sup>(٥)</sup> تنظيم أمور التعليم سنة ١٤٧٣ م أمر بتدريس مذهب هذا الفيلسوف العربي ومذهب أرسطو ولهذا كانت المحاولات الأولى في السعي إلى تحرير الفكر كانت أثرا منطقيا للمبادئ التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم : فإلى ابن رشد يرجع الفضل في إدخال حرية الرأي<sup>(٦)</sup> .

وإن كان فقهاء المسيحية قد أبغضوا "ابن رشد" لإتهامهم إياه بالزعة المادية وإنكار خلود النفس الفردية ، لكنهم كانوا يستريحون إلى "ابن ماجه"<sup>(٧)</sup> و "ابن

- ١- موسى ميمون : ولد سنة ٤٨٠ هـ ، وتلمذ على يد الكثير من علماء الإسلام ، وهو صاحب "كتاب دلالة الحائرين" ، وتوفي سنة ٥٩٥ هـ . أنظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ .
- ٢- الفارابي : هو شيخ الفلسفة الحكيم ، أبو النصر محمد بن طرخان بن أوزاغ التركي الفارابي النطقى كان من أصل تركي تعلم اللغة العربية بالعراق ، ودرس المنطق ، وبرع في الفلسفة والكيمياء والقانون والرياضيات ، وله مصنفات كثيرة في هذه العلوم ، وتوفي سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما . أنظر : الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ص ٨٢ .
- ٣- الإكويني : هو توما الإكويني ، وقصد روكازيكا قرب اكوينوين نهاية ١٢٢٤ م على مقربة من تراشينا ١٢٧٤ م ، وقضى حياته فيلسوفا ولاهوتيا ، ونذر نفسه في بداية شبابه للخدمة في ديرمون كاسان حيث قصد باريس حتى سنة ١٢٤٥ م . وفي ١٢٢٨ م ترك باريس ليرافق معلمه المكلف بإدارة مؤسسة تابعة للرهبنة في كولونيا وبقى هناك حتى سنة ١٢٥٢ م وتوفي سنة ١٢٧٤ م ، وبلغت مؤلفاته ٢٥ مؤلفا أنظر : موسوعة لأعلام الفلسفة العرب والأجانب ، ج ١ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .
- ٤- د/ أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامى ، ج ٤ ، ط ٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٨ .
- ٥- لويس الحادى عشر : هو ملك فرنسا ، عمل على تقوية فرنسا وتوحيدها بعد حرب الأعوام المائة ورأسى دعائم الملكية المطابقة في بلاده ، ونقم عليه الشعب بسبب الضرائب التي أرفقهم بها . أنظر : منير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، م ٢ ، بيروت ، ص ١٠٤٩ .
- ٦- اتين دينين ، محمد رسول الله ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، دار الكتاب اللبناني ، ص ٣٤٣ .
- ٧- ابن ماجه : هو فيلسوف الأندلس أبو بكر محمد بن يحيى بن الصانغ السراقطى الشاعر ، كان يضرب به المثل في الذكاء ، وبرع في الطب والموسيقى والفلسفة ، ومات بفاس سنة ٥٣٣ هـ . أنظر الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٥٥٩ .



الطفيل"<sup>(١)</sup> لأنهما يؤمنان بالإشراق والمعرفة التي تستلهم بالتأمل والرياضة . وقد ظهرت توجيهات هذين الفيلسوفين المعتدلين في آراء القديس " توما الإكويني " و " ألبرت الكبير " ولم تخف مع ذلك توجيهات " ابن سينا " نفسه فيما كتبه ألبرت الكبير عن " المعرفة " على الخصوص . بل بقيت لابن رشد أيضا توجيهاته القوية في مدارس الفلسفة الأوروبية قرونا عدة بعد تحريم كتبه وإشهار هذا الحرمان في العالم المسيحي كله<sup>(٢)</sup> .

ويعترف الغربيون بأن " محي الدين عربي "<sup>(٣)</sup> كان له أثر كبير في عقول النساك والمتصوفة من فقهاء المسيحية الذين ظهوروا بعده .

ويرى " أسين بلاسيوس الأسباني "<sup>(٤)</sup> أن نزعات دانتي<sup>(٥)</sup> الصوفية وأوصافه لعالم لعالم الغيب مستمدة من محي الدين بن عربي بغير تصرف كثير . كما أن الفيلسوف جوهان اكهارت الألماني " قد درس في جامعة باريس التي كانت تعتمد على الثقافة الأندلسية في الحكمة والعلوم ، كما درس كل من " سبينوزا "<sup>(٦)</sup> و " رايموندلوف " فلسفة

- ١- ابن الطفيل : هو أبو القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن محمود بن الطفيل الدمشقي المصري عرف بابن المكبسي الصوفي ، تتلمذ على يد الكثير من العلماء في العالم الإسلامي ، توفي سنة ٦٣٧ هـ وقد ولد سنة ٥٥٥ هـ أنظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ص ٣٦ ، ٣٤٥ .
- ٢- عباس العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، الهيئة المصرية العامة للمكتبات ، ١٩٩٨ ، ص ٧٧ .
- ٣- محي الدين العربي : هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ، الشيخ محي الدين أبو بكر الطائفي الحاتمي الأندلسي ، المعروف بابن عربي ، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره ولد سنة ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بالأندلس ، ورحل إلى بغداد ومكة ودمشق وبلاد الروم للتعلم . محمد بن شكر الكتبي ، فوات الوفيات ، تحقيق دز احسان عباس ، بيروت ص ٤٣٦ .
- ٤- أسين بلاسيوس : كاهن أسباني ، مستشرق ، ولد في سراقطة ، عضو المجتمع العلمي في دمشق ، اشتهر بدراسة حركة التفاعل الثقافي بين المسيحية والإسلام . علم العربية في جامعة مدريد ، له دراسات عن الغزالي و ابن حزم ، و دانتي ، و ابن الطفيل ، و ابن باجة . أنظر : لويس المعلوف ، المنجد في الإعلام ط ١٠ ، بيروت ، ص ٤٧ .
- ٥- دانتي : كبير شعراء إيطاليا ، من أهم مؤلفاته " الكوميديا الإلهية " التي تأثر في كتابتها بالإسراء والمعراج . أنظر البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، م ١ ، بيروت ، ص ٤٨٤ .
- ٦- سبينوزا باروخ : ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ م وتوفي في لاهاي سنة ١٦٧٧ م ، و هو قبلسوف هولندي ابن تاجر يهودي ، و حياته صاخبة بالأحداث والتأمل في الفلسفة ، و من مؤلفاته في الفلسفة " مبادئ الفلسفة الديكارتية " ، مبرهنا عليها بالطريقة الهندسية - تأملات ميتافيزيقية - رسالة وجيزة في الله والإنسان و هنائه - رسالة في الأخلاق - الرسالة اللاهوتية السياسية - في إصلاح العقل . أنظر : موسوعة أعلام الفلسفة ، ط ١ .

ابن عربي وقامت فلسفتها على أسسها<sup>(١)</sup>. وهكذا كان أثر المسلمين في التفكير الفلسفي لأوروبا عظيما حتى قال " ترند " إن أعظم ما خلفه المسلمون للفكر الأوروبي هو أعمال فلاسفتهم .

والمعروف أن المشرق الإسلامي شهد نشاط بعض كبار الفلاسفة مثل الفارابي والكندي وابن سينا<sup>(٢)</sup> .

وكان تأثير الفلسفة الإسلامية في الفكر الغربي مركزه الأساسي أسبانيا ، فقد تمت ترجمة أعمال الفارابي وابن سينا والغزالي<sup>(٣)</sup> عن طريق الأندلس في طليطلة<sup>(٤)</sup> تحت إشراف ريموند أسقف المدينة وقد ساعد على ذلك الصلات الفكرية والعلمية بين الشرق والغرب الإسلاميين ووحدة اللغة العربية في جميع أنحاء العالم الإسلامي<sup>(٥)</sup> .

- 
- ١- عباس العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، الهيئة المصرية العامة للمكتبات ، ١٩٩٨ ، ص ٧٨ وما بعدها .
  - ٢- ابن سينا : هو علامة الشهير الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن سينا البلخي ثم البخاري ، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ، وكان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية ، وتوفي سنة ٤٢٨ هـ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٣٤٤ .
  - ٣- الغزالي : هو الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي . كان فقيها عظيما ، تجول في نيسابور و مكة ، وبرع في علم الكلام ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، ومن مؤلفاته : تهافت الفلاسفة ، و تهافت التهافت ، و إحياء علوم الدين . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .
  - ٤- طليطلة : مدينة في أواسط أسبانيا ، استولى عليها الرومان سنة ١٩٣ ق . م ، وفتحها العرب سنة ٧١٢ م وازدهرت في عهد المسلمين ازدهارا كبيرا ، ثم استردها الأسبان سنة ١٠٨٥ م ، انظر : البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، م ٢ ، ص ٧٤٢ .
  - ٥- د/ سعيد عاشور ، أوروبا الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

## المبحث الثالث

### أثر الحضارة الإسلامية في الأدب على الشرق والغرب :

كان للعرب المسلمين أثر كبير على الشرق والغرب سواء كان في البلاد المفتوحة وحكمها المسلمون أو البلاد التي اتصلت بالمسلمين و دور العلم الإسلامية في جميع العلوم الإنسانية والتطبيقية ونفرد هذا المبحث على الأثر العربي في الأدب في الشعر والرواية والقصة ، ويؤكد جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> حيث يقول : " ونال الشعراء نفوذا كبيرا بفضل حب العرب للشعر فكان الشعراء يحركون المشاعر ويرفعون أقواما ويخفضون آخرين كما يشاءون ، وكان من نفوذهم أن منحت قريش الشاعر الأعشى مائة جمل حملا له على عدم نشر قصيدة مدح النبي بها ..... وداوم العرب على قرض الشعر دوام حضارتهم ، وإن لم يسبقوا المستوى الذي وصل إليه قبل النبي ، وكان يقرض الشعر كل رجل مثقف سياسيا كان أو فلكيا أو طبيا ، ولم يكن لغوا قول بعضهم إن العرب وحدهم قرضوا من الشعر ما لم تقرضه أمم العالم مجتمعه ، وكان العرب من حب العرب للشعر أن صاروا ، في بعض الأحيان يؤلفون كتب التوحيد والفلسفة والجبر نظما ومن يطالع قصصهم يرى أكثرهم ممزوجا بقطع شعرية " .

ويستطرد جوستاف لوبون<sup>(٢)</sup> في حديثه عن تأثير الشعر العربي في الشعر الأوروبي فيقول : " ومما بلغ درجة الثبوت ، كما يظهر ، أن الأوروبيين اقتبسوا فن القافية من العرب ، ودلت مباحث فياردو وغيره من الكتاب الكثيرين على هذا الأمر الذي كان الأسقف " هويه " قد بينه منذ زمن طويل : ويعزى مصدر الشعر الأسباني والشعر

١- حضارة العرب ، ص ٤٤٨ .

٢- نفس المرجع و الصفحة .

البروفنسي<sup>(١)</sup> إلى ما كان لشعراء عرب الأندلس من التأثير، ويلوح لي هنا الرأي قويما كالرأي السابق، ولكن إيضاح الأسباب التي يستند إليها في هذا يتطلب إفاضة لا يحتملها هذا الكتاب.

ثم يتحدث المؤلف عن الروايات والأقاصيص ويصرح بأن العرب هم الذين ابتدعوا روايات الفروسية، وأشهرها مقامات الحريري، ومقامات الهمزاني، ورواية ألف ليلة وليلة. ثم يوضح كيف اهتم الشرق بالحكايات والأمثال حيث إنها تلائم النفس وتحفظ في الذاكرة بسهولة وذلك بخلاف الأفكار المجردة.<sup>(٢)</sup>

و بجانب جوستاف لوبون<sup>(٣)</sup> الصواب عندما يصور لقمان على أن شخصيته أسطورية، ويختلف حول الزمن الذي وجد فيه، وحقيقة الأمر أن لقمان قد ذكر في القرآن الكريم علي أنه نبي طبقا لكتب السيرة، وعلى أنه حكيم طبقا لأقوال المؤرخين، وسوف أتناول هذا الموضوع تفصيلا في موضعه في الصفحات التالية، فيقول: "وبعد لقمان الأسطوري أشهر من جاء بالحكايات وجعل محمد لقمان، في القرآن مثال الحكمة، ويرى فريق من العلماء أنه معاصر لداود، ويراه فريق ثان معاصر لإبراهيم، ويرى فريق ثالث أنا مؤلف الحكايات شخص غير لقمان ظهر بعد محمد، ويدل ما بين حكايات لقمان وحكايات أيزوب من الشبه على أن ذلك اقتبس من هذا أو أن كليهما استقى من منبع واحد على الأقل".

ثم يوضح بعد ذلك تأثير الأمثال العربية على أوروبا فيقول: "ومن العرب اقتبست أسبانيا وبقية أوروبا عددًا من الأمثال غير قليل، ومن يدقق في حكمة سانكويانسا يرى قسمها الكبير، الذي لا ينضب معينه، من أصل إسلامي مثل: "استفد من شبابك العمر قصير"، "عاشر حدادا تضرع بالسناج، وعاشر عطارا تنل شذا الأزهار"، "منهومان

١- نسبة إلى منطقة بروفنسال في شمال فرنسا.

٢- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٤٤٨ - ٤٥٠.

٣- نفس المرجع، ص ٤٥٠.



لا يشبعان : طالب علم و طالب مال " . ويستكمل حديثه من إهتمام العرب المسلمين بالبيان و البلاغة ، و اهتمامهم بالأسلوب كثيرا ، و كثرت كتبهم فى البلاغة و النحو <sup>(١)</sup> .

و ذلك لأن الأوروبيين فى تلك العصور لم يجدوا ما يشفى غليلهم فى الآداب المعاصرة المجدبة التى أعوزها الخيال الخصب ، فاتجهوا شطر الأدب العربى المعروف بالخصوبة والإبداع ويقول جب فى ذلك : " إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربى فى شعر العصور الوسطى ونثرها <sup>(٢)</sup> .

وثمة ظاهرة جديدة بالملاحظة فى الشعر العاطفى الأوروبى الذى ظهر من خلال الشطر الأخير من العصور الوسطى ، هى العناية بالقافية . والمعرف أن الشعر الأوروبى الكلاسيكى لم يهتم بالقافية ولم يعطها عناية تذكر فى مختلف أدواره ، على العكس من الشعر العربى الذى يعتبر القافية ركنا فيه . فقد ظهر أثر القافية العربية فى شعر " جوته " الوجدانى ، وفى الموسيقى الجميلة فى شعر " بلاتن " و نثر " ستيفن جورج " <sup>(٣)</sup> .

وقد ظهر هذا الأثر بوضوح فى الشعر المعروف " التروبادور " ومعناه الحقيقى " طرب دور " أى دور من الطرب فى الأندلس لأول مرة على يد العرب المسلمين ثم أخذه عنهم أو تأثر به الأوروبيون خاصة فى بروفانس بجنوبي فرنسا ، وقد شاعت فى الشعر التروبادور فكرة الحب العفيف إلى الموت ، وهى فكرة عربية إسلامية شاعت بين شعراء العرب العاطفيين . ويقول جوستاف فون جرنباوم : " والحق أن الشعر البروفانس يكاد يكون شرقيا عربيا من جميع الوجوه ، خاصة من حيث الشكل والموضوع ، مع ملاحظة أن الطراز الأصلية لجميع أنواع الأناشيد التى ألفها التروبادور كانت موجودة فى شعر العرب الأندلسيين وشعر آبائهم " .

وهكذا يتأكد التشابه بين الزجل الأندلسي ، وبين شعر التروبادور من حيث الأوزان والقوافي ، التى لم تلتزم قبل ذلك فى الشعر الأندلسي والأسباني . هذا إلى جانب أن

١- نفس المرجع ، ص ٤٥٠ - ٤٥٤ .

٢- د. / سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .

٣- د. / سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .

المستشرق الألماني "فيتزجرالد" قد قام بترجمة رباعيات عمر الخيام ، كما حاولت الرومانتيكية في ألمانيا في القرن التاسع عشر الاتصال بالشعر الشرقي من مدخل إنساني، حتى لقد شغل هذا الأدب الشرقي حيزاً كبيراً في تاريخ الأدب الألماني في هذه الفترة<sup>(١)</sup>.

كما ظهر تأثير الآداب العربية الإسلامية في الآداب الغربية في الموضوعات ذات المغزى الأخلاقي ، أو ما كان موضوعه القصصي والأساطير، وهي التي يتألف منها الجزء الأكبر من الآداب العربية الراقية . فهناك أوجه شبه قريبة بين القصص العربية الخيالية الغرامية وبين قصة الملكة " ايزولد " ذات اليد البيضاء ، والقصة الألمانية رولاند سلايد . ومن الآداب العربية ما كان موضوعه الرحلات وعجائب المخلوقات التي تركت أثراً واضحاً في الأدب الأوروبي . وانتقلت الأمثال العربية إلى أوروبا وتم ترجمة مجموعة كبيرة منها في الكتاب الأسباني " قطع الذهب " ، كما ترجمت إلى اللاتينية في كتاب "الفلاسفة الأخلاقيين " الذي نقل منه الفيلسوف الفرنسي " جيوم " كتابه " حكم الفلاسفة "<sup>(٢)</sup>.

أما في الأثر العربي الإسلامي الكبير على الآداب الأوروبية فيظهر بصورة واضحة جليلة في الكوميديا الإلهية " لدنتي الليجيري ، والذي يعتبره الأوروبيون المعجزة الأدبية فنجد هناك تماثلاً وتشابهاً كبيراً بين ما أورده دانتى في كتابه عن الجحيم والمطهر والفردوس وبين ما جاء في قصة الإسراء والمعراج التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، كذلك قصة الصعود إلى السماء التي كتبها الأديب المسلم الأندلسي " محي الدين بن عربي " ، وقصة " رسالة الغفران للمعري " ويتضح لنا من خلال البحث الذي قام به أحد الأوربيين في تساؤلاته حول الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانتى " يناقش الآراء

١- سعيد أبو الرضا ، الآداب الإسلامية وأثرها في آداب الغرب " مجلة الأمة " العدد ٤٩ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - ٣١ .

٢- سعاد ماهر ، " أثر الحضارة العربية في العصر الإسلامي على أوروبا من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية " ، مجلة الأمة ، نوفمبر ١٩٦٦ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

التي طرحها المستشرق الأسباني " آسين بلاسيوس " والذي قال بأن الأصول الإسلامية التي نقل عنها دانتي هي : المأثورات الإسلامية من قصة الإسراء والمعراج ، وقصة المتصوف العربي ابن عربي عن الصعود إلى السماء ، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري وأظهر التأثير الإسلامي فيها ، وخلص إلى أن العقلية الأوروبية في العصور الوسطى كانت عقلية توفيقية جنحت إلى الجمع بين عناصر تراثية كلاسيكية تمثلت في العدد الهائل من الشخصيات ، حقيقة و أسطورية ، وبين العناصر الإسلامية التي تم اقتباسها من المصادر الإسلامية التي توضح لنا هذا التأثير الضخم <sup>(١)</sup>.

وإذا نظرنا إلى فن الموشحات الأروبي نجد أنه قد تطور تطوراً كبيراً في الأندلس فقد استبدل بعض الوشاحين الخرجات الأعجمية بخرجات عربية بلهجة أندلسية وهذا محفوظ في كتابات " ابن سناء الملك " و " ابن يسري " و " لسان الدين الخطيب " وهم من غرناطة في الأندلس .

كما اقتبس الأدب الأروبي ، وخاصة في الأندلس القصص العربية الخرافية التي تتخذ من الحيوان موضوعاً لها مثل " كليله ودمنة " التي ترجمت فآ أسبانيا تحت اسم " التعاليم الكنائسية " التي ترجمها بطرس ألفونس اليهودي . كما تم ترجمة " ألف ليلة وليلة " ، و أن قصة " روبنس كروزو " مأخوذة عن قصة حي بن يقظان لابن الطفيل والتي ترجمت إلى اللاتينية و إلى الإنجليزية . وأيضاً المقامات العربية للحريري والهمذاني وغير ذلك من الآداب العربية التي انتقلت إلى اللغات الأوروبية وعلى ذلك يعترف قائلًا : " أنه قل من يستطيع أن ينكر ما تمتاز به آداب الجنوب الأروبي من انبساط و خيال خصب يرجع إلى ما تأثرت به تلك الآداب بالمؤثرات العربية ، كما يرجع إلى ما خلفته الثقافة العربية من آثار في أهل الأندلس " <sup>(٢)</sup>.

١- هيتشكوك ، التأثير العربي في العصور الوسطى ، ترجمة د. عبده قاسم ، ص ٩٣ - ١١٤٠ .

٢- د. سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

## المبحث الرابع

### أثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب في الكتابة التاريخية :-

لقد كان للمؤرخين العرب المسلمين في أسبانيا وصقاية وفي فترة الحروب الصليبية أثر كبير على كتابة التاريخ ، ويؤكد ذلك جوستاف لوبون <sup>(١)</sup> قائلاً : " إن عدد مؤرخي العرب كان كثيراً حتى أن أحد الكتاب قد عد ١٢٠٠ مؤرخ عربي ، مثل الطبري ، والمسعودي ، وأبو الفرج الأصفهاني ، وابن خلدون وغيرهم " .

وهناك شواهد كثيرة تشير إلى تأثير الدراسات التاريخية الأسبانية بمثلتها العربية قبل إنشاء مدرسة الترجمة بطليطلة ، وهناك أمثلة أخرى تدل على أن هذا التأثير استمر متصلاً إلى القرن السابع عشر ، أي إلى الوقت الذي قامت فيه أسبانيا بالتخلص من العرب أساساً ، ومن العربية لغة وفكرًا وثقافة . وقد بدأت هذه المؤثرات مبكرة عقب الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا ، فظهرت بعض المصنفات التاريخية من تأليف نفر من المغتربين الأندلسيين وتتضمن بعض الروايات التاريخية التي سمعوها عن المؤرخين العرب .

ومن أمثلة المصنفات : الحولية البيزنطية العربية سنة ٧٤١ م ، وهي تاريخ عام يتضمن أخباراً عن بعض ملوك القوط في أسبانيا وأباطرة بيزنطة ، كما تتناول تاريخ العرب في المشرق وأخبار فتوحهم في أسبانيا ، ولم يخف مؤلف هذه الحولية ما كان يشعر به من إعجاب وتقدير للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، مما جعل المؤرخين المحدثين

١- حضارة العرب ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .



يرجحون أنه لم يكن أسبانيا ، وقد تم الاعتماد فى هذه الحولية على المصادر البيزنطية والعربية<sup>(١)</sup>.

وكذلك الحولية المستعربة سنة ٧٥٤ م ، وهى حولية مجهولة المؤلف تتناول تاريخ مدينة قرطبة ، وهى تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة وينتهى إلى حوادث سنة ٧٥٤ م ويشتمل على تاريخ عام للروم والعرب ثم يخصص قسما لتاريخ أسبانيا ، ويبدو أن المؤلف كان مستعربا ، وكان من رجال الدين حيث يتحدث عن الكنيسة ويكون حقا على الإسلام والمسلمين ، وقد اعتمد كذلك على مصادر عربية<sup>(٢)</sup>.

والحولية المعروفة بحولية " البلدة " التى كتبت فى شمال الأسباني ، وتشتمل على تاريخ مختصر للوك القوط<sup>(٣)</sup>.

فى أسبانيا والممالك المسيحية ، وكذلك تاريخ مختصر للعرب فى أسبانيا وفى الشرق منذ عصر إبراهيم عليه السلام<sup>(٤)</sup> وكذلك الحولية الأسبانية التى كتبها أحد رجال الدين الأسباني المستعربين وهو السفير الأسباني للملك ألفونسو الثالث لدى الأمير العربي هناك ، وتتنبأ هذه الحولية بنهاية الوجود العربي هناك بعد مائة وسبعين سنة أى سنة ٨٨٣ م وقد اعتمد المؤلف على المصادر العربية<sup>(٥)</sup>. وقد وضع التأثير العربي بصورة جلية على الكتابة فى الأندلس فى الحولية القوطية التى كتبت فى القرن الحادي عشر الميلادي وقد كتبها أحد المؤرخين المتعربين ، وتناول فيها التاريخ العام لأسبانيا والقوط والفتح

١- د. جمال الشيال ، أثر العرب فى النهضة الأوروبية ، ص ٣٦٦ - ٣٦٨.

٢- المرجع السابق ، ص ٣٦٧.

٣- جاء القوط إلى أسبانيا كأجانب يبحثون عن مناطق النفوذ والسيطرة و يبحثون عن وطن يكونون فيه ملوكا ، و عاشوا هناك يرهقون أهل البلد بالتكاليف الحكومية الباهظة ، و حكموا أسبانيا كأجانب بعيدين عن روح شعبها آمالها و لم يغيروا شيئا من أحوال المجتمع حولهم إذ لم تكن لهم رسالة تلفت الناس إلى الأمل فى التقدم على أيديهم و كانوا أرستقراطيين فعاشوا لهم الناس يشاهدون امتيازات الأرستقراطية السياسة المتطرفة و يعطون من وجودهم و جهودهم و أموالهم ما يحقق مطالب الحياة الرفيعة التى ينعم بها الحاكمون و ما يغطي النفقات الباهظة للحكام . لمزيد من التفاصيل أنظر : على حبيبة ، مع المسلمين فى الأندلس ، مكتبة الشباب ، ص ٨٣ ، ٨٤.

٤- د. جمال الشيال ، المرجع السابق ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩.

٥- نفس المرجع ، ص ٣٦٩.

العربي وقد اعتمد فيها على المصادر العربية ، وخاصة تاريخ الرازي الذي كان له دور كبير في المدرسة التاريخية التي نشأت في طليطلة في أسبانيا <sup>(١)</sup> وكذلك الحولية المعروفة " بالحولية السيلوسية " التي كتبها أحد المستعربين الأسبان من مدينة طليطلة في القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد اعتمد على المصادر العربية في كتابة هذه الحولية التابعة لدير سيلوس <sup>(٢)</sup> وحولية الطليطلي التي كتبها أسقف مدينة طليطلة الذي كان يتقن العربية وغيرها من اللغات الأخرى ، وكتب في هذه الحولية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كم استخدم التاريخ الهجري لا الميلادي مما يؤكد تأثره بالكتابة التاريخية الإسلامية ورجوعه إلى المصادر العربية وخاصة تاريخ الرازي <sup>(٣)</sup> وفي التاريخ العام لأسبانيا الذي أشرف على كتابته ملك أسبانيا ألفونسو العاشر في القرن الثالث عشر الميلادي واستعان في كتابته بعدد من العلماء المسلمين والمستعربين اليهود ويظهر فيه الرجوع إلى المصادر العربية والبيزنطية واللاتينية ، وفيه كثير من التشابه بينه وبين كثير من كتب التاريخ العربية الإسلامية مثل " البيان الواضح في العالم الفادح " للفلسفي المعروف بابن علقمة ، وكذلك " الاكتفاء في أخبار الخلفاء " لابن الكربوس <sup>(٤)</sup> أما " التاريخ العام " الذي كتبه ألفونسو العلم فيتضمن تاريخا عاما للعالم منذ بدء الخليقة وتاريخ الأنبياء والشعوب القديمة ، ونقل معلوماته عن تاريخ الإغريق والرومان والهنود والمصريين القدماء عن المؤرخين العرب، وقد نص صراحة على أن ما ذكره عن مصر منقول عن كتاب " المسالك والممالك " للجغرافي العربي أبي عبيد البكري .

وقد تناولت من قبل الأثر الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدنتي الجيري وهذا يدل على أثر الحضارة الإسلامية في إيطاليا فدنتي كان إيطاليا عاش في صقلية وسط العرب

١- د. جمال الشيال ، أثر العرب في النهضة الأوروبية ، ٢٦٩ - ٣٧٣ .

٢- المرجع السابق ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

٣- د. جمال الشيال ، أثر العرب في النهضة الأوروبية ، ٣٧٤ .

٤- المرجع السابق ، ص ٣٧٤ - ٣٧٧ .

المسلمين الذين ازدهرت حضارتهم هناك . وكذلك تناولت بالتفصيل كيف كانت الحروب الصليبية أحد المعابر المهمة التي عبرت عليها الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي .  
ويظهر الأثر الإسلامي في الكتابات التاريخية للصليبيين في بيت المقدس وخاصة وليم الصوري الذي كتب عن المملكة اللاتينية فيما وراء البحار ونقل عن الكثير من المؤلفات العربية الإسلامية ليوثق معلوماته التاريخية والجغرافية عن المنطق .  
وعد حركة الحروب الصليبية التي انتهت بالفشل الذريع ولم تحقق ما هدفه الغرب الأوروبي ضد الإسلام والمسلمين ، واتجهوا إلى استخدام سلاح آخر هو "الاستشراق" هذه الحركة التي " أخذت نتيجة نحو العناية بدراسة علم التاريخ كأساس للتعلم في الدراسات العربية بصفة خاصة ، ومن ثم أخذ المستشرقون يهتمون بمعرفة تاريخ العرب والإسلام على حقيقته بالرجوع إلى ما كتبه العرب أنفسهم ، وبتحقيق النصوص التاريخية الأصلية وترجمتها وطبعها إلى أن انتهى بهم الأمر بعد ذلك إلى التأليف في تاريخ العرب والإسلام اعتماداً على هذه المراجع الأصلية ، وهذا تدخل حركة الاستشراق في مرحلة جديدة حديثة " (١)

١- دز/ جمال السيل ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

## المبحث الخامس

### أثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب والشرق في الرياضيات :-

ولم يقف فضل العرب وحضارتهم على العالم في العلوم الأدبية فحسب ، ولكنه تعدّها إلى العلوم التطبيقية ومنها الرياضيات التي كان لهم دور كبير في اكتشاف الكثير من أصولها ويؤكد جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> ذلك فيقول : " اتسع البحث في الرياضيات ولا سيما علم الجبر ، عند العرب ، وعزى إلى العرب اكتشاف علم الجبر ، ولكن أصوله كانت معروفة منذ زمن طويل ، ومع ذلك فقد حول العرب علم الجبر تحويلاً تاماً ، وإليهم يرجع الفضل في تطبيقه على علم الهندسة ، وبلغ علم الجبر من الانتشار بين العرب ما ألف معه محمد بن موسى الخوارزمي كتاباً موثقاً له بأمر المأمون في أوائل القرن التاسع عشر من الميلاد ، ومن ترجمة هذا الكتاب اقتبس الأوروبيون معارفهم الأولى لعلم الجبر بعد زمن طويل . واقتصر على ذكر أهم أعمال العرب الرياضية بإيجاز ، لما في بيانها مفصلاً من الدخول في الدقائق الفنية ، وأقول إن العرب هم الذين أدخلوا المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب مقام الأوتار ، وطبقوا علم الجبر على الهندسة ، وحلوا المعادلات المكعبة وتعمقوا في مباحث المخروطات ، وحولوا علم المثلثات الكرية بردهم حل المثلثات الأضلاع إلى بضع نظريات أساسية تكون قاعدة له " .

وهكذا أفلح جوستاف لوبون وأصاب في بيان فضل العرب على العالم أجمع في الرياضيات بكافة فروعها ، فقد بنى المسلمون معارفهم في الرياضيات على أساس من علوم اليونان والهنود ، ثم تقدموا بهذه العلوم وخطوا بها خطوات واسعة نحو الأمام حتى ظهر منهم في المشرق علماء مبرزون في العلوم الرياضية مثل الخوارزمي ، وثابت بن

١- حضارة العرب ، ص ٤٥٥ .



قرة<sup>(١)</sup> والبتاني<sup>(٢)</sup> والخازن البصري<sup>(٣)</sup> وعمر بن ابراهيم الخيام<sup>(٤)</sup> أما في المغرب الإسلامي فقد ظهر مسلمة المجريطي<sup>(٥)</sup> إمام الرياضيين بالأندلس ، وابن الصفار<sup>(٦)</sup> والكرماني<sup>(٧)</sup> . وأمىة بن أبي الصلت<sup>(٨)</sup> وغيرهم . وتقدم المسلمون بالحساب خطوات واسعة ، فأضافوا إلى معلومات اليونانيين كثيراً من النظريات التي لم تعرفها أوروبا من قبل ، كما علموا الأوروبيين نظام الإعداد الهندسي الذي يمثل ثورة شاملة في عالم الحساب وخاصة قيمة العدد الواحد بتغيير وضعه في الآحاد أو العشرات أو المئات أو الألوف .

- ١- ثابت بن قرة : انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ، م ١ ، بيروت ٢ ص ٣١٣ أيضاً موسوعة أعلام الفلسفة ، ج ١ ، ص ٣٦٤ . و كان صيرفيا و منجما للمتعضد ، كما كان طبيبا وفيلسوفاً و توفي سنة ٢٨٨ هـ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ٤١ ، ٤٢ .
- ٢- البتاني : هو صاحب الزيج المشهور أبو عبد الله محمد جابر بن سنان الحراني البتاني ، الحاسب المنجم له أعمال و أرصاد و براعة في فنه ، و كان صائفا فكانه أسلم و تسمى بمحمد ، و له تصانيف في علم الهيئة ، و توفي سنة ٣١٧ هـ انظر : الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٥١٨ .
- ٣- الخازن البصري : هو الإمام المحدث أبو الحسن الحارث بن عبد الله بن إسماعيل بن عقيل الهمداني كان خازنا لبعض الخلفاء ، و حدث عنه الكثيرون ، و توفي سنة ٢٣٥ هـ . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٤١١ ، ٤١٢ .
- ٤- عمر الخيام : هو عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري ، شاعر و فيلسوف فارسي مستعرب من أهل نيسابور ، و كان عالما بالرياضيات و الفلك و اللغة و التاريخ و ترجمت أشعاره إلى اللغات الأوروبية ولد سنة ٣٠٠ هـ و توفي ٣٩٠ هـ ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، م ٥ ، ص ٣٨ .
- ٥- المجريطي : هو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي أبو القاسم ، و فيلسوف و رياضي وفلكي ، كان أمام الرياضيين بالأندلس ، و ينسب إلى مرسية و من مؤلفاته : كتاب الأحجار ، و روضة الحدائق و غاية الحكمة : انظر حيز الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم ، م ٧ ، ط ٧ ، بيروت ، ص ٢٢٤ .
- ٦- ابن الصفار : مفتي الأندلس ، أخذ عن كثير من الفقهاء ، مات سنة ٢٩٥ هـ .
- ٧- الكرماني : هو شيخ الحنفية مفتي خراسان أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أمير علي بن محمد الكرماني ، تفقه بمرور و برع فيه ، ولد سنة ٤٥٧ هـ ، و مات سنة ٥٤٣ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص ٣٤ .
- ٨- أمية بن الصلت : العلامة الفيلسوف الطبيب الشاعر المجود أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أمي الصلت الداني ، ولد سنة ٤٦٠ هـ و تنقل و أقام بالإسكندرية ، ورد إلى المغرب ، و كان بارعا في علم النجوم و الوقت و الموسيقى و المنطق و مات بالهدية في المغرب سنة ٥٢٨ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

والرسائل التي كتبها البيروني<sup>(١)</sup> واليعقوبي<sup>(٢)</sup> في الأعداد ، هذا فضلاً عن اختراع الصفرو وانتقل هذا النظام إلى الغرب الأندلسي مقروناً باسم الخوارزمي والبيروني واليعقوبي ، وخاصة الخوارزمي<sup>(٣)</sup> واكتشف العرب أصول علم الجبر الذي انتقل إلى الغرب الأوروبي باسمه العربي ، وقد قام روبرت الشستري بنقل كتاب محمد بن موسى الخوارزمي إلى اللاتينية . واشتهر كثير من العلماء العرب في هذا العلم مثل : أبو بكر الكرخي<sup>(٤)</sup> صاحب كتاب " الفخري في الجبر والمقابلة " وكتاب " الكافي في الحساب " كما وضع عمر بن إبراهيم الخيام كتاباً في علم الجبر<sup>(٥)</sup>.

ومحمد بن يحيى وابن إسماعيل البوزجاني الذي يقول عنه الإفرنج " أن له في الهندسة استخراجات غريبة لم يسبق إليها ، وله كذلك مبتكرات في الأوتار " ، كما تقدمت نظريات المثلثات على يد الخوارزمي ، وأدخل تجديداً على القطاع ، وقال " كاجوري " أن العقل ليملكه الدهشة حينما يقف على أعمال العرب في الجبر<sup>(٦)</sup> أما في الهندسة و علم المثلثات فقد ترجم العرب كتاب إقليدس في الهندسة ، وهي الترجمة العربية التي نقلها الأوروبيون إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر كذلك تراجم الطوس كتاب المعطيات لإقليدس وهو في هندسة الأشكال الكروية ، ولم يقتصر على معلومات

- ١- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد ، عالم وفيلسوف عربي من أصل فارسي ، وذهب إلى الهند ودرس العربية والحضارة الهندية ، وتوفي سنة ١٠٤٨ م ، وله العديد من المؤلفات الفلسفية . انظر : موسوعة أعلام الفلسفة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
- ٢- اليعقوبي : أحمد ابن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، مؤرخ وجغرافي ، كثير الأسفار من أهل بغداد ، وكان جده من موالى المنصور العباسي ، ورحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية ودخل الهند وزار البلاد العربية وتوفي ما بين عامي ٢٨٤ هـ ، ٢٧٨ هـ . انظر : حيز الدين الزركلي الإعلام ، ١ ، ص ٩٥ .
- ٣- الخوارزمي : أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي البغدادي ، مفتي وفقيه ، درس كثير من العلوم وخاصة الرياضيات ، وقد دعي إلى القضاء مراراً فامتنع ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ ، انظر : الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ١٤٤ .
- ٤- الكرخي : هو أبو بكر الكرخي أو الكرجي ، من كبار علماء العرب في الرياضيات ، عاش وتوفي في بغداد ومن مؤلفاته " الفخري في الجبر والمقابلة " و " الكافي في الحساب " انظر : لويس المعلوف المنجد ، ط ١٠ ، دار المشرق بيروت ، ص ٥٨٦ .
- ٥- سعيد عاشور ، أوربا الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .
- ٦- عبدالله بن عباس الجراري ، تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا ، ط ١ ، دار الفكر العربي ١٩٦١ ص ٥٠ ، ٥١ .

اليونان وإنما جددوا وأضافوا إضافات جديدة لم تعرف من قبلهم ، فهم الذين أدخلوا  
المس إلى علم حساب المثلثات ، كذلك أقام العرب الجيوب مقام الأوتار ، وحولوا  
المعادلات المكعبة وتعمقوا في أبحاث المخروطات ، ومنهم الخوارزمي ، وثابت بن قرّة  
والبتاني والخازن البصري ، وابن الهيثم<sup>(١)</sup> ، وابن السمع<sup>(٢)</sup> ، البيروني<sup>(٣)</sup> وأكبر مثال  
علي هذه النهضة " المقورة والمنبر " التي تتحرك علي عجلات و مفاصل التي بناها أبو علي  
المراكشي التي تبع فيها إلي الأغراض و ميلان الشمس و علو المقياس في بلاد المغرب " ورغم  
عوبة الأندلس إلي حظيرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد في نظر الغربيين حتى  
صارت باريس نفسها التي أسس جامعتها الملك فيليب أوغسطس علي إثر عودته من  
الشرق . تستمد من الغرب والشرق كثيراً من كشوفاتها<sup>(٤)</sup> والأكثر من ذلك أن " ابن حمزة  
حمزة المغربي " الذي ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي استعمل في بعض بحوثه عن  
المتواليات الهندسية طرقاً تقرب من اللوغاريتمات<sup>(٥)</sup> وانتشرت الأرقام العربية من الواحد  
الواحد إلي التسعة في أوروبا ، وإن كان الأوروبيون قد عرفوها إلا أنها أصبحت الأساسية  
في الكتابة والحساب هناك<sup>(٦)</sup> .

- ١- ابن الهيثم : هو محمد بن الحسن بن الحسن بن الهيثم ، عالم من علماء المسلمين البارعين في الطب  
والفلك و كثير من العلوم وله العديد من المؤلفات . انظر الزركلي ، الأعلام ، م ٢ ، ص ١٨٧ .
- ٢- ابن السمع : هو أبو القاسم أصبغ بن محمد السمع المهري ، كان متحققاً بالعدد والهندسة ومتقدماً في الهيئة  
وحركات النجوم ، وله كتب عديدة منها " الكامل في حساب الهواني " وتوفي في غرناطة سنة ٤٢٦ هـ .  
انظر قنري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، ط ٣ ، دار القلم ، ص ٣٣٦ .
- ٣- د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
- ٤- عبد الله الجراري ، المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ .
- ٥- نفس المرجع ، ص ٥٢ ، و الدالة اللوغاريتمية هي صورة عكسية للدالة الأسية .
- ٦- زيفريد هونكه ، شمس العرب تسطع علي الغرب ، ترجمة فاروق بوضون ، ط ٨ ، بيروت ، ١٩٩٣ ،  
ص ٨٠ و ما بعدها .



# المبحث السادس

## أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الفلك :-

ويعتبر علم الفلك من العلوم التي أبدع فيها العرب إبداعاً كبيراً ترك أثاره على الشرق والغرب ، وفي هذا الشأن الهام يعترف جوستاف لوبون <sup>(١)</sup> بفضل العرب على العالم في هذا المجال حينما يتحدث عن أهم المدارس الفلكية التي أقامها العرب ، وعن الذين اشتهروا من العلماء العرب في هذا الشأن ، ويوضح أهم الاكتشافات الفلكية للعرب فيقول : " وتلخص اكتشافات العرب الفلكية بما يأتي إدخال المماس إلى الحساب الفلكي منذ القرن العاشر الميلادي ، ووضع أزياج <sup>(٢)</sup> لحركات الكواكب ، وتعيين دقيق لانحراف سميت الشمس ونقصانه التدريجي ، وتقدير مبادرة الإعتدالين بالضبط ، وتحديد صحيح لمدة السنة ، وتحقيق لشذوذ أعظم عرض للقمر ، وكشف للاختلاف القمري الثالث المعروف بالاختلاف في الوقت الحاضر " .

وحقيقة الأمر أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله الكريم في القرآن الكريم الذي هو دستور الإسلام النظري والتطبيقي كثيراً من الآيات الدالة على احتواء الدين الجديد بكافة نواحي الحياة الإنسانية والعلمية ومنها علم الفلك بكافة مظاهره فيقول سبحانه وتعالى : ﴿... يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا...﴾ <sup>(٣)</sup> ويقول كذلك : ﴿... يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...﴾ <sup>(٤)</sup> ويقول أيضاً : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ

١- حضارة العرب ، ص ٤٥٦ - ٤٦٤ .

٢- أزياج : مفرد هازيج ، و هو كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم و يستخرج بواسطتها التقويم سنة بسنة . المعجم الوسيط ، ج ١ ، ط ٣ ، مجمع اللغة العربية ، ص ٤٢٣ .

٣- سورة الأعراف ، آية ٥٤ .

٤- سورة الزمر ، آية ٥ .



أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾ ويقول جل شأنه ﴿... يُوَلِّجُ أَلِيلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي أَلِيلٍ...﴾ ﴿٢﴾ .

ومن هذا المنطلق اتجه العلماء المسلمون ناحية الفلك وتطويره خاصة وأن حياة العرب قبل الإسلام كانت مرتبطة بالفلك والنجوم والكواكب والشمس والقمر، ولا شك في أن تقدم العرب في العلوم الرياضية كما رأينا في المبحث السابق ساعد على تفوقهم في هذا العلم " علم الفلك " الذي أولوه اهتماماً وعناية فائقتين ، ويدل على ذلك المراسد العديدة التي انتشرت في مختلف المدن الإسلامية شرقاً وغرباً ومنها مرصد سمرقند في العراق ودمشق في بلاد الشام والقاهرة في مصر وفاس في المغرب وطليلة وقرطبة في الأندلس (٣).

ومن العلماء المسلمين الذين نبغوا في علم الفلك " محمد البتاني " الذي صحح كثير من الأخطاء التي وقع فيها بطليموس السكندري من قبل ، بل ووصل إلى نتائج جديدة وخطيرة . وكذلك " محمد الفرغاني " الذي حدد طول السنة وأطوال الليل والنهار وحركات الكواكب والنجوم . وابن يونس المصري الذي بحث في كسوف الشمس وتعيين الاعتدال الشمسي وتحديد خطوط الطول . كما وضع " أبو الوفا " جداول فلكية دقيقة . هذا فضلاً عن " البيروني " الذي كتب كتابين في علم الفلك هما " أفراد المقال في أمر الظلال " و " تمهيد المستقر لمعنى الممر " وترجمت كل هذه الأبحاث إلى الأسبانية واللاتينية في غرب أوروبا وخاصة كتاب البتاني المعروف بـ " الزيج الصابي " والذي حدد فيه تقسيم دائرة الفلك وارتفاع القطب الشمالي ، ومعرفة زيادة النهار ومعرفة سمت الارتفاع والظل من دائرة الأفق ، ومعرفة عروض البلدان ، ومعرفة ارتفاع الشمس وقت انتصاف

١- سورة يس ، آية ٤٠ .

٢- سورة لقمان آية ٢٩ .

٣- د. سعيد عاشور ، أوروبا الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ .

النهار، و معرفة ارتفاع الكواكب ، و طول السنة الشمسية و أفلاك القمر و الكواكب  
و معرفة كسوف الشمس و مطالع البروج <sup>(١)</sup> .

وقد استطاع علماء الفلك المسلمون تعيين انحراف سمت الشمس تعيينا دقيقا  
حدوده بثلاث وعشرين درجة وثلاث وثلثين دقيقة واثنيتين وخمسين ثانية ، وهذا ما  
توصل إليه العلماء الفلكيون في العصر الحديث . كما استطاع العرب قياس طول السنة  
الشمسية بالضبط . ووضعوا جداول لأمكنة الكواكب السيارة ، وتوصلوا إلى أن حركات  
هذه الكواكب على شكل بيضاوي كما توصلوا إلى نظرية دوران الأرض . واستعملوا  
الإسطرلاب الذي أخذه الغرب الأوروبي عنهم <sup>(٢)</sup> .

أما ابن الهيثم فقد اهتم بالتجارب بواسطة نوع من ( الآلة - الثقب ) ومن خلالها  
رأى أن صور العالم مقلوبة ، كما اكتشف تعليلاً لكثافة مختلف الطبقات كالماء والهواء  
وانكسار الضوء ، كما اهتم بتعليل ظهور الهلال ، والغسق وقوس قزح <sup>(٣)</sup> وانتقلت كل هذه  
الاكتشافات العربية في الفلك إلى أوروبا والعالم ، دليلنا على ذلك أن الأسماء العربية  
لأسماء الكواكب والنجوم وأسماء المدارات والمصطلحات الفلكية لازالت في اللغات  
الأوروبية وفي المعجمات والقواميس الفلكية في أوروبا <sup>(٤)</sup> .

١- المرجع السابق ، ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

٢- د. / سعيد عاشور ، أوروبا الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

٣- هونكة ، المرجع السابق ، ١٤٩ .

٤- عباس العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ٥٢ .

# المبحث السابع

## أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في العلوم الجغرافية :-

ولقد كان للعرب المسلمين الريادة علي العالم في العلوم الجغرافية قبل أن يعرفها أهل أوروبا وكان لهم الفضل الكبير في اكتشاف واختراع الكثير من الجديد في هذا المجال ونقله إلي العالم شرقا وغربا ، ويؤكد جوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " <sup>(١)</sup> الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه ذلك حيث يتحدث بالتفصيل عن ريادة العرب الجغرافية ، وكيف أن هذه الريادة بدأت مع مجموعات من التجار المسلمين الذين جابوا أنحاء الأرض ووصلوا إلى بلاد الصين في أقصى الشرق والتي كان الأوروبيون يعتقدون بعدم وجودها . وبعد ذلك يتحدث عن الرحالة المسلمين مثل المسعودي ، وابن حوقل ، وابن بطوطة ، وما قام به هؤلاء الرحالة في رحلاتهم .

ثم يتناول بالتوضيح ما حققة العرب في العلوم الجغرافية حيث يقول : " كان من نتائج ريادات العرب و معارفهم الفلكية التي ذكرتها أن اتفق لعلم الجغرافية تقدمهم ولا غرو فالعرب الذين اتخذوا في البداءة علماء اليونان ، ولا سيما بطليموس إدلاء لهمم في علم الجغرافيا لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم فيه علي حسب عاداتهم . فكانت مواضع المدن الكثيرة التي عينها بطليموس تعيينا جغرافيا غير مطابقة للحقيقة تماما وبلغ مقدار غلطة في تعيين طول البحر المتوسط وحده أربعمائة فرسخ <sup>(٢)</sup> .

وعن أهمية كتب العرب في الجغرافيا يقول جوستاف لوبون <sup>(٣)</sup> : " وكتب العرب التي انتهت إلينا في علم الجغرافيا مهمة إلي الغاية ، وكان بعضها أساسا لدراسة هذا العلم في أوروبا قرونا كثيرة " .

١- ص ٤٦٥ - ٤٦٨ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٦٨ .

٣- نفس المرجع ، ص ٤٦٩ .

وبعد أن يستطرد جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> في سرد الكتب الهامة التي ألفها العرب في هذا المجال يتعرض لأهم أعمالهم ثم يبين فضلهم علي العالم قائلًا : " وتكفي الخلاصة السابقة لإثبات شأنهم مع ذلك ، ولولا إصرار الأوروبيين الخاص علي مبتسراتهم الموروثة التي لا تزال باقية ، حيال الإسلام لتعذر إيضاح السبب في أفكار العلماء أفاضل في الجغرافية كمسيو فيفان دوسان مارتن ، لذلك الشأن ، ومع ذلك يكفي ما أتى به العرب من عمل كبير لإثبات قيمتهم ، فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدت أول أساس للخرائط ، فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في المواضع والعرب ، من ناحية الريادة ، هم الذين نشروا رحلات عن بقاع العالم التي كان يشك الأوروبيون عن وجودها فضلا عن عدم وصولهم إليها والعرب من ناحية الأدب الجغرافي ، هم الذين نشروا كتباً قامت مقام الكتب التي ألفت قبلها ، فاقترنت أمم الغرب على استنساخها قرونا كثيرة " .

لقد كانت الجغرافيا ضرورة حتمية للعرب ، وكانت عناية العرب بالجغرافيا وليدة ظروف البيئة التي يعيشون فيها وتحيط بهم إلى حد كبير ، فقد كانت نشأتهم الأولى في وسط يحتم عليهم أن يبذلوا كل الجهد للإلمام بالمعلومات الجغرافية ، فلم يكن في مقدرتهم القيام بالرحلات السلمية أو الحربية في الصحراء الواسعة إلا إذا عرفوا المعلومات المفيدة عن النجوم والكواكب لاتخاذها أدلة وهداية ، كما أنهم كانوا لا يستطيعون التنقل بالإبل والأغنام إلا إذا عرفوا أماكن العشب وموارد المياه ، وأماكن الحيوانات المفترسة . وهذا جعلهم يعرفون الكثير عن الجغرافيا الطبيعية لهذه الأماكن ، وامتلأت أشعارهم بذلك .<sup>(٢)</sup>

وعندما ظهر الإسلام ، وحدثت حركة الفتوحات الإسلامية وامتلك المسلمون معظم أطراف العالم الكائن آنذاك ، وأدى هذا التوسع إلى زيادة أهمية المعلومات الجغرافية عن أطراف العالم الإسلامي ، والوقوف علي أطوال البلاد المفتوحة ، والطرق

١- حضارة العرب ، ص ٤٦٩ - ٤٧١ .

٢- د. / محمد محمود الصياد "في الجغرافيا" أثر العرب و الإسلام في النهضة الأوروبية ، ص ٣٠٩ .



التي تربط بين أجزاء العالم الإسلامي ، حيث إن السياسة والإدارة والتجارة و ما إليها مما يتطلب وصفا دقيقا للأمكنة والبقاء ، وتفصيلا وافيا لأحوال شتى الأقطار و ما تنتجه أراضيها من غلات (١).

وقد اعتمد العرب أول ما اعتمدوا علي " بطليموس السكندري " (٢) صاحب " المجسطي " وهو مصري الأصل ، ويعتبر المعلم الأول للجغرافيا في العصور القديمة ، وطوره العرب المسلمون وخاصة البيروني (٣).

وتدين أوروبا إلي العرب بحفظ معلومات اليونان الجغرافية ، التي لم يعرفونها إلا من خلال كتب العرب المسلمين ، فقد صحح العرب ما وقع فيه القدماء من أخطاء وأضافوا إليها تجاربهم ، وقد ساعدهم علي ذلك حبهم للسياحة والرحلات ، فجابوا البلاد من شرق آسيا إلي مجاهل أفريقيا وأقاموا علاقات تجارية مع البلاد التي لم يسمع عنها الأوروبيون أوشكوا في وجودها ، وعلى رأس هؤلاء الرحالة ابن حوقل (٤) البيروني وابن بطوطة (٥) والإدريسي (٦).

١- نفس المرجع ، ص ٣١٠.

٢- بطليموس : جغرافي يوناني قديم.

٣- عباس العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص ٤٣ ، ٤٤.

٤- ابن حوقل : هو محمد بن حوقل البغدادي الموصلی ، رحالة علماء البلدان و كان تاجرا رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ و دخل المغرب و صقلية و بلاد الأندلس و غيرها ، ومن مصنفاته : " كتاب المسالك والممالك . انظر : الزركلي الأعلام ، م ٦ ، ص ١١١.

٥- ابن بطوطة : رحالة عربي ولد في مدينة طنجة سنة ٧٠٧ هـ ، ونشأ في بيئة علمية ، و قد أولع بالسفر والرحالة ، فرحل عن وطنه سنة ٧٢٥ هـ لأداء فريضة الحج ، و قضى ما يقرب من ثلاثين عام في رحلات متواصلة في ديار الإسلام . انظر : د. السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ و المؤرخون العرب مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٧ ، ٢٣٢.

٦- الإدريسي : هو أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الإدريس الاسترأبادي محدث سمرقند ، ألف تاريخ سمرقند و استرأباد ، حدث في كثير من بلدان المسلمين ومات بسمرقند سنة ٤٠٥ هـ انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ١٣٨.

والمقديسى<sup>(١)</sup> والاصطخري<sup>(٢)</sup> وياقوت الحموي<sup>(٣)</sup> وقد أسهم كل هؤلاء وغيرهم بنصيب وافر من المعلومات الجغرافية<sup>(٤)</sup>.

وقد زود العرب كتبهم الجغرافية بكثير من الخرائط فكتاب الشريف الإدريسي المعروف "نزهة المشتاق في ذكر الأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق مزود بأكثر من أربعين خريطة، وترجم إلى اللاتينية حيث اعتمد عليه الأوروبيون أكثر من ثلاثة قرون، والإدريسي هذا هو الذي كلفه روجر الثاني ملك صقلية بوضع خريطة جامعة أثبتت أن معلومات العرب الجغرافية أوسع مما كان يظن<sup>(٥)</sup> ويقال أن فاسكوا دي جاما قد درس الخرائط التي وضعها العرب للبحار، وكذلك كولبس قد أطلع على كتب العرب في الجغرافيا والرحلات قبل القيام برحلته لاكتشاف أمريكا وقد ساعده ذلك كثيراً في تلك الرحلة وهذا ما يتصل بما ذكره الإدريسي الإخوة المغربيين الذين خرجوا من لشبونة واتجهوا في المحيط الأطلسي غرباً حتى اكتشفوا أكثر من جزيرة، ومعني ذلك أن العرب فضلاً عن جهودهم التي استنفاد منها كولبس -- حاولوا عبور المحيط الأطلسي الوصول إلى العالم الجديد قبل كولبس بكثير<sup>(٦)</sup>.

وقد ساعد العرب على القيام برحلاتهم العلمية والتجارية معرفتهم بالبوصلة المغناطيسية التي اخترعوها واستخدموها في أسفارهم واستخدموها في الملاحة، ونقلوها إلى أوروبا، مما مكنهم من ارتياد البحار في جرأة ومهارة فائقة، حتى ملكوا في أيديهم

- 
- ١- المقديسى : يحيى بن الخطيب أحمد بن أحمد بن جعفر المقدس ثم الدمشقي الشافعي ، شيخ و فقيه ، ولد سنة ٦٢٧ هـ ، وتوفي سنة ٧١٦ هـ ، و هو من أسرة بها كثير من العلماء و الفقهاء و الأئمة.
  - ٢- الاصطخري : هو أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد الاصطخري الشافعي ، فقيه العراق و رفيق ابن شريح ، و سمع من كثير من العلماء ، و مات سنة ٣٢٨ هـ عن عمر أكثر من ثمانين عاماً.
  - ٣- ياقوت الحموي : شهاب الدين الرومي النحوي الإخباري المؤرخ ، رحل إلى كثير من البلاد ، و له مؤلفات كثيرة منها " الآباء " و " معجم البلدان " و " المشترك وصفا و المختلف صغاً " و كتاب " و المال في التاريخ " و كتاب " الأنساب " و مان شاعرا و كتاب " الدول " انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠.
  - ٤- د. / سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥١٠.
  - ٥- د. / سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥١١.
  - ٦- نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٥١١.

زمام التجارة بين الشرق والغرب ، وقد ساعد هذا النشاط التجاري علي ابتكارهم لبعض النظم المالية والتجارية التي انتقلت إلى أوروبا عن طريقهم ولا تزال هذه المصطلحات العربية في المال والتجارة والجغرافيا والملاحة سائدة في أوروبا مثل : حوالة - شيك - بازار - دينار - تعريفة - أمير البحر " طرح السفينة - دار الصناعة - الفلك - الجلفطة<sup>(١)</sup> .

و من الكشوف الجغرافية التي تمت علي يد العلماء الجغرافيين المسلمين وانتقلت إلى أوروبا معرفة أجزاء من العالم في آسيا وأفريقيا لم تكن معلومة للعالم من قبل ، وكذلك تفسير حركات المد والجزر في البحار والربط بينها وبين أوجه القمر ، والفرق بين الخليج والمصب الخليجي ، والجغرافيا الاقتصادية ، والملاحة البحرية ، وليس بخاف علينا الدور الذي لعبه الملاح العربي " شهاب الدين أحمد بن ماجد " كدليل للبحارة الأوروبيين وحركة الكشوف الجغرافيا ، واكتشاف الطريق إلى الهند في كتابه " الفوائد " <sup>(٢)</sup> ومن أهم وأخطر الأجهزة العلمية في الجغرافيا والملاحة التي ابتكرها العرب ، وكان لها الفضل في نقلها إلى أوروبا : الإبرة المغناطيسية أو البوصلة ، والاصطرلاب لقراءة الميل عند الزوال ، المزاولة الشمسية ، وذات السمات والارتفاع ، والحلقة الصغرى . وقد قام " الخوقندي " في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بصناعة " سداسي الفخري " الذي يستخدم في معرفة ارتفاعات الأماكن والذي صنع علي أساسه " السدس أو صندوق سكستان وقد برع كثير من الصناع العرب مثل الكوهي والصاغاتي في هذه الأمور <sup>(٣)</sup> .

و من الجدير بالذكر أن الجغرافيين العرب قد توصلوا إلي كروية الأرض فابن خردابة المتوفي سنة ٨٨٥ م يقول في كتابه المسالك والممالك " : أن الأرض مدورة كتدوير الكرة موضوعه في جوف الفلك كلمحة في جوف البيضة . " ويقول ابن رسته في كتابه الأعراق النفيسة والمتوفي سنة ٩٠٣ م إن الله عزوجل وضع الفلك مستديراً كاستدارة الكرة

١- د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥١١ - ٥١٣ ، عباس العقاد ، أثر العرب ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٢- الصياد ، المرجع السابق ، ص ٣١٦ - ٣٢٠ .

٣- نفس المرجع ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

أجوف دورا ، والأرض مستديرة أساسًا كالكرة مصمتة في جوف الفلك . " والمسعودي<sup>١</sup> في كتابه " التنبيه والإشراق " و هو يتحدث عن حزر الأوقانوس . " إن الشمس إذا غابت في الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين وذلك نصف دائرة الأرض . " وكذلك توصل العرب إلى أن الأرض تدور حول الشمس وقد قال بذلك أبو سعيد السنجاري وقطب الدين الشيرازي و أبو الفرج الشابي و أعجب به البيروني ، وهكذا سبقوا أوروبا في هذه الحقيقة وفتحوا الطريق أما كوبرا نيكوس الذي جاء في القرن السادس عشر يقول هذا القول : " وفضلا عن هذا وذاك لقد أضاف العرب الخرائط لتوضيح المعلومات الجغرافية ، وهذا واضح من خلال كتاب الخوارزمي " صورة الأرض " وغيره من الجغرافيين العرب وأخذها عنهم الأوروبيون . (٢)

---

١- المسعودي : هو أبو الحسن علي ابن الحين المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، توفي سنة ٣٤٦ هـ وهو مؤرخ ، وله مؤلفات منها : كتاب مروج الذهب و معادن الجواهر في تحف الأشراف والملوك وكتاب ذخائر العلوم و ما كان في سالف الدهور .  
أنظر : المسعودي مروج الذهب ، م ١ ، ط ٥ ، دار الفكر ، ص ٦ .  
٢- الصياد ، المرجع السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٧ .



# المبحث الثامن

## أثر الحضارة العربية والإسلامية على الشرق والغرب في الفيزياء والميكانيكا :-

كما برع العرب في العلوم الإنسانية برعوا كذلك في العلوم الطبيعية والعلمية فنجد آثارهم واضحة في علوم الفيزياء والميكانيكا ويتحدث عن ذلك جوستاف لوبون<sup>(١)</sup>.

فيقول : " وإن كانت الكتب العربية التي وصلت إلى أوروبا قليلة فإن أهمية كتب العرب في الفيزياء توضح في كتاب "الحسن بن الهيثم" في البصريات والذي أعده مسيو شال والذي يعد حجة في هذه الموضوعات مصدر معارف أوروبا للبصريات .

كما يتحدث عن الميكانيكا عند العرب : " معارف العرب الميكانيكية العملية واسعة جدًا ، ويستدل على مهارتهم في الميكانيكا من بقايا آلاتهم التي انتهت إلينا من وصفهم لها في مؤلفاتهم ..... وخاصة ذات الأثقال " .

وقد أصاب جوستاف لوبون في توضيحه فضل العرب في الابتكارات والإضافات التي ابتكروها وأضافوها إلى علمي الطبيعة والميكانيكا . فقد كان من علماء العرب المشهورين في الطبيعيات " البيروني " الذي عاش في أواخر القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي ، ومن أعماله في علم الطبيعة تعيين الكثافة النوعية الثمانية عشر نوعاً من الأحجار الكريمة ، كما وضع القاعدة التي تنص على " أن الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يزنه " وشرح أسباب خروج المياه من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية في ضوء نظرية الأواني المستطرقة<sup>(٢)</sup>.

وكذلك العالم المسلم " الحسن ابن الهيثم " الذي عاش في الفترة من سنة ٩٦٥ م إلى سنة ١٠٣٠ م وأشتغل بالعدسات والبصريات ، وله عدة رسائل في أضواء الكواكب ، وفي الضوء ، وفي المرايا المحترقة بالقطوع ، وفي المرايا المحترقة بالدائرة ، وفي ضوء القمر .

١- حضارة العرب ، ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

٢- د. سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

وقد استقى علماء الغرب وخاصةً روجر بيكون معلوماتهم من أبحاث ابن الهيثم .  
وأيضًا "الخازن البصري" الذي عاش في نفس الفترة التي عاشها ابن الهيثم ، وكتب أبحاثًا  
في المرايا وأنوعها وحرارتها ومحل الضوء الظاهرة فيها ، وفي إنحراف الأشياء وتجسيمها  
ظاهريًا . كما أجرى تجاربه لإيجاد العلاقة بين وزن الهواء وكثافته ، وأوضح أن المادة  
يختلف وزنها في الهواء الكثيف عنه في الهواء الأقل كثافة لاختلاف الضغط ، كما عالج  
النظريات المتعلقة بالجاذبية ومركز الثقل . وقد ترجمت كتب الخازن البصري <sup>(١)</sup> هذه  
إلى اللاتينية والإيطالية واستقى العلماء الغربيون معلوماتهم عنه وكان لها أثر كبير على  
علومهم في العصر الحديث <sup>(٢)</sup> .

ويأتي علي رأس العلماء العرب المسلمين "ابن سينا" الذي عاش في أواخر القرن  
العاشروالنصف الأول من القرن الثاني عشر ، والذي قام ببحوث ودراسات وتجارب  
في الحركة والطاقة والفراغ والضوء والحرارة والكثافة النوعية ، هذا فضلًا عن دراساته  
في المعادن التي استفاد منها الأوروبيون عن طبقات الأرض . أما كتابه "شفاء النفس"  
فيعد موسوعة علمية ضخمة في الطبيعة والرياضيات وعلوم الدين والاقتصاد والسياسة  
والموسيقى <sup>(٣)</sup> .

وفي علم الميكانيكا إلى جانب "البيروني" الذي اشتهر ببحوثه في الميكانيكا  
والايدروستاتيكا "بنو موسى" الذي ألفوا كتابا يعتبر الأول من نوعه في الميكانيكا  
وإيجاد مراكز الثقل ، ووصف الرازي الأجهزة العلمية التي كانت معروفة في عصره ، وصف  
أكثر من عشرين من هذه الأجهزة المعدنية والزجاجية وقد اعترف "بلتن" في أكاديمية  
العلوم الأمريكية بأثر كتاب "ميزان الحكمة" للخازن وماله شأن في تاريخ الطبيعة

- 
- ١- الخازن: هو الإمام محدث همزان ، أبو الحسن الحارس بن عبدا لله بن إسماعيل بن عقيل الهمزاني المعروف بالخازن ، سمع عن كثير من الحديثين ، ومات سنة ٢٣٥ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٤١١ ، ٤١٢ .
  - ٢- د. سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .
  - ٣- نفس المرجع ، ص ٥١٥ .

وتقدم الفكر العلمي عند العرب ، فقد سبق الخازن " تورشيلي " <sup>(١)</sup> في الإشارة إلى مادة الهواء ووزنه <sup>(٢)</sup>.

وقد بحث الخازن كيفية إيجاد الكثافة للأجسام الصلبة والسائلة واخترع ميزانا لوزن الأجسام في الهواء والماء له خمس كفات تتحرك على ذراع مدرج ، وقدر الكثافة لكثير من العناصر والمركبات لدرجة عظيمة من الدقة . كما تحدث عن الجاذبية واستفاد منها نيوتن وجاليليو . كما أن للخازن بحوث في مراكز الأثقال وشرح بعض الآلات وكيفية الانتفاع بها والأنابيب الشعرية ، كما ميز بموازينه الأحجار الكريمة عن أشباهها وقد كانت كل هذه الرسائل العربية الإسلامية في الطبيعة والميكانيكا المراجع الأساسية والأصلية التي استقي منها العلماء الأوروبيون معلوماتهم <sup>(٣)</sup>.

---

١- تورشيلي: عالم ايطالي في الفيزياء اخترع ميزان الضغط (بارومتر) ولد سنة ١٦٠٨م ومات سنة ١٦٤٧م.

٢- عبد الحليم منتصر ، " في العلود و الطبيعة " في كتاب أثر العرب في النهضة الأوروبية ، ص ٢٣٤ .

٣- عبد الحليم منتصر ، " في العلوم و الطبيعة " في كتاب أثر العرب في النهضة الأوروبية ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

# المبحث التاسع

## أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الكيمياء :-

لقد كان للعرب فضل كبير وأثر ضخم على الشرق والغرب في علم الكيمياء ، وقد أصاب جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> في توضيح هذا الفضل للعرب فيقول : " والمعارف التي انتقلت من اليونان إلى العرب في الكيمياء ضعيفة ، ولم يكن لليونان علم بما اكتشفه العرب من المركبات المهمة كالكحول وزيت الزاج ( الحامض الكبريتي ) وماء الفضة ( الحامض النتري ) وماء الذهب وما إلى ذلك ، وقد اكتشف العرب أهم أسس الكيمياء كالتقطير ..... قال بعض المؤلفين ، إن لافوازيه واصل علم الكيمياء ، وقد نسوا أننا لا عهد لنا بعلم من العلوم ، ومنها علم الكيمياء ، صار ابتداعه دفعة واحدة وأنه وجد عند العرب عن المختبرات ما وصلوا به إلى اكتشافات لم يكن لافوازيه<sup>(٢)</sup> ليستطيع إلى اكتشافاته بغيرها".

ثم يتحدث عن علماء العرب في هذا العلم وعلى رأسهم " جابر بن حيان " الذي كان له من المؤلفات الكثير ، وقد احتوت هذه المؤلفات على مركبات كانت مجهولة من قبل وكذلك على أعمال أساسية كالتقطير وغيرها والتي لم توصف من قبل ..... ويتناول بالحديث عن " الرازي " الذي أول من وصف زيت الزاج ( الحامض الكبريتي ) والكحول وبين طرق الحصول عليها .

ولقد أصاب جوستاف لوبون كبد الحقيقة ، فقد توصل العلماء العرب المسلمون إلى ابتكارات واكتشافات عديدة في علم الكيمياء ، بعد أن ظل هذا العلم مشوباً ببعض الخرافات والأوهام كالبحث عن إكسير الحياة الذي يشفي من جميع الأمراض . كما كان

١- حضارة العرب ، ص ٤٧٤ - ٤٧٧ .

٢- لافوازيه : أنطوان لوران ، كيميائي فرنسي مؤسس الكيمياء الحديثة ، صاحب تسمية الأكسجين سنة ١٧٧٥ م ، سنة ١٧٧٧ م ، أدخل تعديلات على صناعة البارود ، وأثبت أن التنفس هو عملية احتراق سنة ١٧٨٠ م . أنظر : البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، م ٢ ، ص ١٠٢٤ .



علماء العرب في البداية يعتقدون في أن جميع المعادن تتكون من عناصر واحدة ولا يختلف بعضها عن بعض إلا باختلاف تلك العناصر في تركيبها وفي حالت تحليلها وأعادت تركيبها ينتج عنها معادن أخرى كالذهب والفضة ، مما جعلهم يسعون إلى البحث عن الحقيقة والوصول إليها ، فقد حللوا كثيراً من المواد تحليلًا كيميائيًا ، و ميزوا بين القلويات والأحماض وشرحوا كثيرا من التفاعلات الكيميائية وتأثير مواد مختلفة وهذا جعل ول ديورانت <sup>(١)</sup> يقول : " يكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علمًا من العلوم لأنهم أدخلوا الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية والعناية برصد نتائجها في حين أختصر اليونانيون على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة .

" فقد جرد العرب علم " الكيمياء " مما كان يصاحبه من سحر وسحرة فتحول على يد " جابر بن حيان وأبو بكر الرازي " وغيرهما إلى علم مجرد يستند إلى القوانين الطبيعية وهو ما يسمى بعلم الكيمياء الحديث <sup>(٢)</sup> .

ويعتبر جابر ابن حيان شيخ الكيميائيين العرب ، فقد بين أهمية تجارب وأوصى بالدقة في الملاحظة والاحتياط ، وعدم التسرع والتأني في عصر كانت نظرية العناصر السائدة . كما رأى أن آراء العلماء اليونان لا تفسر الظواهر والمشاهدات . وهو الذي ابتدع نظرية الفلزات وتحولها إلى عنصري الزئبق والكبريت ، وقد ظل معمولاً بهذه النظرية حتى القرن الثامن عشر حتى تلتها نظرية الفلوجستين كما أدخل جابر ابن حيان علي الصناعة " علم الميزان " وجعل لكل من الطبائع الأربع ميزانًا . وكذلك عرف كثيراً من العمليات الكيميائية كالتبخير والتقطير والترشيح والتكليس والإذابة والتبلور والتصعيد وحضر كثيراً من المواد الكيميائية وعرف خواصها مثل نترات الفضة وحامض الأوزونيك وميزا بين التقطير الذي يذهب الدنس من المعادن ، والترشيح الذي يبعد ما يظهر من

١- د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

٢- د. محمود قطام ، " الجوانب العلمية في الحضارة الإسلامية " ، مجلة الأمة العدد ٤١ ، جمادى الأولى ١٩٨٤ ، ص ٤٧ .

الأوساخ والأدناس . وجاء " دالتن " بعد ذلك ليأخذ هذه النظريات ويقول بالاتحاد الكيميائي الذي يكون بتصال ذرات العناصر المتفاعلة بعضها ببعض .<sup>(١)</sup>

وقد ترجمت كتب ورسائل جابر ابن حيان إلى اللاتينية وظلت هي المراجع التي يرجع إليها في علم الكيمياء ودرس عليها " كوب ، وهوليمارد ، وبرثوليه ، وكراواس وسارتون " ووضعوه في قمة العلماء العرب . وكذلك " أبوبكر الرازي " الذي اشتهر بالطب والكيمياء ، فقد ابتكر أجهزة لم تكن موجودة ، ووصف أخرى منها المعدني والزجاجي ومزج بين الطب والكيمياء ، بأن الشفاء يأتي من خلال التفاعلات الكيميائية داخل الجسم . وقسم المواد الكيميائية إلى معدنية ونباتية وحيوانية ومواد مشتقة ، وقسم كل مادة منها إلى أقسام وفروع صغيرة ودقيقة . كما قام بتحضير الأحماض مثل حامض الكبريتيك الذي سماه زيت الزاج ، حضر الكحول بتقطير المواد النشوية والسكرية المختمرة كما قدر الكثافة النوعية لكثير من السوائل باستخدام ميزانًا خاصًا . هذا فضلاً عن مجموعة من العلماء الآخرين مثل " المجريطي " الذي ترجمت كتبه إلى اللاتينية ، وداود الأنطاقي وابن البيطار والبغدادى وابن ميمون وابن النفيس والظهراوي وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

١- عبد الحليم منتصر ، المقال السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

٢- نفس المرجع ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

# المبحث العاشر

## أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في العلوم الطبية :-

لقد كان لعلماء العرب كبير الفضل وعظيمة علي العالم اجمع في الطب والصحة وقد أصاب جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> حينما تحدث عن كتب الرازي وابن سينا التي ظلت أساسا للتدريس في جامعة لوفان في القرن السابع عشر الميلادي ، وأوضح أن أبا القاسم القرطبي هو أشهر جراحى العرب وأن كتبه كانت المصدر العام الذي استقي منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر. ويتحدث كذلك عن علم الصحة أو الطب عند العرب ومدى اهتمامهم به فيقول : " لم يجهل العرب أهمية حفظ الصحة ، وكان العرب يعرفون جيدا أن علم الصحة يعلمنا طرق الوقاية من الأمراض التي لا يستطيع الطب شفاءها وكانت مناهجهم الصحية طيبة منذ القديم ، وما أمر به القرآن من الوضوء والامتناع عن شرب الخمر ثم سار عليه أبناء البلاد الحارة من تفضيل الطعام النباتي علي الطعام الحيواني غاية في الحكمة ، وليس فيما نسب إلي النبي من الوصايا الصحية ما ينتقد " .

وعن فضل العرب في علم الطب على أوروبا يقول جوستاف لوبون : " وتنطوي مدرسة ساليرم علي نصائح غالية في علم الصحة ، ولا أحد يجهل أن هذه المدرسة التي عدت أول مدرسة في أوروبا زمنا طويلا ، مدينة للعرب بشهرتها ، وذلك أن الرومان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا في أوساط القرن الحادي عشر من الميلاد أحاطوا مدرسة الطب التي أنشأها العرب بما أحاطوا به المعاهد الإسلامية من الاعتناء الكبير وأن قسطنطين الأفريقي الذي كان من عرب قرطاجة ، عين رئيسا لها ، وأنه ترجم أهم كتب العرب الطبية إلي اللغات اللاتينية ، فاقتطفت من هذه الكتب وصايا مدرسة ساليرم التي ظلت سبب شهرتها الفائقة زمنا غير قصير " .

١- حضارة العرب ، ص ٤٨٨ - ٤٩٤ .

كما تحدث المؤلف بصراحة و موضوعية تامة عن تقدم العرب في الطب والجراحة وتشخيص الأمراض ووصف العلاج والأدوية ، و أتبع ذلك بفضل العرب علي العالم والنهضة الحديثة التي استتقت المعارف الطبية من علوم العرب كاستعمال الماء البارد في معالجة حمى التيفود ، والعقاقير التي استخدمها العرب والمستحضرات الصيدلانية التي لازالت تستخدم حتي اليوم ، والمبتكرات التي يرجع للعرب الفضل في ابتكارها في الجراحة ويعترف بأن الكتب العربية في هذا المجال كانت ولا تزال مراجعة أساسية وأصلية ومهمة حتي وقت قريب في أوروبا والفضل ما شهدت به الأعداء ، ويعد اعتراف جوستاف لوبون الصريح بفضل الدين الإسلامي من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة في تطور العلوم الطبية وتناولها لعلاج كثير من الأمراض من حيث التشخيص وكيفية العلاج وهذا الاعتراف يرجع إلي عقلية نابهة وقلب سليم نابه فاهم لدستور الدين الإسلامي وكيف كان هذا الدستور نافعا وشافيا للدنيا والآخرة في تناوله حياة الإنسان وأن العلم الحديث يؤكد ما ذهب إليه القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بطريقة علمية .

ووقع الأمر أن العرب آمنوا بأهمية الطب انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " العلم علما ن علم الأديان و علم الأبدان <sup>(١)</sup> . ولذلك عنوا بهذا العلم عناية فائقة حتي بلغ عدد المتخصصين فيه درجة من الكثيرة جعلت ابن أصبعية يفرد لهم مجلداً من كتابه "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء " وقد بدأ العرب بترجمة كتب اليونان في الطب مثل جالينوس وهيبوقراط وبولس الايجبني وغيرهم من السابقين ، ولكنهم عدلوا فيها وأضافوا إليها الجديد الذي لم يسبقهم أحد إليه <sup>(٢)</sup> .

وقد اشتهر في الطب من العرب " يوحنا بن مأسويه " المتوفي سنة ٨٥٧ م ودرس التشريح بتقطيع أجسام القرود ، و " حنين بن اسحق " صاحب كتاب " العشر مقالات في العين " ويعتبر أقدم مرجع في طب العيون . و " علي بن عيسى " صاحب كتاب " تذكرة

١- قال في كشف الخفاء : قال في الخلاصة موضوع ... و نقل عن السيوطي في أوائل خطبة كتابة الطب النبوي أنه من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه - كشف الخفاء ٢ / ٨٩ .

٢- د/ سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ .



الكاحلين " في العيون ، وظل هذا الكتاب يدرس في أوروبا حتى القرن الثامن عشر. أما الرازي فقد اشتهر في طب الحميات مثل الجدري والحصبة وله كتب ورسائل في ذلك استقى الغرب الأوروبي معلوماتهم عنها في هذه الأمراض ، وله كتاب كذلك في أمراض الأطفال ، ومن اشتهر كتبه " الحاوي " و " المنصوري " وتناول فيها التشريح والأمزجة والأغذية والأدوية ونظام السفرو والجراحة ، ويعتبر أعظم وأقدم طبيب سريري (إكلينيكي) في العصور الوسطى . وكذلك الطبيب " علي بن عباس " صاحب كتاب " الملكي " وهو معاصر للرازي ، ويتميز باعتماده على المشاهدات العلمية في المستشفيات كما اكتشف أخطاء كبيرة عند أطباء اليونان القدامى . أما كتاب " القانون " في الطب لابن سينا فيعتبر دائرة معارف طبية في مجموعة من الأمراض في جسم الإنسان كما عرف العرب الأمراض النفسية وشخصوها وعالجوها قبل أن يولد فرويد<sup>(١)</sup> أو غيره من علماء أوروبا بمئات السنين . وفي الجراحة اشتهر من جراحي العرب " أبو القاسم القرطبي " الذي اخترع كثيرًا من العمليات الجراحية في مختلف أجزاء الجسم<sup>(٢)</sup>.

ومن الذين اشتهروا في الطب وعاشوا في كنف الدولة الإسلامية وفي ظل التسامح الإسلامي الذي ساعدهم علي هذا النبوغ والتفوق أسرة آل بختيشوع الذين أحرزوا شهرة ومجدًا وحظوة عند الخلفاء العباسيين علي مدي طويل ، ومنهم " جبريل بن عبد الله بن بختيشوع " وله كتاب في دغل العين ، وقد مارسوا الطب من الناحية العلمية أكثر منه من الناحية النظرية<sup>(٣)</sup>.

١- فرويد : سيجموند ، سيكولوجي ألماني ، ولد في مدينة فريبورغ في سنة ١٨٥٦م ، وينتمي إلى عائلة يهودية ، وتزوج سنة ١٨٨٦ م . وتخصص في الأمراض العصبية واستخدم التنويم المغناطيسي سافر إلى نانسي لإتقان عملية التنويم المغناطيسي ، توفي سنة ١٩٣٩ م تدهورت حالته الصحية ومات في جولدن جرين . أنظر : موريس شريل ، موسوعة علماء التربية وعلماء النفس ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص ١٨٥ - ١٨٩ .

٢- د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥١٩ - ٥٢١ .

٣- د. محمد كامل حسين "في الطب و الأقربازين " أثر العرب و الإسلام في النهضة الأوروبية، ص ٢٦٩ .

وقد ترجمت المؤلفات العربية في الطب إلى اللاتينية ليدرسها أبناء الغرب في الجامعات وخاصة بعد إنشاء بعد إنشاء جامعة سالريونو في الطب ومنها كتاب " القانون " لابن سينا ، وكتاب الحاوي " للرازي " وكتب ابن الهيثم في البصريات وغيرهم الكثير<sup>(١)</sup> كما اهتم الخلفاء المسلمون بإنشاء المستشفيات " البيمارستانات " التي أول ما نشأت علي عهد هارون الرشيد العباسي ، وهم أول من استخدم المناخ في اختيار أماكن هذه المستشفيات في الأماكن ذات الهواء النقي الجاف الذي لا يتعفن فيه اللحم<sup>(٢)</sup>.

وفي العلاج لم يقتصر العرب علي استخدام الأدوية والعقاقير من الأعشاب فحسب بل عمدوا إلي الأغذية المختلفة ووضحوا منافعها ومضارها والحالات التي يحسن الإكثار فيها أو الإقلال فيها من الطعام ، وعدم الإكثار من المياه أثناء الطعام حتى لا يسبب عسر الهضم والإقلال من العصارة المعدية وعصارة الكبد إلي غير ذلك من علوم الطب والصيدلة التي سبقوا العالم إليها<sup>(٣)</sup> ولسنا بصدد الدخول في تفاصيل دقيقة من الناحية العلمية في مثل هذه العلوم ، ولكننا نوضح فقط أثر العلوم العربية الإسلامية في الشرق والغرب ومدي ما استفادته أصحاب النهضة الحديثة من الإسلام والمسلمين في كافة النواحي العلمية والحضارية .

١- عباس العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

٢- نفس المرجع و ص ٣٧ .

٣- د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

# المبحث الحادى عشر

## أثر الحضارة العربية والإسلامية علي الشرق والغرب في الفنون والعمارة :-

تعتبر الفنون والعمارة الإسلامية أكثر ما تركه العرب في البلاد المفتوحة وكذلك البلاد التي تأثرت بهذه الفنون ونقلتها إليها ولا يزال هذا التأثير موجود في الشرق والغرب حتى يومنا هذا بكافة طرزها الساسانية الفارسية والإسلامية الخالصة والسامرائية العراقية وغيرها من طرز الفنون والعمارة التي عمل المسلمون علي ترقيتها وتطويرها وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية بكل ما فيها من فن دقيق وجمال رائع يسحر الناظر إليه ويخطف قلبه للتمتع به . وقد أبدع جوستاف لوبون <sup>(١)</sup> في تصوير هذه الفنون وآثارها وتأثيرها في الشرق والغرب كافة حينما يتحدث عن مصادر هذه الفنون العربية فيذكر أنها كغيرها من الأمم تأخذ من سابقتها بمعنى أن كل أمة تنتفع بآثار الأمم التي تقدمها قبل أن تصبح صاحبة آثار فنية ذاتية كما يتحدث عن الجمال والروعة في الفنون العربية فيقول : " وما على المرء إلا أن ينظر إلى آثار العربية الأدبية والفنية ليعلم أنهم حاولوا تزيين الطبيعة دائما وذلك لما اتصف به الفن العربي من الخيال والنضارة والبهاء وفيض الزخارف والتفنن في أدق الجزئيات ، والأمة العربية قد رغبت بعد أن اغتننت ( والأمة العربية أمة شعراء ، وأي شاعر لا يكون متفننا ) في تحقيق خيالاتها فأبدعت تلك القصور الساحرة التي تخيل إلى الناظر أنها مؤلفة من تخاريم رخامية مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة . ولم يكن لأمة مثل تلك العجائب ، ولكن فهي وليدة جيل فني مضى وخيال خصب ذوي ، ولا يطمعن في قيام مثلها في الدور الحاضر المادي الفاتر الذي دخل البشر فيه " .

١- حضارة العرب ، ص ٤٤٩ - ٥١٩ .

و عندما يتحدث عن التصور فيتناول كيف أن تعاليم الدين الإسلامي كان لها تأثير في هذا الفن فيقول : " من الأقوال الشائعة أنه حرم على المسلمين تصوير الرب والموجودات الحية ، ويعزو القرآن ، أو تفاسير القرآن على الأقل ، هذا المنع إلى النبي " .

ويؤكد ما سبق ذكره عندما يتحدث عن التماثيل ، ويذكر أنها من الأشياء النادرة عند العرب نتيجة لتعاليم الدين الإسلامي التي تحرم صناعة التماثيل <sup>(١)</sup> .

و أما بالنسبة إلى الصباغة و صناعة الحلي و الترصيع و التكيف بالأحجار الكريمة فيقول : " تقدم العرب كثيراً في الصناعة المعدنية ، و بلغ إتقانهم لبعضها مبلغاً يصعب الوصول إلى مثله في زمننا " . ثم يتعرض للنقود و ما كانت عليه النقود العربية و كيف أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هو أول من ضرب النقود الإسلامية و ذلك بعدما كان المسلمون يستخدمون نقود ملوك الروم .

كما يذكر كيف وصل إتقان العرب للمصنوعات الخشبية و ترصيعها بالصدف والعاج إلى درجة تجدي بالعجب حقاً ، و يذكر الأمثلة التي تدل على مهارة و إتقان العرب لهذه المصنوعات ، و كذلك الفسيفساء و صناعة الزجاج و الخزف و المنسوجات و البسط .

و عن العمارة عند العرب يأسف جوستاف لوبون <sup>(٢)</sup> عن قلة الاهتمام بهذا الفن عند العرب إلا أنه يتحدث بإسهاب و تفصيلات كثيرة عن عناصر هذا الفن من حيث

---

١- يوضح الدكتور يوسف القرضاوي حرمة التماثيل في الإسلام قائلاً " و لعل بعض ما ورد من الوعيد الشديد على التصوير و يقصد به الذين ينحتون الآلهة المزعومة و المعبودات المتنوعة عند الأمم المختلفة ، و ذلك مثل حديث ابن مسعود مرفوعاً " إن أشد الناس عذاباً عند الله المصورون " متفق عليه . و قال النووي : هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد و هو صانع الأصنام و نحوها فهذا هو أشد عذاباً ، و قيل هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى و اعتقد أنه بهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار و يزيد عذابه بزيادة قبح كفره . و قصر بعض فقهاء السلف التحريم على المجسم الذي له ظل لأنها متشابهة للوثنية ، ومضاهاة لخلق الله " هو الذي يصوركم في الأرحام " ..... و في الحديث القدسي " و من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي " . انظر التفصيلات في : يوسف القرضاوي ، ملامح المجتمع المسلم ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ص ٢٨٩ - ٢٩٥ . و في الحديث الشريف " النحت و الحفر الذي يتكون فيه تمثال كامل أو حيوان حكمة الحرمة لما رواه البخاري و مسلم عن مسروق قال دخلنا من عبد الله بيتاً فيه تمثال فقال لتمثال منها تمثال من هذا ؟ قالوا تمثال مريم ، قال عبد الله . قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون " و في رواية : " الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقاً لهم أحيوا ما خلقتم " . انظر : وزارة الأوقاف ، كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف ، ج ٢ ، ص ١٧ .

٢- حضارة العرب ، ص ٥٢١ - ٥٥١ .



المواد الإنشائية والأعمدة وتيجانها ، والأقواس ، والمآذن ، والقباب ، والمتدليات والنقوش العربية ودقائق الزخرفة ، والزخارف الملونة . كما يذكر المباني التي بناها العرب في كل البلاد المفتوحة ، وما تميزت به هذه المباني من حيث التراكيب الفنية واستخدام العناصر سابقة الذكر .

و حقيقة الأمر أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم فن قومي ذو طابع خاص نستطيع أن نطلق عليه " الفن العربي " . ولكن لما اتسعت الدولة العربية الإسلامية في الشرق والغرب ، وكان لهذه البلاد المفتوحة فنونها وحضارتها الخاصة بها ، استفاد العرب من ذلك التراث الحضاري الخاص بهذه البلاد ، فتعلموا مختلف الصناعات والحرف والفنون وأجادوها وهذبوها ، ثم نقلوها إلى أوروبا لتستفيد منها <sup>(١)</sup> سواء كان هذا الانتقال عن طريق التجارة أو عن طريق الهدايا نتيجة العلاقات الودية بين المسلمين وبعض بلدان أوروبا ، أو نتيجة للاحتكاك الحضاري بين الطرفين نتيجة الجوار .

ولعل عقيدة الإسلام كانت العامل الأساسي الراسخ الذي أعان المسلمين على تغيير الأساليب المحلية المختلفة في البلاد التي خضعت للحكم الإسلامي ، كما أعان علي أن يستخرج من هذه الأساليب الحضارية السابقة طراز له مميزاته الذاتية الإسلامية وخاصة في فن العمارة . فقد كانت الأبنية التي بناها العرب في البداية جوامع أو قصور في الغالب . ومعظم المنشآت الهامة في فن العمارة في القرون الأولى التالية ظلت مقصورة على المساجد والأبنية الدينية الأخرى كالمدرسة أو التكية ذات المصلى . وكان المسجد أهم ما تتمثل فيه العمارة العربية ، وكان يختلف إلي حد ما باختلاف البقاع ولكنه ظل دائما يحتفظ بمميزاته الرئيسية . كما كان لموسم الحج أثر كبير في استقاء العناصر الفنية المعمارية في البلدان الإسلامية وتطويرها والارتقاء بها <sup>(٢)</sup> .

١ - د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .  
٢ - د. زكى محمد حسن ، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير و العمارة ، ط ١ ، دار الكتاب العربي السورية ، ١٩٨٤ ، ص ١١٦ و ما بعدها .

وبهذه الطريقة فاق العرب كل من سبقهم من الأمم ، وظهرت قوتهم الإبداعية في مختلف الفنون ، واستطاعوا أن يغزو أوروبا بإنتاج مبتكرو صناعات جديدة ، وفنون كانت وما زالت موضع إنبهار أوروبا ومثار إعجاب الأوربيين . ففي الصناعة تجلت مهارتهم في كثير من الصناعات ، وخاصة صناعة النسيج والجلود والورق والخزف والزجاج ، ففي النسيج نبغوا نبوغاً باهراً أقبلت عليه أوروبا إقبالا كبيراً وسميت هذه المنسوجات والحراير بأسمائها العربية مثل الفستيان نسبة إلى الفسطاط والدمشق نسبة إلى دمشق ، والموسلية نسبة إلى الموصل ، والجرينادين نسبة إلى غرناطة ، والتابي نسبة إلى حي العتبية ببغداد ، وحرير البلداكو نسبة إلى حرير بغداد ، وكذلك الجلود ودبغها والتي ازدهرت في بغداد خاصة وأطلق عليها الأوربيين الجلود البغدادية<sup>(١)</sup>.

هذا فضلا عن المصنوعات المعدنية عن الحلي الذهبية والسيوف والمفاتيح والذهب والفضة وغيرها التي انتشرت في أوروبا وأستقى منها الأوروبيون طرق هذه الصناعات الفاخرة . كما برع العرب في صناعة الفخار وما يرتبط بها من القيشاني والخزف وتفوقوا فيها حتى أصبح الأوروبيون يزينون كنائسهم بهذا الصنف والصناعة العربية . وكان لتحريم الإسلام الطعام في الأواني المعدنية الفضل في التفوق العربي الإسلامي في صناعة الأواني الخزفية اللامعة ذات البريق المعدني . هذا إلى جانب الأواني الزجاجية المذهبة أو المطلية بالمينا ، وزخرفة الزجاج ، الذي اشتهرت به مدن بلاد الشام الإسلامية . ولأن الإسلام يحرم الرسم والتصوير وصنع التماثيل بالنسبة للأفراد فقد اتجه العرب إلى توجيه فنونهم إلى الرسم والزخرفة على الزجاج والقيشاني والنسيج والكتب والمباني بعبارات من الخط الكوفي ووحدات من الأشكال الهندسية المنسجمة أو الزخارف من النباتات وأوراق الشجر<sup>(٢)</sup>.

١- د. سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥٣١ ، ٥٣٢ .

٢- نفس المرجع ، ص ٥٣٢ - ٥٣٧ ، وكذلك زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ وما بعدها .

وقد نشطت حركة البناء والعمارة في المدن الإسلامية ، وبنيت حولها الأسوار والحصون وأقيمت بها المساجد والدور والقصور والأسواق والحمامات والأربطة وخزانات المياه والبيمارستانات والمدارس ، وصاحب هذا النشاط المعماري نشاط في الحرف والصناعات فأنتج رجال الفن التحف الثمينة من الخشب والعاج وغيرها من الفنون ، كما ازدهرت من العمارة الزخارف المعمارية التي اتخذت لها خصائص خاصة امتازت بها على السواء حيث التصميم أو الإخراج الفني أو من حيث الموضوع أو الأسلوب مثل النقش على الجص أو الحفر المباشر أو طريقة الصب الآلية ، والنحت في الحجارة أو الخشب أو النحت الغائر ، وظهرت لأول مرة طريقه الإسلامية المعروفة بالأرابيسك والمقرنصات والعقود التجانية في الأعمدة ، وامتازا الفن الإسلامي بدقة الرسم ودقة الصناعة خصب الخيال <sup>(١)</sup> . وغير ذلك من الخصائص الإسلامية التي جاءت انطلاقا من دعائم العقيدة الإسلامية .

وبعد هذا الغرض التفصيلي لأثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب في كافة العلوم الإنسانية والتطبيقية والفنون يجدر بنا أن نكمل دون تفصيل علاقة الإسلام بالعلم الحديث لنوضح مدى أثر الاسم والدعوة الإسلامية في خلق وابتكار وتطوير هذه العلوم الأسس الحضارية ، وهذا ما خلق لنا ما يسمى بالحضارة العربية الإسلامية الخالصة من حيث الأسس والثقافة والأهداف .

فالعلاقة وثيقة بين الإسلام والعلم ، ولم يقف الإسلام في وجه العلم والتقدم العلمي حيث إنه يرفع العلماء إلى درجة الملائكة ويقدر الجهود العلمية التي ترنو إلى تقدم البشرية ، ولقد أكد الإسلام غلبة العقل والعلم على جميع مظاهر الحياة . ولقد قرر العلماء والفقهاء المسلمون : " أن كل علم يحتاج إليه المسلمون في دينهم أو دنياهم فإن تعلمه وإتقانه فرد كفاية تأثم الأمة كلها والأخص أولوا الأمر إذا فرطوا فيه <sup>(٢)</sup> .

١- أحمد فكري " أثر الإسلام في العمارة والتحف الفنية " ، أثر العرب و الإسلام ، ص ٤٠٥ و ما بعدها .  
٢- محمد السيد يوسف ، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ، ط ١ ، دار السلام ، ١٩٩٧ ، ص ٦٦ .

ولقد أخذت الحضارة الإسلامية بيدي البشرية إلى الأفضل ، وقدمت إليها أعلامًا وأساتذة في كافة العلوم ، ذكرتھا في الحديث عن أثر الإسلام والحضارة الإسلامية في كل علم من هذه العلوم . ويشهد الأوروبيون أنفسهم لهذا الفضل للمسلمين وحضارتهم علي الحضارة الأوروبية الحديثة أمثال بریفولد ، وريتشارد كول ، وشارليز سنجر ، وسارتون<sup>(١)</sup> لدرجة أن الأخير يقول : " حقق المسلمون - عباقرة الشرق - أعظم المآثر في القرون الوسطى فكتبت أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة وأغزرها مادة باللغة العربية ..... وكانت هذه اللغة من منتصف القرن الثامن الميلادي حتى نهاية القرن الحادي عشر لغة للعلم والارتقاء للجنس البشري ، ولقد كان من الضروري لأي إنسان يريد أن يلم ثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية " <sup>(٢)</sup> وأمام هذه الشهادة الصريحة ماذا نقول للذين ينكرون تعريب العلوم الحديثة وتدریسها باللغة العربية وهم من أهل اللغة العربية وإن هذه العلوم الحديثة ما هي إلا امتداد مترجم للغات الأوربية من اللغة والعلوم العربية الإسلامية ، ونقول لهم هذه بضاعتنا ردت إلینا ولا بد من إرجاعها إلى أصولها الحقيقية وهي اللغة العربية .

فالإسلام والعلم النافع متفقان في المطالب والغايات والأهداف . وأن الإسلام وأساس الحضارة الإنسانية<sup>(٣)</sup> . وكما يقول " هورتن " <sup>(٤)</sup> : " كان العرب في القرون الوسطى إلى سنة ١٥٠٠م سادة أوروبا تقريبا ولم ينشأ ظن الأوربيين بأن الدين الإسلامي لا يتماشى مع المدنية إلا من جهلهم لهذا الدين وعدم تعمقهم فيه ، بل لتعلقهم بالقشور

- 
- ١- جورج سارتون : عالم أمريكي يعتب أحد أعظم مؤرخي العلم ، ارتحل إلى سوريا و مصر و تونس والجزائر والمغرب لیدرس العربية عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ م على مآثر العرب في العلم ، ومن مآثره : "مقدمة لدراسة تاريخ العلم" و يقع في ثلاثة مجلدات .  
انظر : البعلبكي ، موسوعة المورد العربية م ١ ، ص ٦٧ - ٦٩ .
  - ٢- السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٩ .
  - ٣- أنظر التفصيلات في : إبراهيم سليمان عيسى ، من جوانب الحضارة الإسلامية ، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، العدد ١٩ ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ١٩ - ٣٢ .
  - ٤- أنور الجندي ، صفحات من أمجادنا ، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية العدد ٥٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣١ .





## الفصل الثالث

### وضع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي

و يحتوي على :-

- سماحة المسلمين مع أهل البلاد المفتوحة .
- حقوق أهل الذمة .
- واجبات أهل الذمة .
- مقارنة بين تسامح المسلمين و تعصب الغرب .



# المقدمة

اتسمت حركة الفتوحات الإسلامية بالسلم والسماحة بعرض الدين الإسلامي على أهل البلاد المفتوحة ، أو إلقاء على ديانتهم في مقابل دفع الجزية التي هي ضريبة دفاع وأمان ، وكانت لا تتجاوز الدينارين وتتفاوت من شخص لآخر ومن بلد لآخر طبقاً للظروف الشخصية أو ظروف البلد ذاته . وأصبح أهل هذه البلاد في ذمة المسلمين يقومون بحمايتهم والدفاع عنهم ، ولهم حقوق وعليهم واجبات تجاه الدولة .







# المبحث الأول

## سماحة المسلمين مع أهل البلاد المفتوحة :

ويتحدث جوستاف لوبون عن هذه السماحة في ترك حرية العقيدة لأهل الأديان الأخرى الذين يعيشون في دار الإسلام من غير المسلمين فيقول : " رأينا من آيات القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية وأنه لم يفعل مثيلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص " .

اتبع الفاتحون أسلوباً إسلامياً متسامحاً مع أهل البلاد التي كانوا ينوون فتحها للأهداف التي ذكرناها سلفاً ، فقد كانوا يعرضون على أهل هذه البلاد ثلاث اختيارات أحدهم : إما الإسلام ، وإما الحرب . فإذا اعتنقوا الإسلام أصبحوا مسلمين وإخواناً لهؤلاء الفاتحين " لهم ما لهم وعليهم ما عليهم " من حقوق وواجبات . وإذا رفضوا الدخول في الإسلام وظلوا على ديانتهم ورضوا بدفع الجزية التي هي ضريبة دفاع أصبحوا في ذمة المسلمين ويجب على المسلمين الدفاع عنهم وتأمينهم وحمايتهم وكنائسهم ومعابدهم " ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم " ، وفي حالة الرفض للاختيارين الأول والثاني فمعنى هذا أن الفاصل بينهم هو الحرب وقد دخل كثير من أهل البلاد المفتوحة الإسلام وأصبحوا مسلمين ، ومن بقى على دينه من اليهود والنصارى – ويعرفوا بأهل الكتاب <sup>(١)</sup> ، ورضوا بالجزية ودخلوا في ذمة المسلمين وعرفوا بأهل الذمة <sup>(٢)</sup> تركوا وشأنهم ، والذمة في اللغة : هي الأمان والعهد ، وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام ، وقد جاء في الحديث الشريف ..... يسعى بذمتهم أدناهم ... <sup>(٣)</sup> ، وفسر الفقهاء ذمتهم بمعنى الأمان ، وقالوا في تفسير عقد الذمة بأنه إقرار بعض الكفار على كفرهم

١- د. يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ص ٧ .

٢- د. الخربوطلي ، الإسلام أهل الذمة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٦٦ .

٣- أخرجه أبو داود في كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم بالكافر ، ج ٤ ، ص ١٧٩ ، رقم ٤٥٣٠ ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ج ٢ ، ص ٨٩٥ ، رقم ٢٦٨٣ ، عن ابن عباس .

بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة . وعلى هذا يمكن القول بأن عقد الذمة بمقتضاه يصير غير المسلمين في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التحديد ، وله حق الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام <sup>(١)</sup> .

وقد عاملهم العرب بتسامح عظيم باعتبارهم أهل كتاب ، وكانت كتب الصلح مرآة صافية انعكست عليها صور كثيرة لتسامح المسلمين <sup>(٢)</sup> .

وفي كتب الصلح أوضح المسلمون لغير المسلمين - أهل الذمة - موجبات عقد الذمة التي يجب على أهل الذمة الإلتزام بها ولا يمنح لهم عقد الأمان وحق الاستيطان إلا للحفاظ عليها وهي :-

أولاً : أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه أو تحريف له .

ثانياً : أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب ولا ازدراء .

ثالثاً : أن لا يذكروا دين الإسلام بدم له ولا قدح فيه .

رابعاً : أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح .

خامساً : أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا لدينه .

سارساً : أن لا يعينوا أهل الحرب - أعداء الإسلام - ويودوا أغنياءهم <sup>(٣)</sup> .

وحددت كتب الصلح أيضاً نواقص عهد الذمة التي توقع هؤلاء الذميين تحت طائلة

العقاب الإسلامي مثل :

أولاً : الإعانة على قتال المسلمين ، وقتل المسلم أو المسلمة .

ثانياً : قطع الطريق على المسلمين .

١- د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، مكتبة القدس ، ص ٢٢ .

٢- د. علي حسنى الخربوطلى ، الإسلام وأهل الذمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٦٩ ص ٦٦ .

٣- د. محمد عبد العزيز داود ، القضايا الاجتماعية في ضوء النظم الإسلامية ، مطبعة الطاووس الذهبي ببليس و ص ٦١ .

ثالثاً : إيواء جواسيس المشركين أو التجسس للمشركين بأن يكتب لهم أسرار للمسلمين .

رابعاً : الزنا بالمسلمة أو إصابتها باسم النكاح .

خامساً : فتن المسلم عن دينه .

سادساً : سب الله أو النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> .

والأدلة على انتقاض عهد الذمة من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿ قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ومن السنة الشريفة ما رواه الشعبي عن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتتم الرسول صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها " <sup>(٥)</sup> .

وفي عهد عمر رضي الله عنه جاءه رجل من أهل الكتاب حين دخل الشام وهو مشجوج مضروباً فغضب لذلك عمرو وأمر بإحضار عوف بن مالك الأشجعي لأنه هو الذي فعل ذلك بالذمي فلما سأله عمر عن فعله هذا قال يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع ، فلم تصرع فدفعها فصرعت فغشيها - أكب عليها فقال عمر اتني بالمرأة فلتصدق على ما قلت فأتاها عوف فذهب معه أبوها وزوجها

١- د./ محمد بن سعيد القحطاني ، الولاء و البراء في الإسلام ، الرياض ١٤٠٤ هـ ، ص ٣٣٩ .

٢- سورة التوبة ، آية ١٢ .

٣- سورة التوبة ، آية ٢٩ .

٤- سورة الأحزاب ، آية ٥٧ .

٥- رواه أبو داود في كتاب الحدود باب الحكم في سب النبي صلى الله عليه وسلم ، ١٢٧/٤ رقم ٤٣٦٢ وقصته رقم ٤٣٦١ .



فأخبر عمر بمثل قول عوف فأمر عمر باليهودي فصلب وقال : ما على هذا صالحناكم ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله في ذمة محمد صلى الله عليه وسلم فمن فعل منهم مثل هذا فلا ذمة له .<sup>(١)</sup> وأما الاعتبار فمن وجوه<sup>(٢)</sup> :

**أحدهما :** إن عيب ديننا و شتم نبينا مجاهدة لنا ومحاربة فكان نقضنا للعهد كالمجاهدة والمحاربة بطريق الأولى .

**ثانيهما :** إن مطلق العهد الذي بيننا وبينهم يقتضى أن يكفوا ويمسكوا عن إظهار الطعن في ديننا و شتم رسولنا كما يقتضى الإمساك عن دمائنا ومحاربتنا .

**ثالثهما :** إن الله فرض علينا تعزيز رسوله وتوقيره ، وتعزيز نصره ومنعه وتوقيره وإجلاله وتعظيمه وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق فلا يجوز أن نصلح أهل الذمة وهم يسمعوننا شتم نبينا وإظهار ذلك لأننا إذا تركناهم على هذا تركنا الواجب علينا نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان الإسلام لا ينهى عن البر والإقسط إلى مخالفه من أي دين ولو كانوا مشركين وثنيين كمشركي العرب الذين نزلت في شأنهم كثير من الآيات ، فإن الإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا في دار الإسلام أو خارجها ، فالقرآن لا يناديهم إلا بـ ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ... ﴾<sup>(٣)</sup> . و﴿ يَأْهَلُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويشير بهذا إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي فبينهم وبين المسلمين رحم وقربى تتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث به الله أنبياءه جميعا ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾

١- القحطاني ، الولاء و البراء في الإسلام ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

٢- نفس المرجع ، ص ٣٤٣ .

٣- سورة آل عمران ، آية ٧٠ .

٤- سورة النساء ، آية ٤٧ .

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١﴾ والمسلمون مطالبون بالإيمان بكتب الله قاطبة ورسول الله جميعا ولا يتحقق إيمانهم إلا بهذا : ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢). وأهل الكتاب إذا قرءوا القرآن يجدون الثناء على كتبهم ورسولهم وأنبيائهم (٣). وإذا جادل المسلمون أهل الكتاب فليتجنبوا المراء الذي يوغر الصدور ويثير العداوات ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (٤). وقد أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم مع ما في الزواج من سكن و مودة و رحمة وفي هذا قال تعالى : ﴿...وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ...﴾ (٥). هذا في أهل الكتاب عامة . أما النصارى منهم خاصة فقد وضعهم القرآن موضعا قريبا من قلوب المسلمين فقال : ﴿...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ...﴾ (٦).

ويتضح من هذا إن أهل الذمة هم من كان لهم عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجمع المسلمون بأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة ، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون (٧) ، وقد أوصى بهم النبي صلى الله عليه عليه وسلم في حديثه : " من آذى ذميا ، فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله " (٨) وفي حديث آخر : " من آذى ذميا فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة " (٩)

١- سورة الشورى ، آية ١٣ .

٢- سورة البقرة ، آية ١٣٦ .

٣- د. يوسف القرضاوى ، الحلال و الحرام في الإسلام ، القاهرة ، ص ٢٧٩ .

٤- سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .

٥- سورة المائدة ، آية ٥ .

٦- سورة المائدة ، آية ٨٢ .

٧- د. القرضاوى ، الحلال و الحرام في الإسلام ، ص ٢٨٠ .

٨- ذكره الإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغنى علجونى في كشف الخفاء و مزيل الألباس ج ٢ ، ص ٢٨٥ . و قال أخرجه الخطيب عن ابن مسعود .

٩- نفسه .

كما قال كذلك : " من ظلم معاهدًا أو انتقص حقا ، أو كلفه فوق طااقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة " (١).

وقد جرى الخلفاء والفقهاء على هذا النهج انطلاقا من وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بهم وقال ابن حزم الفقيه الظاهري : " إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه ، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة " (٢) وعاش أهل الذمة في كنف الدولة الإسلامية يتمتعون بكل ما كفلته لهم الدولة والإسلام من حرية وشمولتهم بالسماحة الكافية ، فعاشوا حياة آمنة مطمئنة وفق القاعدة التي قررها الفقهاء " أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا " وتجرى عليهم أحكام الإسلام في أمرين :-

**الأول :** المعاملات المالية فلا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفا لا يتفق مع تعاليم الإسلام كعقد الربا وغيره من العقود المحرمة .

**الثاني :** أن تطبق عليهم القوانين الإسلامية كحد القصاص والسرقة والزنا صيانة لسلامة المجتمع وأمنه .

أما ما يتصل بالشعائر الدينية من عقائد وعبادات ، وما يتصل بالأسرة من زواج وطلاق فلهم الحرية المطلقة وفقا للقاعدة الفقهية " اتركوهم وما يدينون " (٣) . ولقد حذا الخلفاء الراشدون والحكام المسلمون حذو رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملتهم ، وأكبر دليل على ذلك موقف سيدنا أبوبكر من أهل نجران ، وموقف سيدنا عمر بن الخطاب وأمانه لأهل بيت المقدس وإيليا ، وموقف سيدنا علي بن أبي

١- أخرجه أبو داود في كتاب الخراج باب تعشير أهل الذمة ١٧٨/٣ رقم ٣٠٥٢ عن عدة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- د. يوسف القرضاوي ، المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

٣- د. محمد عبد العزيز داود ، القضايا الاجتماعية في ضوء النظم الإسلامية ، ص ٧٥ .



طالب الذي وجد درعه عند رجل من أهل الكتاب فأقبل به إلى شريح القاضي يخاصمه رجل من عامة رعاياه وقال أنها درعي ولم أبعه ولم أهبه ، فسأل شريح الرجل : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال : ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب فالتفت شريح إلى علي وسأله البينة : يا أمير المؤمنين هل من بينه ؟ فضحك علي وقال أصاب شريح مالي بينه ، فقضى بالدرع للرجل فأخذها ومشى ، وأمير المؤمنين ينظر إليه إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء .... أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضى عليه : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول عبده ورسوله : الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين : اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأوراق ، فقال علي أما إذا أسلمت فهي لك . كما وصل النصاري واليهود في ظل حكام وخلفاء الدولة الإسلامية من الأمويين والعباسيين وخاصة الفاطميين إلى المناصب العليا في الدولة حتى درجة الوزير وكانوا أكثر تمتعا وحياة من المسلمين أنفسهم<sup>(١)</sup> وها هي الحقوق التي كفلها الإسلام لأهل الكتاب الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية ، وقد ارتكزت هذه الحقوق على الأسس الفكرية لتسامح المسلمين وهذا التسامح الذي ينطلق من التعاليم التي غرسها الإسلام في قلوب وعقول المسلمين وتتمثل في :

١ - اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان ، أيا كان دينه ، أو جنسه ، أو لونه ، فيقول

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ النَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾<sup>(٢)</sup> وهذه الكرامة المقررة نوجب

١ - للتفصيلات عن هذا الموضوع انظر : سماحة الإسلام و حقوق غير المسلمين من سلسلة هذا هو الإسلام قضايا ومفاهيم ، الأوقاف ، ١٩٩١ ، عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، بيروت ، ص ٢٨٠ - ٢٨٢ الشيخ محمود شلتوت الإسلام عقيدة و شريعة ، ط ٣ ، دار الشروق ، ص ٩ ، أحمد عبد الرحيم السايح يسر الإسلام و سماحته ، الأزهر ، ج ٢ ، ١٩٩٩ ، ص ١٨٩٠ ، محمد عبد الله الخطيب ، نحو جيل مسلم ، المركز الإسلامي ، ص ١٠٩ - ١٣٥ ، محمد الغزالي ، التعصب و التسامح بين المسيحية والإسلام ، دار الكتب الحديثة ، ص ٤٤ - ٥٦ .

٢ - سورة الإسراء ، آية ٧٠ .



لكل إنسان حق الاحترام والرعاية وهذا ما طبقه النبي صلى الله عليه وسلم  
عمليا في قيامه عند مرور جنازة يهودي ولما سئل قال : أليست نفسا ؟! (١)

٢ - اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى قال سبحانه

: ﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ  
سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ  
وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ  
جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

٣ - ليس المسلم مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم ، أو يعاقب الضالين على

ضلالهم فهذا الأمر متروك لله سبحانه وتعالى يحاسبهم يوم الدين (٤)، قال الله  
تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥)  
وقال تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ  
كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٦).

٤ - إيمان المسلم بأن الله يحب العدل ويكره الظلم ولو كان مع المشركين (٧)،

قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا  
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٨)  
(٨) وقال صلى الله عليه وسلم " دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها  
حجاب (٩).

١ - د. / يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، مكتبة وهبه ، ص ٥١ .

٢ - سورة الكهف ، آية ٢٩ .

٣ - سورة يونس ، آية ٩٩ .

٤ - د. / يوسف القرضاوي ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٥ - سورة الحج ، آية ٦٨ .

٦ - سورة الشورى ، آية ١٥ .

٧ - د. / يوسف القرضاوي ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٨ - سورة المائدة ، آية ٨ .

٩ - أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم ٨٧٨١ ، وأخرجه الإمام أبو داود ، ج ٤ ، ص ٩٢ ، رقم ٢٤٥٠ ، وذكره  
الحافظ بن حجر في فتح الباري ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ وقال رواه أحمد وإسناده حسن .

# المبحث الثاني

## حقوق أهل الذمة :

أولاً : حرية العقيدة و التدين :-

لقد دعا الإسلام إلى حرية العقيدة وعدم إكراه أحد على اعتناق الدين الإسلامي فيقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup> ولم يقف الإسلام عند حد ترك حرية العقيدة لغير المسلمين ، بل وصلت سماحة الإسلام والمسلمين إلى التعهد بحماية أهل الذمة وعدم الاعتداء عليهم ببناء أماكن لعبادتهم وإقامة شعائرهم الدينية بحرية كاملة داخل معابدهم وكنائسهم<sup>(٢)</sup>.

ويشهد بعض المستشرقين على هذه السماحة الإسلامية في ترك حرية العقيدة لأهل الأديان الأخرى الذين يعيشون في دار الإسلام من غير المسلمين ، منهم جوستاف لوبون فيقول : " رأينا من آيات القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية وأنه لم يفعل مثيلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص " .

ويقول مستشرق آخر : " إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى " .<sup>(٣)</sup>

## ثانياً : الحرية الشخصية :-

لقد كفل الإسلام الحرية الشخصية لأهل الذمة في دار الإسلام من حيث الإقامة والروح والمجيء والسفر في تجارة أو غيرها خارج البلاد أو داخلها فهم من أهل البلاد ولهم حقوقهم مثل حقوق المسلمين ، كما منع الإسلام الاعتداء عليهم بالضرب أو القبض عليهم

١- سورة البقرة ، آية ٢٥٧ .

٢- د. / عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين و المستأمنين في دار الإسلام ، ص ٩٦ .

٣- د. / القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ص ١٨ .

أو سجنهم ظلماً وبدون وجه حق ، ولكنهم مُنعوا فقط من دخول مكة والمدينة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقتة فأنا حجيجه<sup>(١)</sup> ، وقد نهج المسلمون بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النهج ، " فقد أوصى عمر بن الخطاب بأهل الذمة خيراً : أن يوفي بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم و ألا يكلفهم فوق طاقتهم " ويقول على بن أبي طالب " إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا وماؤهم كدمائنا " <sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً : حق الحياة :-

من أهم الحقوق التي أوصى بها الإسلام لأهل الذمة من اليهود والنصارى الذين يقيمون في دار الإسلام " حق الحياة " فلهم عهد مع المسلمين ولذا لهم ما للمسلمين وعليهم ما علينا وعندئذ يجب على المسلمين تحقيق هذا الحق لأهل الكتاب الذين أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بهم خيراً ، وحذر من إيذائهم والاعتداء عليهم ، فيقول صلى الله عليه وسلم " من أذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة " <sup>(٣)</sup> وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : " من قتل معاهداً - من له عهد مع المسلمين - لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً " ، وفي رواية : من مسيرة سبعين عاماً ، وفي رواية ثالثة من مسيرة تسعين عاماً " <sup>(٤)</sup>.

وقد اقتفى الخلفاء الراشدون آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة أهل الذمة وحمايتهم وحفظ حياتهم ، فيرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص يوصيه قائلاً : " إن معك أهل الذمة والعهد فاحذريا عمرو أن يكون رسول الله خصمك " وذلك لأن عقد الذمة يوجب لهم هذا الحق ، ويوجب علينا نحن

١- الإمام أبو داود ، كتاب الإمارة والفتى ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

٢- د. / عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣- الإمام السيوطي في الجامع الصغير ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

٤- الإمام البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب اثم من قتل معاهداً بغير جرم ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

المسلمين حمايتهم والدفاع عنهم ضد أي معتد خارجي فهم في ذمتنا وحمايتنا حتى لا نضيع ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الإسلام .

#### رابعاً : حق البر و العدل :-

لقد أوجبت الشريعة الإسلامية البر والعدل بين الناس وخاصة بين المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى الذين يقيمون في ظل الدولة الإسلامية والذين لهم عهد ذمة وأمان مع المسلمين ، فبقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> وهنا لم يحدد الله سبحانه وتعالى فئة خاصة من الناس ولكن جميعاً مسلمين وغير مسلمين وقد خص الله تعالى أهل الكتاب في تحقيق البر والعدل معهم في قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقصة درع سيدنا علي بن أبي طالب مع اليهودي خير دليل على ذلك .

#### خامساً : حق العمل :-

لقد سمح الإسلام لأهل الذمة بحرية العمل في دار الإسلام لحسابهم أو لحساب غيرهم ولم يمنعهم الإسلام إلا من تجارة الخمر والخنازير والتعامل بالربا وذلك درءاً للفساد والفتنة في الأمصار الإسلامية ، قال آدم ميتز : " لم يكن في التشريع الإسلامي ما يخلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة فكانوا صيارفة وتجار وأصحاب صناعة وأطيان " ، وكما يقول الماوردي في الأحكام السلطانية : " يجوز تقليد الذمي وزارة التنفيذ وهو الذي يبع أوامر الإمام ولا يجوز أن يتولى وزارة التفويض التي يُوكَّل فيها الإمام إلى وزير تدبير الأمور السياسية والإدارية والاقتصادية بما يراه " <sup>(٣)</sup> .

١- سورة النساء ، آية ٥٨ .

٢- سورة الممتحنة ، آية ٨ .

٣- د. / القرضاوي ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .



كم يسمح لهم بالعمل في شعب الجندية التي تتعلق بالحرب والقتال بصورة مباشرة<sup>(١)</sup>. وهكذا كان لأهل الذمة تولي الوظائف في الدولة بشرط الأمانة والإخلاص وعدم الإضرار بمصالح وأمن الأمة الإسلامية ، فقد تولوا وظائف الوزارة زمن العباسيين ومن قبل ذلك زمن معاوية ، وكذلك زمن الفاطميين تولوا الوزارة<sup>(٢)</sup>.

سارسا : حق التملك :-

لقد منح الإسلام لأهل الذمة في دار الإسلام حق الملكية للعقارات والأموال والأطيان الزراعية وحمايتها والمحافظة عليها ، ويتضح هذا منذ بداية الفتوحات الإسلامية ، ففي زمن عمر رضي الله عنه فتح المسلمون أراضي كثيرة وكان لابد من تحديد وضع هذه الأراضي من ناحية بقائها في يد أصحابها أم توزيعها على الفاتحين ؟ وفي نهاية الأمر تم الاتفاق على أن تبقى هذه الأراضي في يد أصحابها لأنهم أدركوا بضرارتها وحتى يتفرغ الفاتحون للحرب والفتوحات ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى إحاطة هذه الأملاك بسيج من الحماية والأمن ، وأقر المسلمون بإجازة الدفاع عن هذه الأملاك ضد الاعتداء عليهم بكافة وسائل الدفاع ، وهذه الملكية كما واضح ترتبط ارتباطا وثيقا بالعمل في الوظائف أو التجارة أو غير ذلك من الأعمال الحرة التي تحقق الكسب والربح وحياسة الأملاك .

سابعاً: حق حرمة العرض :-

لقد أوصى الإسلام بصيانة الأعراض سواء كانت تلك الأغراض للمسلمين أو غير المسلمين وأحاطها بسيج متين ، وقد أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : " إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ..... " وقال صلى الله عليه وسلم : " أحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا ما في القرآن إلا إني والله لقد وعظت وأمرت ونهيته عن أشياء إنها لمثل القرآن وأكثر وإن الله لم

١- الإمام الشيخ / أبو على المودودي ، حقوق أهل الذمة ، ص ١٥ .

٢- وزارة الأوقاف ، سماحة الإسلام و حقوق غير المسلمين ، ص ١٠٣ .

يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذي عليهم" (١).

ولا ريب أن هذا الحق يصحح مفهومًا خاطئًا لدى بعض الناس الذين لوا أعناق النصوص من الأحاديث النبوية وفسروها حسب أهوائهم ، ولو عادوا إلى الفهم الصحيح لنصوص هذه الأحاديث لفهموا مراد الرسول صلى الله عليه وسلم منها .  
تأمننا : حق الجوار :-

لقد حث الدين الإسلامي على الإحسان في معاملة الجار سواء كان مسلمًا أو غير مسلم فيقول الله تعالى ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٢)  
الجار ذي القربى هو الجار المسلم والجار الجنب هو اليهودي والنصراني ، وفي الآثار الإسلامية أن مجاهدًا قال كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما و غلام له يسلم شاه فقال : يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له لم تقول هذا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (٣). وحقوق الجيران ثلاثة : جاره له حق واحد وهو الجار المشترك وجاره له حقان وهو الجار المسلم وهما حق الجوار وحق الإسلام ، وجاره له ثلاثة حقوق وهو الجار القريب المسلم الجوار والإسلام والرحم . (٤)

تأسعا : حق حرية الرأي و الاجتماع و التعليم الديني :-

لقد كفل الإسلام للزميين حقهم في إبداء آرائهم فيما يخص شئونهم وفيما لا علاقة له بالأمور الإسلامية فلا يجوز لهم الطعن في الأمور العقائدية الإسلامية بحجة

١- الإمام أبو داود ، كتاب الخراج و الفئى ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

٢- سورة النساء ، ص ٣٦ .

٣- صحيح البخار ، كتاب الأدب ، باب الوصايا بالجار ، ص ٣ .

٤- الإمام أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، م ٢ ، ص ٤ .

حرية الرأي ولهم حرية الاجتماع في حدود القانون الإسلامي إذ ليس هناك ما يمنع تمتعهم بهذه الحرية ، وكذلك التمتع بحرية التعليم فلهم تعليم أولادهم فيما يخص ديانتهم في مدارسهم الخاصة ، إلا أنهم منعوا من تحريض المسلمين على الردة <sup>(١)</sup>.

### عاشرا : حق التعليم و التعلم :-

ولقد حث الإسلام على الاهتمام بالتعليم وجعله أساسا قويا من الأسس التي بني عليها الإسلام ، بل منحه وأحاط العلماء من غير المسلمين بالرعاية والعناية ولنشروا علمهم النافع بين المسلمين ، ولورجعنا إلى كتب السيرة لوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل فداء الأسير من المشركين في غزوة بدر تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة. <sup>(٢)</sup>

وقد نهج الخلفاء والحكام المسلمون نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاهتمام بالعلم والعلماء مهما اختلفت مللهم أو جنسياتهم في كافة نواحي العلوم والمعارف ، والأمثلة كثيرة على ذلك للعلماء الذين ذكرهم التاريخ أمثال : جيوربن بختيشوع ، وتيوفيل بن توما النصراني ، ويوحنا البطريق ، وحنين بن اسحق النصراني وتويخت المنجم ولده أبوسهل ، وبختيشوع الطبيب ولده جبريل ، ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني ، وسهل بن سابور وابنه سابور ، ومتى بن يونس المنطقي النصراني وهذا يوضح لنا أن الدين الإسلامي الحنيف لم يفرق بين رعاياه إلا بميزان العلم والحكمة. <sup>(٣)</sup>

- 
- ١- د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٠١ .
  - ٢- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، دار البشير ، ١٩٨٦ ، ص ٢٥٦ .
  - ٣- سماحة الإسلام ، سلسلة ثقافية إسلامية تصدرها وزارة الأوقاف ، ص ٩٦ ، الأوقاف ، من حقوق غير المسلمين ، ص ٥٦ .

# المبحث الثالث

## واجبات أهل الذمة :-

أما الواجبات التي فرضها الإسلام على أهل الذمة فقد كانت واجبات يسيرة وسهلة ولا إرهاق فيها ولا تزيد شيئاً عما فرضه على المسلمين وتتمثل في :-

### أولاً : الجزية :

والجزية هي خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي والجمع جزى وجزاء وهى عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة .

وقد عرفها ابن عرفة المالكي بقوله : " الجزية ما لزم الكافر لأمنه واستقراره وتحت حكم الإسلام وصونه " ، وهى بهذا ضريبة الحماية على الرؤوس والدفاع عنها يتم دفعها في ميعاد محدد وبشروط محددة و مقدار محدد .<sup>(١)</sup> وهى ضريبة سنوية تتمثل في مقدار زهيد من المال يفرض على الرجال البالغين القادرين على حسب ثرواتهم ، أما الفقراء فمعفون منها إعفاءً تاماً .

وليس للجزية حد معين إنما ترجع إلى تقدير الإمام الذي عليه أن يراعى طاقات الدافعين ولا يرهقهم ، كما عليه أن يراعى المصلحة العامة للأمة .<sup>(٢)</sup> ويقول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد رت الجزية بمبلغ ٤٨ درهماً على الموسر ، وعلى الوسط ٢٤ درهماً وعلى المحتاج الحارث العامل بيده ١٢ درهماً ، يؤخذ ذلك منهم في كل سنة ، وإن جاهدوا بعير قبل منهم ، مثل الدواب والمتاع وغير ذلك ، ويؤخذ منهم بالقيمة ، ولا يؤخذ منهم في الجزية ميتة ولا خنزير ولا خمر . وأعفى من الجزية الشيوخ والأطفال والنساء والعجزة

١- د. عبد الكريم زيدان ، أحكام المستأمنين ، ص ١٣٧ ، ١٣٨

٢- د. القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ص ٣ .

٣- سورة البقرة ، آية ٢٨٦ .



من الرجال ، فكان الرجل إنما يؤدي الجزية عن نفسه وسائر أفراد أسرته التي يعولها . كما كان يسمح بقيمة الجزية عينا ، فكان بعض أهل الذمة يؤدون جزءا من إنتاجهم الزراعي والحيواني . (١)

وأعفى المسلمون من الجزية كل من عجز عن تأديتها ، بل كانت الدولة تعول كل ذمي عجز عن كسب رزقه بكده فقال أبو عبيد في كتابه " الأموال " : " ولو عجز أحدهم لحظة عن دينار لحطه من ذلك ، حتى لقد روى عنه أنه - أي عمر بن الخطاب - أجرى على شيخ منهم بيت المال . وذلك أنه مر به شيخ وهو يسأل على الأبواب " (٢) .

وكانت الجزية تجمع مرة واحدة كل سنة بالشهور الهلالية . وتدفع نقدا أو عينا وقد أمر عمر بن الخطاب بالتخفيف عن أهل الذمة وقال : " من لم يطق الجزية خففوا عنه ، ومن عجز فأعينوه ، فإننا لا نريده لعام أو لعامين " ، كما كانوا يخففون عنهم بتأخيرها حتى ينضج المحصول : " وإنما وجه التأخير إلى الغلة للرفق بهم " (٣) . والأصل في مشروعية الجزية قول الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٤) . وروى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف : " أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر " (٥) ، وروى : " أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس البحرين وأخذها من عمر رضي الله عنه من فارس وأخذها من الفرس والبربر " (٦) ، كما أخذها عمرو بن العاص أثناء إمارته على أهل مصر من أقباطا دينارين على كل من تجب عليه الجزية فوافقه عمر بن الخطاب على ذلك ، وهكذا أثبتت

١- د. الخربوطلي ، الإسلام و أهل الذمة ، ص ٧٠ .

٢- د. الخربوطلي ، الإسلام و أهل الذمة ، ص ٧٠ .

٣- نفس المرجع ، ص ٧٠ ، ٧١ .

٤- سورة التوبة ، آية ٢٩ .

٥- د. عب الكريم زيدان ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

٦- نفس المرجع و الصفحة .

شرعية الجزية من خلال الكتاب و السنة الشريفة و أصبحت أمراً مشروعاً ومشهوراً انعقد عليه إجماع فقهاء الأمة .<sup>(١)</sup>

وعن حكمة مشروعية الجزية يقول الشيخ سيد سابق : " وقد فرض الإسلام الجزية على الذميين مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان ، لأن المسلمين والذميين يستظلون براية واحدة ويتمتعون بجميع الحقوق و ينتفعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة و لذلك أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين و حمايتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون فيها ، ولذا تجب حمايتهم والمحافظة عليهم و دفع من قصدهم بأذى " .<sup>(٢)</sup>

و تجب الجزية على فئات من أهل الزمة و من أخرى فتجب على :

أولاً : تجب الجزية على الذمي العاقل البالغ الذكر ، وعلى هذا فلا تجب على الصبي والمرأة والمجنون ، ويروى أن عمر بن الخطاب كتب إلى قادة الجيوش ألا يضربوا الجزية على النساء ولا الصبيان ولا يضربوها إلا على من جرى عليه الموسم .

ثانياً : تجب على الذمي السليم من الأمراض المزمنة والعمى والشيخوخة .

ثالثاً : تجب الجزية على الذمي الحر ، لأن العبد لا يملك ما لا يدفع الجزية .

رابعاً : لا تجب الجزية على الرهبان الذين قصرُوا حياتهم على البقاء في الأديرة للعبادة فقط وهكذا تسقط عنهم الجزية طالما كانوا بعيداً عن الاختلاط بالناس ، أما إذا خرجوا من الأديرة واختلطوا بالناس فرضت عليهم الجزية .<sup>(٣)</sup>

١ - نفس المرجع و الصفحة .

٢ - الشيخ / السيد سابق ، فقه السنة ، جزء ٣ ، ص ٦٧ .

٣ - الإمام محمد بن عبد الله بن الحسين بن صلاح الشوكاني ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار ، ج ٩ ، تحقيق د. طه عبد الرؤف سعد ، د. مصطفى محمد الهوارى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

وتسقط الجزية في حالات عديدة حددها الإسلام الحنيف : بالإسلام أو الموت فتسقط الجزية عن الذمي إذا أسلم فقد أصبح مسلماً " والإسلام يجب ما قبله " أو إذا مات لأنها فرض على الرأس " فعن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلح قبلتان في أرض ، وليس على مسلم جزية " ، وقد احتج به على سقوط الجزية بالإسلام وعلى المنع من إحداث بيعة أو كنيسة " (١).

وتسقط الجزية كذلك بمضي المدة المفروضة دون أن يستوفيهما الذمي المفروض عليه الجزية ، أو حصول بعض الأعذار للذمي ويكون غير قادراً على أدائها ولا يطالب بهذا بعد ذلك حتى ولو اغتنى وأصبح ثرياً ، أو في حالة عجز الدولة الإسلامية عن حماية أهل الذمة والدفاع عنهم كما جاء في صلح خالد بن الوليد مع أهل الحيرة : " إني عاهدت على الجزية والمنعة ..... فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم " ، أو أن يقوم الذميون بالاشتراك في القتال للدفاع عن دار الإسلام ، ففي كتاب عتبة بن فرقد إلى أهالي أذربيجان : " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم .... ومن عسر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة " (٢).

ويشهد على ذلك أحد المؤرخين الغربيين وهو آدم ميتزحيث يقول : " كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ، ومن حمايتهم لهم يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح فلا يدفعها ذووا العاهات ، ولا المترهبون وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم بشار " (٣).

١- نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ٢٣٧.

٢- د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٤٩ - ١٥٥.

٣- د. القرضاوي ، غير المسلمين ، ص ٣٤.

## ثانياً : الخراج :

و الخراج ضريبة مالية تفرض على رقبة الأرض إذا بقيت في يد أصحابها الذميين و يرجع تقديره إلى الإمام فله أن يقاسمهم بنسبة معينة مما يخرج من الأرض كالثلث والربع مثلاً ، وله أن يفرض عليهم مقداراً محدداً مكيلاً أو موزوناً بحسب ما تطيقه الأرض كما صنع عمر مع سواد العراق وقد يقوم ذلك بالنقود .<sup>(١)</sup>

وفي اصطلاح الفقهاء : " الخراج ما وضع على رقاب الأرضيين من حقوق تؤدي عنها " فالخراج بهذا يعتبر ضريبة مالية على الأراضي ، وهذه الأراضي تسمى " الأراضي الخراجية " ، وقد ورد استعمال كلمة الخراج بمعنى الجزية على السنة الفقهاء ، فمن ذلك ما قاله أبو حنيفة : " ولا يترك ذمي في دار الإسلام بغير خراج رأسه " ، وعن الشعبي قال : " أول من فرض الخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض على أهل هجر على كل محتلم ذكر أو أنثى " إلا أن المعنى الشائع في استعمال كلمة الخراج عند الفقهاء هو ما يفرض على الأرض من ضريبة مالية فإذا أطلقت كلمة الخراج فإنما يراد بها ضريبة الأرض ولا يطلق اسم الخراج على الجزية إلا مقيداً بخراج الرأس ، والخراج في الأصل تكليف مالي على الذمي في أرضه إذ هكذا فعل سيدنا عمر بن الخطاب عند فتحه العراق فقد ترك الأرض بأيدي أهلها وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أراضيهم الخراج بعد مشاورة الصحابة و موافقتهم " .<sup>(٢)</sup>

ويؤخذ خراج الأرض مرة واحدة في السنة لأن ريع الأرض لا يكون إلا مرة واحدة في السنة في الغالب ، ولا يسقط الخراج بإسلام الذمي لأن الخراج فرض على الأرض النامية والأرض باقية كما هي ، وليس على الرأس كما هو الحال في الجزية ، وقد روى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب : " إنني أسلمت فضع عن أرضي الخراج ، فلم يقبل عمر بن

١- القرضاوى ، غير المسلمين ، ص ٣١ .

٢- د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .



الخطاب وقال له : إن أرضك أخذت عنوة ، وعن علي بن أبي طالب مثل ذلك ، فقد روى عنه أنه لم يسقط الخراج عن أرض أسلم صاحبها " (١)

### ثالثا العشور :-

فرضت العشور على أهل الذمة من اليهود والنصارى طبقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعن رجل من بني تغلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليس على المسلمين عشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى " (٢) والعشور بمثابة ضريبة تفرض على الأموال المعدة للتجارة ، حيث ينتقل التجار الذميون بتجاريتهم من بلد إلى آخر داخل دار الإسلام ومقدارها نصف العشر ، وهذه الضريبة تفرض على جميع التجار من المسلمين والذميين والمستأمنين داخل دار الإسلام ، وتقل أو تكثر حسب الديانة أو عهد الأمان ، ووعاء هذه الضريبة جميع عروض التجارة من ثياب وحيوان وحبوب ، والذهب والفضة نقودا أو معادن ويقوم باستيفاء هذه الضريبة عمال الدولة المختصون بذلك الذين يقيمون على الحدود وفي ثغور الدولة الإسلامية وعلى طرق المواصلات . (٣)

فعن مالك بن أنس : سألت ابن شهاب الزهري : " لم أخذ عمر نصف العشر من أهل الذمة ؟ فقال : كان يؤخذ منهم في الجاهلية ، فأقرها عمر على ذلك ، ومن علماء الحنفية من علل تضعيف ما يؤخذ من الذمي بأن الجباية بالحماية ، وحاجة التاجر الذمي إلى الحماية أكثر من المسلم لأن طمع اللصوص في أموال أهل الذمة أوفر ، ويذهب الأستاذ أبو الأعلى المودودي مذهباً آخر في التعليل ، فيرى أن معظم المسلمين في ذلك الزمان كانوا منتظمين بالدفاع عن الوطن الإسلامي فأصبحت التجارة كلها بأيدي الذميين فرأى

١- د/ عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٦٨ ، ١٦٩

٢- الإمام الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج ٩ ، ص ٢٣٧

٣- د/ عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٧٦ ، ١٧٧

الفقهاء أن ينقصوا من الضريبة على التجار المسلمين حفظاً لهم على التجارة وحفظاً لمصالحهم التجارية<sup>(١)</sup>.

وهذه الحقوق والواجبات التي منحها الإسلام لأهل الذمة في دار الإسلام لدليل قاطع على التسامح والعدالة التي كفلها الإسلام لهم وتمتعوا في ظلها أكثر مما تمتع المسلمون ، ويشهد على هذا التسامح الذي كفله الخلفاء المسلمون للعلماء النصارى ورعايتهم لهم من ناحية ، وتشجيعهم للعلوم من ناحية ثانية أحد الكتاب المسيحيين وهو الكاتب المصري سلامة موسى<sup>(٢)</sup>.

---

١- د. / القرضاوى ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .  
٢- حرية الفكر وإبطالها في التاريخ ، ج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ٥٩ - ٦٧ بتصرف.

# المبحث الرابع

## مقارنة بين تسامح المسلمين و تعصب الغرب :-

وإذا ما قارنا موقف المسلمين من أهل الذمة في البلاد المفتوحة ، و موقف الأسبان من المسلمين هناك إبان حب الاسترداد الأسبانية المسيحية و تعذيب المسلمين وطردهم نجد العكس تماما ، وقد أصاب " جوستاف لوبون " <sup>(١)</sup> في تعليقه على هذا الموقف المتعصب للأسبان فيقول : " حل بالعرب دور الاضطهاد و التعذيب الذي دام قرونا ، والذي لم ينته إلا بترد العرب من أسبانية ، و كان تعميد العرب كرها فاتحة ذلك الدور ، ثم صارت محاكمة التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى و لم تتم عملية التطهير بالنار ، إلا بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة ، ونصح كردينال طليطلة التقي ، الذي كان رئيسا لمحكمة التفتيش ، بقطع رؤوس جميع من لم ينتصر من العرب رجالا و نساء و شيوخا و ولدانا و لم ير الراهب الدومينيكي ، بليدا الكفاية في ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب و من بقى على دينه منهم و حجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب ، فمن المستحب إذا قتل جميع العرب بحد السيف لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى و يدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم ، و لم تر الحكومة الأسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي أيده الأكليروس في رأيه لما قد يبديه الضحايا من مقاومة ، وإنما أمرت سنة ١٦١٠ م ، بإجلاء العرب عن أسبانيا ، فقتل أكثر مهاجر العرب في الطريق ، وأبدي ذلك الراهب البار ، بليدا ، إرتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم و هو الذي قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من ١٤٠.٠٠٠ مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى أفريقية ، و خسرت أسبانيا بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر ، و يقدر كثير من العلماء ، و منهم سيديو ، عدد المسلمين الذين خسرتهم

١- حضارة العرب ، ص ٢٧٠ - ٢٧٢ .

أسبانيا منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الأخير ، بثلاثة ملايين . وتعد ملحمة ساربارتلى إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا ينويه له . ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفسحين من يؤخذ على اقتراعه مظالم قبل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين . ومما يرثى له أن حرق أسبانيا عمدا هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم أمامه السكان الثقافية والصناعية .....

وهبطت أسبانيا بذلك إلى أسفل درجات الانحطاط بعد أن بلغت قمة المجد وإنهار معها كل ما كان فيها من الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والآداب والسكان . وهذا دليل قاطع والفضل ما شهد به الأعداء أن الحضارة الإسلامية كان لها كبير الفضل والأثر في الرقي والتقدم والازدهار الذي حل بالعالم آنذاك ، وهذا يرجع إلى أن أسس هذه الحضارة إنما هي وحي من عند الله سبحانه وتعالى ، وعادت أسبانيا مرة ثانية إلى الضلال والعذاب بعد أن كانت في النعيم المقيم زمن الحكم الإسلامي ، وهنا يصدق قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ ۚ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ورغم هذه السماحة وهذا العدل الذي اتبعه المسلمون حكاما ومحكومين مع أصحاب الديانات الأخرى الذين يعيشون في دار الإسلام ، وحتى الذين يغدون من أنحاء العالم إلى دار الإسلام بغرض الرحلة أو التجارة أو العلم ، إلا أن الغرب الأوروبي الكاثوليكي قد أكمّن حقدًا دفينًا وبغضا عدائيا للإسلام والمسلمين ، ظهر هذا العداء والبغض وهذه العداوة ضد الإسلام والمسلمين في الحروب الصليبية التي إندلعت في أواخر القرن الحادي عشر بتحريض من البابا " أوروبان الثاني " بابا روما ضد المسلمين في بلاد

١- سورة الأنفال ، آية ٥٣ .

٢- سورة الرعد ، آية ١١ .



الشام هذه الحرب الصليبية التي استمرت مدة قرنين من الزمان كحركة نشطة ، استقر فيها الصليبيون بمملكتهم يحاربون المسلمين بضراوة وعصبية صليبية ، وقد أصاب جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> في تصويره لاندلاع هذه الحرب ضد المسلمين واستقرارهم في الأراضي المقدسة وانتهت بعد هذه الفترة الطويلة بفشل زريع فيقول : " وكل يعلم كيف أصاب العالم النصراني دعوة ذلك المجذوب ، وكيف انقضت أمم على الشرق ، وكيف أن سوق تلك الجيوش الهائلة لم يؤد إلى غير نصر وهمي ، وكيف فلتت عزيمة مجاهدي النصارى الذين لم ينقطع سيلهم مدة قرنين من أجل فتح القدس والمحافظة عليها أمام هلال الإسلام ... حيث كانت أوروبا في القرن الحادي عشر الذي جردت فيه الحملة الصليبية الأولى في أشد أدوار التاريخ ظلاما وكانت دولة الروم في الشرق قائمة وكانت ميدانا للمنازعات الدينية وأنواع المشاحنات . وكانت سوريا قسم منها تابع للترك السلجوقيين ، والقسم الآخر تابع لسلطين مصر ، ولم يكن الخليفة في بغداد غير شبح ، وكانت دولة العرب السياسية في دور الانحلال مع محافظة حضارتهم على سلطانها ... وكانت العلاقة بين أوروبا والشرق مقصورة على زيارة حجيج النصارى لفلسطين في ذلك الدور .... وأن عدد حجيج النصارى كان يزيد كل يوم ، وكان ضجيجهم يزيد على ما كان عليه .... وكان التركمان الذين قاموا مقام العرب في سورية أقل تسامحا من العرب ، فجادل هؤلاء التركمان أولئك النصارى في حق المرور من وسط البلاد الإسلامية بلا إذن إيفاء ، لزيارة المقدس ، وأكروهوا حجيج النصارى على دخول القدس بخشوع بدلاً من أن يسمحوا لهم بدخولها ظافرين على صوت الصنوج وضوء المشاعل كما كان العرب يسمحون به وأخذوا يحملونهم على دفع القدي غير تاركين وسيلة لإيذائهم إلا أتوها .... وحدث أن جاء لزيارة بيت المقدس جندي قديم كان قد ترهب بعد أن طرأ على حياته الروحية ما كدر صفوة وكان اسم هذا المجذوب المتعصب " بطرس الناسك " فأضاف التاريخ إلى اسمه " الناسك " وقام بطرس الناسك في أنحاء أوروبا حتى تم ما أراد واتفق أصحاب الرأي في أوروبا على الزحف

١- حضارة العرب ، ص ٣١٩ - ٣٢٢ .

إلى فلسطين<sup>(١)</sup>. وهكذا وقف جوستاف لوبون على الفكرة أو الأيديولوجية التي شكلت الحركة الصليبية في عقول وقلوب أبناء الغرب الأوروبي على مدى قرون طويلة حتى إذا ما جاء البابا "أوروبان الثاني" ليضرب على هذه الأوتار الحساسة وما يجيش في صدور وعقل كل أوروبي، فانطلق كل الحاضرين في صوت واحد "الرب يريد هذا".

فقد شاع في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى وفي العصر الذي عرف "بعصر الإيمان" أي الإيمان العاطفي أو الشعبي، ما يعرف بالأفكار الألفية ونهاية العالم بعد مرور ألف عام على معاناة السيد المسيح على الصليب، وشاعت الأفكار والقصص والحكايات والأساطير التي تتحدث عن قرب نهاية العالم، ولذلك ربطوا كل حادثة طبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات بأنها "نذير باقتراب القيامة" وانتشرت الرؤى والخرافات والغيبيات في كافة أنحاء الغرب الأوروبي.

والحج المسيحي إلى الأماكن المقدسة قد انتشر في العصور الوسطى إما إلى بيت المقدس بصفة خاصة، أو إلى أحد الأماكن المقدسة الأخرى في أنحاء العالم حيث توجد مقابر القديسين في إيطاليا أو أسبانيا، واستمر حتى مجيء الإسلام توافد الحجاج المسيحيين من الغرب الأوروبي إلى فلسطين في بيت المقدس، ولأن الحج في الإسلام فريضة فقد سمحوا لهؤلاء المسيحيين بالمرور في أمان وسلام كما هيئوا لهم أماكن الراحة عبر الأراضي الإسلامية وازدادت أعداد الحجاج المسيحيين سنوياً فرادى وجماعات إما للتوبة والتكفير عن الذنوب أو لزيارة الأماكن التي مربها أو عاش فيها السيد المسيح عليه السلام وارتبط بهذا الحج تجارة الذخائر المقدسة التي تتمثل في رفات القديسين التي حصل عليها هؤلاء الحجاج وباعوها في الغرب الأوروبي. وعندما حكم الأتراك السلاجقة في بلاد الشام واشتد عبث وفساد هؤلاء الحجاج بالأراضي الإسلامية، تعرض لهم حكام السلاجقة مما جعل هؤلاء الحجاج يحملون معهم الأسلحة وتحول مصطلح الحج إلى

١ - د. / قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية - الدوافع - النتائج) عالم المعرفة، العدد ١٤٩، ١٩٩٠، ص ١٦ - ١٩.

"الحج المسلح" مما جعل فكرة الحرب المسلحة ضد المسلمين في فكرة هؤلاء المسيحيين واختلط الحج بالحرب<sup>(١)</sup>.

وقد ارتبطت بالحج فكرة الغفران الذي بدأ غفرانا جزئيا ثم تطور حتى أصبح غفرانا كليا لكل الذنوب في فترة الحروب الصليبية وكان هذا دافعا قويا للمشاركة في هذه الحركة<sup>(٢)</sup>، وخاصة أن القديس "أوغسطين" قد عدل فكرة الحرب عند المسيحيين فالحرب في المسيحية غير شرعية لأن المسيح جاء ليدعوا إلى السلام والتسامح "إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، وإذا خطف عباةك فأعطه رداءك" هكذا يدعوا الإنجيل في تعاليمه. ولكن أوغسطين برر هذه الحرب وجعلها حربا عادلة أو مقدسة إذا كانت لسبب عادل أو شرعي وكذلك تعلنها السلطة الشرعية الملكية وليست السلطة الدينية، وأن تكون لغرض عادل أو هدف يقوم على سلامة القصد<sup>(٣)</sup>.

وهكذا شرع أوغسطين فكرة الحرب المسيحية ضد أعداء المسيح، وعلى هذا أخذ المسيحيون بدافع من البابوية في إعلان الحروب ضد المسلمين في الأندلس وبلاد الشام وفي كل مكان مبررين ذلك بنظرية أوغسطين وفكره عن الحرب المقدسة والحروب العادلة. وظهر هذا واضحا جليا في الحرب الصليبية التي أعلنتها الأبوية الحاكمة ضد الإسلام والمسلمين في الأندلس، والتي كان لها كبير الأثر على انتقال هذه الحروب بسهولة من "حرب الاسترداد" الأسبانية إلى الحرب الصليبية ضد المسلمين في بلاد الشام والأرض المقدسة متأثرين بفكرة الجهاد الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تشكلت أيديولوجية الحروب الصليبية في نفوس أبناء الغرب الأوروبي ضد الإسلام والمسلمين على مدى قرون طويلة، واندفع هؤلاء الصليبيون للمشاركة في هذه

- 
- ١- للتفصيلات انظر: د. / قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ٢٠ - ٢٨، رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ط ٢، ترجمة د. / السيد الباز العريني، بيروت، ص ٦٤ - ٩١، د. / سعيد عاشور الحركة الصليبية، ج ١ ط ١، مكتبة الأنجلوا ١٩٦٣، ص ٢٣ - ٢٤.
  - ٢- د. / قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٢٨ - ٣٤.
  - ٣- المرجع السابق، ص ٣٥ - ٤٢.
  - ٤- نفس المرجع، ص ٤٢ - ٤٥.



الحركة الغاشمة التي كانت البذرة الأولى للاستعمار الحديث بدوافع خاصة بكل فئة وكل طبقة من طبقات المجتمع الأوروبي الذي كان يعيش في ظل النظام الإقطاعي<sup>(١)</sup>. الذي ولدت من رحمة هذه الحركة الصليبية . واستطاع الباب أن يضع أصابعه على هذه الدوافع الكامنة في داخل كل فرد من أفراد المجتمع الأوروبي ، ولذلك جاءت الإستجابة لدعوته قوية وسريعة بل فورية فانطلقت جموع الحاضرين في صوت واحد " الله يريد لها " أو إنها " إرادة الرب " .

وتتمثل هذه الدوافع في الدوافع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تسربت برداء الدين ، والدين منها براء . فلم يكن للدين أي أثر في تحريك هؤلاء الصليبيين ودفعهم للمشاركة في الحركة الصليبية ، وليس معنى أنهم وضعوا شارة الصليب على ستراتهم قاموا بحرب من أجل الصليب الذي هو رمز للديانة المسيحية ، فلم يكن هؤلاء الصليبيون يعرفون أنهم صليبيون ، ولم يطلق أحد من المعاصرين عليهم هذا المصطلح لا من المؤرخين الغربيين ولا من المؤرخين المسلمين المعاصرين للحركة الصليبية ، فقد كان المسلمون يطلقون عليهم الفرنجة أو الفرنج أو أصحاب الإنكليز ( ملك إنجلترا ) أو أصحاب الفرنسيس ( أي ملك فرنسا ) ، ولم يطلق هذا المصطلح عليهم إلا في القرن الثامن عشر عندما قام المؤرخون الألمان والإنجليز ليناقدوا هذه الحركة ويلصقوها بالدين<sup>(٢)</sup> و دليلنا على أنه لم يكن هناك دافعا دينيا للحروب الصليبية ولم تكن حربا دينية أن هؤلاء الصليبيين عندما اقتحموا الأراضي المقدسة واستولوا عليها لم يفرقوا في معاملتهم الوحشية القاسية بين من هو مسلم ومن هو مسيحي من الشرق الإسلامي وأنزلوا العذاب والقتل بالجميع والأكثر من ذلك والذي يوضح لنا القضية أكثر أن هؤلاء الصليبيين عندما انتهى العسل واللبن من الأرض المقدسة ولم يعد هناك ما يغريهم ويسيل لعابهم فاتجهوا للبحث عن أرض أخرى ووجدوها في القسطنطينية المسيحية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية

١- للتفصيلات عن النظام الإقطاعي أنظر : د./ سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج٢ ، الأنجلوا المصرية ، ١٩٦٧ ، د./قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، الفصل الثاني .  
٢- د./ قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ١١ - ١٥ .



فهاجموها واستولوا عليها و تهبوا ممتلكاتها حتى الأديرة والكنائس وساعدهم على ذلك البابا نفسه ورجال الكنيسة الموافقين للحملة المعروفة بالحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ م ولم يتورع رجال الدين والجنود عن انتهاك حرمت الراهبات في الأديرة والنساء في الشوارع فهتكوا عروضهم وسلبوا أموالهم ، فأى حرب دينية تدهوا إليها المسيحية ( ديانة السلام ) تكون بهذه البشاعة وهذه الوحشية<sup>(١)</sup>.

فقد كانت الدوافع الحقيقية متمثلة في دوافع الفرسان والنبلاء و أيضا للأقنان للحصول على إقطاعات من الأرض في أرض العسل واللبن - الأرض المقدسة - والحصول على الحرية للأقنان<sup>(٢)</sup>، والغفران الصليبي للمجرمين والهاربين من القانون والعقوبة والتخلص من رقبة الإقطاع ومساوئه في الغرب الأوروبي ، وشجعت البابوية على ذلك لتتخلص من هؤلاء الإقطاعيين الذين ملأوا الغرب الأوروبي بالحروب الإقطاعية المستمرة والتي من جرائها ملئت الشوارع والحقول بجثث القتلى حتى انتشرت الأمراض والأوبئة في الغرب الأوروبي . والأدهى من ذلك فقد كانت دوافع التجار الإيطاليين للحصول على الموانئ والمرافئ في الشرق الإسلامي والسيطرة على التجار بين الشرق والغرب لأهمية البلاد الإسلامية من الناحية التجارية وقد كان<sup>(٣)</sup>.

وانطلق الصليبيون من الغرب الأوروبي نحو الشرق الإسلامي بمجرد انتهاء البابا "أوروبان الثاني" من خطبته في كلير مونت بفرنسا سنة ١٠٩٥ م ، وهذه الدعوة الغاشمة التي خدعهم فيها بأن هذه الحرب من أجل تخليص إخوانهم المسيحيين في الشرق من يد الاضطهاد التركي السلجوقي وتطهير ضريح السيد المسيح عليه السلام من الدنس الذي حل

- 
- ١- للتفصيلات حول هذا الدافع الديني انظر : صبري أبو الخير ، الحملة الصليبية الرابعة و سقوط القسطنطينية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب بالقازيق ، ١٩٨٧ .
  - ٢- الأقنان هم عبيد الأرض ، و مفردها قن ، المعجم الوجيز ، ص ٥١٨ .
  - ٣- للتفصيلات انظر : قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، الفصل الثاني ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٧ - ٤٣ ، رنسمان ، الحروب العسايبية ، ج ١ ، ص ١٢٥ و ما بعدها ، علي حسن الخربوطلي ، المستشرقون و التاريخ الإسلامي ، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤٤ .

به من جراء وجود المسلمين هناك ؟ ولكنه أشار إلى الدوافع الحقيقية بعد أن وضع يده على الأوتار الحساسة والأهداف التي تدور في عقل و صدر كل أوروبي آنذاك ، ولذا اندفع الجميع بحماسة لا مثيل لها ليحقق كل منهم أهدافه الخاصة <sup>(١)</sup> . ووصلوا إلى الأرض المقدسة ودخلوا بيت المقدس واستولوا عليه ، ويروي أحد المؤرخين المرافقين للحملة أحداث الاستيلاء على بيت المقدس والمذبحة الغاشمة التي أنزلها الصليبيون بالسكان من المسلمين ومن المسيحيين على السواء ، ويفخر بذلك قائلاً : " إن الدماء كانت للركب " <sup>(٢)</sup> .

وكانت هذه الوحشية هي طبيعة الصليبيين في معاملتهم مع المسلمين بعنف وتعصب فعندما فتحوا " معرة النعمان " <sup>(٣)</sup> قتلوا مائة ألف من السكان ، كما كانوا يكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من البروج والبيوت ، ويجعلونهم طعاماً للنيران ، ولم يتورعوا من اقتحام الأماكن المقدسة سواء كانت المساجد أو معابد اليهود الذين تعرضوا للقتل في المعبد الذي لجئوا إليه وأهلكهم الصليبيون بالنار. <sup>(٤)</sup>

ويعترف جوستاف لوبون <sup>(٥)</sup> بهذه الفظائع التي قام بها الصليبيون في القدس فيقول : " أراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذيبح أهل القدس قاطبة ، فانهمكوا في كل ما يستعسر الإنسان من ضروب السكر والعريضة واغتياظ مؤرخو النصارى أنفسهم من سلوك حماة النصرانية مع اتصاف هؤلاء المؤرخين بروح الإغضاء والتساهل ، فنعتهم (برنارد الخازن ) بالمجانين ، وسبهم ( بودان ) الذي كان رئيس أساقفة ( دول ) بالفرس التي تتمرغ في الأقدار .

- 
- ١- د. / قاسم عبده قاسم ، نصوص ووثائق ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، أماكن متفرقة تحتوي على الخطبة .
  - ٢- مؤرخ مجهول ، أعمال الفرنجة و حجاج بيت المقدس ، ترجمة د. / حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
  - ٣- معرة النعمان : بلدة في شمال بلاد الشام و الجزيرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص ٨٧ .
  - ٤- د. / علي حسني الخربوطلي ، الإسلام و أهل الذمة ، ص ١٩٦ .
  - ٥- حضارة العرب ، ص ٣٢٧ .

و يورد لنا جوستاف لوبون<sup>(١)</sup> أيضا وثيقة كتبها أحد المرافقين للحملات الصليبية و يصف فيها الطرق البشعة التي سلكها الصليبيون المتوحشون في تعذيبهم للمسلمين والتخلص منهم : " كان قومنا يجوبون الشوارع والبيادر وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل ، و ذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها و كانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ و يقطعونهم إربا إربا ، و كانوا لا يستبقون إنسانا ، و كانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، فيا للعجب و يا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بأمضى سلاح من غير أن تقاوم ! و كان قومهم يقبضون على كل شئ يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية ، فيا للشرة لحب الذهب ! و كانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجنث ، فيا لتلك الشعوب العمى المعدة للقتل ! ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية دينا ، ثم أحضر " بوهيموند " جميع الذين اعتقلهم في برج القصر ، و أمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعافهم ويسوق فتيانهم وكهولهم إلى أنطاكية لكي يباعوا فيها " وهذه الشواهد جزء من كل فظائع الصليبيين مع المسلمين في الأراضي المقدسة .

و إذا ما قارنا تعصب الصليبيين مع المسلمين و خشونتهم في تعاملهم معهم بتسامح المسلمين و حكامهم مع المسيحيين بصفة عامة ، و كذلك مع الصليبيين نجد هناك فرقا شاسعا في الطباع والأخلاق و التمسك بتعاليم الأديان السماوية ، فها هو صلاح الدين الأيوبي عندما يهزم المسلمون الصليبيين في موقعة حطين و يستردوا بيت المقدس يصدر صلاح الدين أوامره بالتسامح مع كل الصليبيين الذين تم أسرهم و يأمر بمعاملتهم معاملة طيبة و حسنة<sup>(٢)</sup> و عندما وقع طفل رضيع أسير في يد المسلمين أثناء حصار عكا سنة ١١٩١م و تشكو أمه الصليبية إلى صلاح الدين و ترجوه رد طفلها إليها فدمعت عينا صلاح الدين و أمر برده إليها بعد دفع ثمنه لتجار الرقيق ، بل أحضر فرسا حملها و طفلها

١- نفس المرجع ص ٣٢٥ .

٢- محمد أبو الحسن عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، موقعة حطين .



إلى بلدتها فيقول بن شداد <sup>(١)</sup>: " فأنظر إلى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشرية ، اللهم إنك خلقتهم رحيمًا رحمة واسعة من عندك يا ذا الجلال والإكرام " .

واقْتَفَى أثر صلاح الدين خلفاؤه من الحكام ، وأدت هذه المعاملة الطيبة إلى تحول كثير من الصليبيين إلى الإسلام ويشهد على ذلك توماس أرنولد <sup>(٢)</sup> فيقول : " إلى ذلك الحين كانت الكنائس المسيحية التي وصفت بأنها قد دخلت في نطاق تأثير الحكم الإسلامي عبارة عن الكنيسة الشرقية والأرثوذكسية والطوائف الخارجية عن الدين التي تفرغت عنها . ولكن بانتهاء القرن الحادي عشر الميلادي انضم إلى أهالي الشام وفلسطين من المسيحيين عنصر جديد يتألف من هذه الجموع الهائلة من الصليبيين الذين كانوا يدينون بشعائر الأمم اللاتينية واستقروا في مملكة بيت المقدس وسائر الولايات التي أسسها الصليبيون ، وظلت تعيش مهددة قرابة قرنين من الزمان . وفي غضون تلك الفترة كانت تحدث من حين لآخر تحولات إلى الإسلام من بين هؤلاء المهاجرين الغرباء الذين اعتنقوا الإسلام " . ويقول أيضا على لسان أحد المؤرخين الصليبيين المرافقين للحملة الصليبية : " من المؤكد أنهم رأوا - أي المسلمين - لم يكرهوا أحد من بينهم - أي الصليبيين - على نبذ دينه ، وإنما اكتفوا بما قدمه لهم من خدمات " .

ويقول أيضا : " ويظهر أن اختلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين تأثيراً عظيماً حتى قد بلغ من قوة انجذابهم إليهم أنهم هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين .... وبلغ عدد من تحول من المسيحيين إلى الإسلام خمس وعشرين ألفاً من المسيحيين في مصر فقط .... وأن دخول أي مسيحي في الإسلام عن اقتناع صادق أمر ممكن " .

وانتهت الحروب الصليبية بعد قرنين من الزمان كحركة نشطة بفشل الصليبيين في تحقيق أهدافهم الاستعمارية والاستيلاء الدائم على بلاد المسلمين والقضاء عليهم

١- النواذر السلطانية لبهاء الدين بن شداد ، ص ٢٥١ .

٢- الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن و آخرون ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٨ - ١١٦ .





## الفصل الرابع

# النظام الاجتماعي في الإسلام

ويحتوى على :-

- المرأة في الإسلام .
- معاملة النساء عند الفرنجة .
- المذاهب و الفرق الإسلامية .
- الدين و الأخلاق في الإسلام .



## مقدمة

ولقد نظم الدين الإسلامي الأوضاع الاجتماعية المتمثلة في العلاقات الأسرية والعلاقات بين الأفراد ، وتقاليد الزواج والعلاقات الاجتماعية وصلات الأرحام ، وعلى رأس هذه النظم الوضع الذي أرساه الإسلام للمرأة في المجتمع الإسلامي حيث أعطاه الإسلام كافة حقوقها كما وضع ما عليها من واجبات تجاه الأسرة والزوج . وظهر واضحاً الاختلاف الكبير بين أوضاع المرأة في الإسلام ، وأوضاعها في المجتمعات غير الإسلامية .





# المبحث الأول

## المرأة في الإسلام :

و عن النظام الاجتماعي في الإسلام يركز المؤلف السير جوستاف لوبون على المرأة في المجتمع العربي و أثر الإسلام في وضع المرأة المسلمة و دورها في المجتمع ، كما يركز على ناحية ثانية خاصة بالمرأة وهى تعدد الزوجات في الشرق و أسباب هذا التعدد في الإسلام و المؤلف في هذا المجال يتحدث بصورة إيجابية عن وضع المرأة في الإسلام وكيف تم تأثير الإسلام في وضع المرأة المزدري قبل الإسلام في المجتمع العربي الجاهلي ، ويفند مزاعم المؤرخين الغربيين وينقدها في هذا الشأن ، فعندما يرى الأوروبيون " أن مبدأ تعدد الزوجات يعتبر حجر الزاوية في الإسلام ، وأنه سبب انتشار القرآن ، وأنه علة انحطاط الشرقيين " (١).

يرد جوستاف لوبون على هذا الرأي مفندا : " ذلك الوصف مخالف للحق ، وأرجو أن يثبت عند القارئ الذي يقرأ هذا الفصل ، بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوروبية جانباً و إن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به ، و يزيد الأسرة ارتباطاً ، و يمنح المرأة احتراماً و سعادة لا تراهما في أوروبا " (٢).

و يستكمل حديثه عن مبدأ تعدد الزوجات الشرعي في الإسلام فيقول : " و لا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوروبيين ، و أبصر العكس فأرى ما يجعله أسنى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزرون مدننا الكبرى من احتجاجنا عليهم ونظرهم إلى هذا الاحتجاج شزراً " (٣).

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩٧ .

٢- نفسه .

٣- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩٨ .

ويفسر لوبيون أسباب تعدد الزوجات عند الشرقيين بأسباب ودواع سادحة غير علمية ولكنها قريبة الى الواقع : الفكر عند الشرقيين سواء كانوا من الرجال أو النساء فيرى أن حب الشرف والجم لكثرة الأولاد ، وميلهم الشديد إلى حياة الأسرة ، وكذلك السبب الخاص بالطبقة الزراعية حيث يكون نظام الحياة صعبا والمشقة كبيرة فتحرض النساء أزواجهن على الزواج بزوجات أخرى<sup>(١)</sup> ، وكل هذه هي الأسباب التي تؤدي إلى انتشار مبدأ تعدد الزوجات ، كما ذكرنا أن هذه الأسباب ترجع إلى الناحية الفكرية عند أهل الشرق ، ولكن القرآن الكريم الكتاب الشرعي للمسلمين الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يأتي بالأسباب الشرعية التي أقرها الله سبحانه وتعالى لهذا المبدأ وسوف أفصله بعد قليل .

ويقارن المؤلف و معه الأوروبيون بين حال النساء قبل الإسلام و تطبيق هذا المبدأ فيقول : " و لاحظ ذلك المحقق - مسيولوبله - أن تعدد الزوجات عند الشرقيين لا يؤدي إلى تحاسدهن و تنافسهن ، ويرى الأوروبيون استحالة ذلك لما يساورهن من مبتسرات لا ريب ، ورأى الأوروبيين هذا ناشئ عن نظرنا إلى الأمور من خلال مشاعرنا ، لا من خلال مشاعر الآخرين ، و يكفي القضاء بضعة أجيال لإطفاء مبتسرات أو إحداثها ، و يمكننا أن ندرك ضرورة تبديل رأينا في هذا الأمر عند الرجوع إلى أدوار المجتمعات الفطرية الأولى حين كان النساء شيئا مشاعا بين رجال القبيلة الواحدة ، و إلى الأدوار التي هي أقرب من تلك حين كان النساء مشاعا بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو إلى أيا من التي نرى فيها وجود هذه الطبائع في بعض أجزاء الهند " <sup>(٢)</sup> .

١- نفس المرجع ، ص ٣٩٨ - ٤٠١ .

٢- لوبيون ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

## مكانة البنت في الإسلام :-

ويتعرض المؤلف بصورة إيجابية وحسنة إلى تأثير الإسلام في وضع المرأة ومركزها في هذا الشأن يقول : " لم يقتصر الإسلام على إقرار مبدأ تعدد الزوجات الذي كان موجودا قبل ظهوره ، بل كان ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق ، والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعا عظيما بدلا من خفضهما خلافا للمزاعم المكررة على غير هدى والقرآن قد منح المرأة حقوقا إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوروبية كما أثبت ذلك حينما بحث في حقوق الإرث عند العرب ، أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوروبا التي قالت به ، ولكنه اشترط أن تكون للمطلقات متاع بالمعروف " (١).

ويستطرد المؤلف في المقارنة بين حال المرأة قبل الإسلام وبعده : " وكان الرجال قبل ظهور محمد يعدون منزلة النساء متوسطة بين الأنعام والإنسان من بعض الوجوه ، أي أداة للاستيلاد والخدمة وكانوا يعدون ولادة البنات المصيبة ، وشاعت عادة الوأد ، وصار لا يجادل فيها كما لو كانت البنات جراء يقذف بها في الماء ، ويمكننا أن نتمثل عادة الوأد عند العرب من المحاورة الآتية التي وقعت بين رئيس بنى تميم قيس ومحمد حينما رأى قيس محمداً يضع إحدى بناته على ركبته ، والتي رواها كوسان دوبر سفال :

قيس : من هذه الشاة التي تشمها ؟

محمد : ابنتي .

قيس : والله كان لي بنات كثير ، فوأدتهن من غير أن أشم واحدة منهن .

محمداً " صارخاً " : ويل لك ، يظهر أن الله نزع الرحمة من قلبك ، فلا تعرف أطييب

النعم التي من الله بها على الإنسان " (٢)

١- لوبون ، المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

٢- لوبون ، المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

# المبحث الثانى

## معاملة النساء عند الفرنجة :-

وعن رفع الإسلام لشأن المرأة يقول : " إن الأوروبيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام للمرأة " <sup>(١)</sup> . . . " والإسلام لا النصرانية هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل التى كانت فيه ، وذلك خلافا للاعتقاد الشائع ، وإذا نظرت إلى ستيوارت نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء وإذا تصفحت كتب تاريخ ذلك الزمن وجدت ما يزيل كل شك في هذا الأمر وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى ، ومن ذلك ما جاء في تاريخ غاران لولو هيران عن معاملة النساء في عصر شارلمان وعن معاملة شارلمان نفسه لهن ، كما يأتى : " انقض القيصر شارلمان على أخته أثناء جدال وأخذ بشعرها وضربها ضرباً مبرحاً وكسربقفازه الحديدي ثلاث من أسنانها " ، فلو حدث هذا الجدل مع سائق عربية في الوقت الحاضر لبدأ هذا السائق أرق منه لا ريب " <sup>(٢)</sup>

ويسوق المؤلف مثالا عن وضع المرأة في ظل الإسلام في الأندلس وكيف وصلت إلى وضع علمي مرموق وإحترام جليل فيقول : " كان عبد الرحمن الثالث وهو يتمتع بأطايب مدينة الزهراء يحب أن يستمع إلى أغاني جاريته وأمينه سره العذبة " مزنه " وإلى فتاة قرطبية الكريمة " عائشة " التى روى ابن حبان أنها كانت أعقل بنات عصرها وأجملهن وأعلمهن . . . " وأضاف مؤرخا الحكم الثانى إلى ذلك قولهم : " إن نساء ذلك الزمن الذى

١- لوبون ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ ، ٢٧٨ .

٢- لوبون ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .



كان للعلم والأدب شأن عظيم في بلاد الأندلس ، كن محبات للدرس في خدورهن ، وكان الكثير منهن يتميزن بدمائتهن ومعارفهن ... (١)

ويضيف المؤلف إلى ما سبق ليؤكد على رفع الإسلام شأن المرأة ، أن المرأة انحط وضعها واحترمها مع انحطاط الحضارة الإسلامية فيقول : " وخبث حضارة قدماء الخلفاء الساطعة في عهد وارثي العرب - ولا سيما - في عهد الترك ، فنقص شأن النساء كثيراً ، وسأبين في مكان آخر أن حالتهم الحاضرة أفضل من حالة أخواتهن في أوروبا حتى عند الترك وما تقدم يثبت أن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن ، ولا بسبب القرآن على كل حال " (٢) ، ويستطرد جوستاف لوبون في إثبات رأيه وتأكيد به بالأدلة القاطعة في قوله : " ولم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة ، بل نضيف إلى هذا أنه أول دين فعل ذلك ، ويسهل إثبات هذا بياناً أن جميع الأديان والأمم التي جاءت قبل العرب أساءت إلى المرأة ، وهذا ما أوضحناه ... فقد كان الأغارقة على العموم ، يعدون النساء من المخلوقات المنحلة التي لا تنفع لغير دوام النسل وتدير المنزل ، فإذا وضعت المرأة ولد دميماً قضا عليها ... ولم ينل حظوة من النساء الإغريق في دور ازدهار الحضارة اليونانية سوى بنات الهوى الآثي كن وحدهن على شئ من التخرج " ... وفي شرائع الهندوس : " ليس المصير المقدور والريح والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار أسواء من المرأة " ...

وفي التوراة : " إن المرأة أمر من الموت ... وإن الصالح أمام الله ينجو منها ... رجلاً واحداً بين ألف وجدت ، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد " ... كما تحدثوا في أمثال الشعوب كثيراً عن المرأة وحقارتها ودنو منزلتها في المجتمع ، ولم تعترف لها الشرائع السابقة بأي حق من الحقوق ولا بحق الميراث . ويتحدث المؤلف بعد ذلك عنها - عن

١- نفس المرجع ، ص ٤٠٤ .

٢- لوبون ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

المرأة - كناقصة عقل وخلق ويقول أن العلماء المعاصرين أثبتوا النقص منددين إلى عوامل تشريحية ونفسية كبيرة<sup>(١)</sup>.

وللرد على هذه الشبهة التي ألحقها المستشرقون الغربيون و من لف لفهم من المسلمين و تفنيدها أقول : إن تعدد الزوجات قد عرف عند العرب قبل الإسلام وقد جاء من منطلق أنواع الزواج المتمثلة في :

- ١ - زواج الرهط ، وهو أن يتزوج رجال عديدون من امرأة واحدة .
- ٢ - زواج الاستبضاع : هو أن يدفع الرجل زوجته إلى حكيم أو عظيم ليستولدها رغبة في إنجاب الولد وتحسين النسل .
- ٣ - زواج البدل : وهو أن يستبدل كل من الزوجين حليلته بحليلة الآخر .
- ٤ - الزواج المؤقت أو زواج المتعة ، وهو زواج لمدة محدودة ليستمتع الرجل بالمرأة .
- ٥ - زواج المقت وهو أن تصبح أرملة الأب ضمن الميراث فيتزوجها ابن زوجها<sup>(٢)</sup> .

وغير ذلك من أنواع الزواج التي أنكرها الإسلام وحرّمها تحريماً ، لأن الجهل عند العرب من منطلق تقاليدهم البالية قد حكم بسوء هذه الأنواع من الزواج ، التي امتهنت كرامة المرأة وإنسانيتها .

و قد أباح الإسلام تعرو الزوجات كما أباح الطلاق و هذا يرجع للأسباب :

أولاً : أن الطبيعة قد جعلت مولوداتها من الإناث أكثر من الذكور ، سواء ذلك في عالم الإنسان أو الحيوان والطيور... وحتى النباتات : وقد يكون هذا التدبير المتصل بأصل الحياة لكي تتكاثر المواليد وتعمر هذه الأرض .

ثانياً : إن الحروب ، وهي سنة من سنن الحياة... تذهب بكثير من الرجال، الأمر الذي إذا أضيف إلى سابقه قلت نسبة الرجال إلى النساء إلى درجة بالغة

١- لوبون ، المرجع السابق ، ص ٤٠٥ - ٤٠٨ .

٢- د. مصطفى الرافعي ، الإسلام نظام إنساني ، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، ١٩٦٤ ، العدد ١١ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

الخطر، إن لم يكن هناك عامل ملطف، أو مخفف لها فجاء هذا التعدد ليكون عاملاً معادلاً لهذا التفاوت في النسبة بين الطرفين. وحتى لا يمتن عانسات أو يحيين حياة بهيمية<sup>(١)</sup>. "وقد قيد الإسلام الناس بزوجة واحدة واحدة - في الأصل - يقتصرون عليها، وحررهم من هذا القيد في حالات الضرورة القصوى من عقم أو مرض، فأباح لهم التعدد المحدود، ولعل ذلك الحل الأوسط منه كان جرياً على سنة التدرج في التشريع الإسلامي مثلما حصل في تحريم الخمر وفي كلا الأمرين نراه قد أعطى الفطرة حقها - وهو دين الفطرة - ولم يغفل عما وقر في النفوس ولانت له الطبائع، وتغافلت عن آثار البيئة والتقاليد فعمد إلى إباحة التعدد إباحة مقيدة"<sup>(٢)</sup>.

وقد عالج الله سبحانه وتعالى هذه المشكلة في القرآن الكريم فقال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْثَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾<sup>(٣)</sup>، ولأن الله سبحانه وتعالى يعلم تماماً أن الإنسان لا يستطيع أن يعدل بين النساء ولو حتى من ناحية الحب القلبي على الأقل فلذلك قال سبحانه وتعالى في نفس سورة النساء ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهكذا حدد الإسلام الأحوال التي تضطر الرجل أو تدفعه إلى التعدد مثل عقم المرأة أو عجزها عن تحمل أعباء الزوجية. كما ذكرت سابقاً أنه لوضع علاج لهذا التعدد لابد من ملاحظة أمور ثلاثة ترتبط بالمرأة والمجتمع وهي كثرة النساء تبعاً لظروف الحروب وغيرها، وطبيعة تكوين المرأة، والأزمات الاقتصادية<sup>(٥)</sup>.

١- د. عبد الكريم الخطيب، التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث و تحدياته، ط ١، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

٢- د. الرافعي، المرجع السابق، ص ٩٢.

٣- سورة النساء، آية ٣.

٤- سورة النساء، آية ١٢٩.

٥- د. الرافعي، المرجع السابق، ص ٩٣ - ٩٥.

و يتناول المؤلف في حديثه عن المرأة في الشرق طريقة و طبيعة الزواج عند العرب  
وما أقره الإسلام في ذلك ، بطريقة حسنة و إيجابية يقارن فيها بين الزواج عند العرب  
والزواج عند الأوروبيين ، وكيف أن الإسلام قد قرر حقوقاً عظيمة للمرأة في هذا الشأن و عما  
أباحه القرآن من زواج المسلم بأربع نسوة ، وكيف أن له حرية في تطليقها ولكنه يجب عليه  
أن يصنع ما يكفل به مصيرها <sup>(١)</sup> .

كما استحسن الحياة العائلية والبيتية عند العرب ومميزات الزواج الشرقي  
فيقول: " و يمتاز الزواج الشرقي عن الزواج الأوروبي فيما عدا مبدأ تعدد الزوجات ، بأن  
الزوج في الشرق هو الذي يدفع أهل الزوجة مهراً متحولاً بحسب ثروتيهما ، وبأن الزوجة  
عند أكثر الغربيين ، و لا سيما طبقاتهم المؤثرة ، وهي التي تدفع مبلغاً من المال لتتزوج  
و حقوق الزوجة التي نص عليها القرآن و مفسروه أفضل كثيراً من حقوق الزوجة الأوروبية  
فالزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلاً عن مهرها ، وعن أنه لا يطلب منها أن  
تشارك في الإنفاق على أمور المنزل ، وهي إذا أصبحت طليقاً أخذت نفقة ، وهي إذا  
تأملت أخذت نفقة سنة واحدة و نالت حصة من تركه زوجها . و تعامل المرأة المسلمة  
باحترام عظيم فضلاً عن تلك الامتيازات ، و تنال بذلك حالاً أجمع الباحثون المنصفون  
و منهم من ناصب بعاطفته مبدأ تعدد الزوجات العداء على الاعتراف بحسنها" <sup>(٢)</sup> ، وفي  
نفس الموضوع يتعرض المؤلف للحديث عن أوضاع النساء في الشرق ، ويقارن بين وضع  
المرأة العربية التي تأثرت بالإسلام ، وكيف أن الإسلام قد قرر لها حقوقها عظيمة و حفظ  
كرامتها ، و بين المرأة التركية التي تعرف بالتبرج و الإباحية لعدم تأثرها بالإسلام كثيراً  
و تعرف كلمة " الحريم " من الناحية اللغوية بقوله أنها لفظ عام يدل عند العرب على كل  
ما هو مقدس ، فإذا طبقت هذه الكلمة على منزل دلت على أمنع قسم منه و أشده حرمة  
لدى المسلم ، أي على المكان الذي تسكنه نسائه ... <sup>(٣)</sup> .

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٠٩ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

٣- نفس المرجع ، ص ٤١٣ .



ويرد جوستاف لوبون على مزاعم الأوروبيين حول وضع المرأة المسلمة ويفند هذه المزاعم بقوله : " وينسخ الأوروبيون على العموم ، أفسد الآراء حول دوائر الحريم في الشرق و يعدون دوائر الحريم دور فسق يسكنها نساء سجينات تعسّات يقضين أوقاتهن في البطالة و يلعن حظهن . وقد بينا درجة بعد هذه الأحكام عن الصحة ، ويقضى جميع الأوروبيين الذين يدخلون دوائر الحريم كل العجب من حب النساء فيها لأزواجهن و من تربيتهم لأولادهن و تدبيرهن لأمر منازلهن و رضاهن بما قدر لهن و اعتقادهن تقهقرهن إذا ما حملن عل تبديل حال الأوروبيات بحالهن ، و هن يتوجعن بإخلاص من إلزام الأوروبيات بالأشغال و بالأعمال اليدوية مع أنهن لا يعتنين إلا بأسرهن و أزواجهن ذاهبات إلى أن المرأة خلقت لهذا <sup>(١)</sup> .

وفي النهاية يوضح المؤلف صراحة إعجابه واستحسانه للطبائع العربية عند المرأة بعد تأثرها بالأخلاق الإسلامية فيقول : " وإنني أطمع أن يعتقد القارئ ، بعد وقوفه على ما تقدم ، أن مبدأ تعدد الزوجات أمر طيب ، وإن حب الأسرة و حسن الأدب و جميل الطبائع أكثر نمواً في الأمم القائلة به مما في غيرها على العموم ، و أن الإسلام حسن حال المرأة كثيراً وأنه أول دين رفع شأنها و أن المرأة في الشرق أكثر احتراماً و ثقافة و سعادة منها في أوروبا على العموم تقريباً " <sup>(٢)</sup>

و الواقع أن العرب في الجاهلية كانوا يتصرفون في شئون البنات كما يريدون ولا سيما في زواجها حيث لم يكن لها الحق في اختيار زوجها . ولما جاء الإسلام و أخذ يرفع من مقام البنات في المجتمع جعل رضا البنت البالغة شرطاً لصحة العقد عليها بحيث لا يكون لأحد – أبوها أو غيرها – أن يجبرها على الزواج بمن لا ترضاه <sup>(٣)</sup> .

فقد كفل الإسلام للمرأة كافة حقوقها في كافة نواحي الحياة الشخصية والاجتماعية ، و من أول الحقوق التي كفلها لها الإسلام حقها في استئذانها لاختيار شريك

١- نفس المرجع ، و نفس الصفحة

٢- لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٠٥

٣- د. مبشر الطرازي الحسيني ، المرأة و حقوقها في الإسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٧

حياتها و عدم إرغامها على قبول من لا ترغبه ، وهذا الحق ثابت للبكر والثيب على السواء . وهو حق مشروع في ظل الحنن : انسند الإسلامية التي تحافظ على المرأة عفافا وكرامة وإرادة في جو يحفظ عندهم غدايب ، إسلاميه ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا ننكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله وكيف إذن ؟ قال : أن تسكت... " (١) ويقول عليه الصلاة والسلام أيضا : " الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن وإذنها صمتها " (٢) ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم أحب شاب يدعى " مغيثا " فتاة تسمى " بريده " وكان الشاب ردى الوجه فلم يحظ بارتياح نفس عند بريده ولكن حبها قد ملك عليه أحاسيسه ووجدانه حتى أنه ليمشي وراءها في الشوارع من فرط هواه إياها . . . وأراد أن يوسط النبي صلى الله عليه وسلم عند بريده لترضى عنه . . . وعرض النبي صلى الله عليه وسلم أن تقبل الزواج منه فقالت : أتأمرني يا رسول الله ؟ قال : لا قالت : إني لمبغضة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس : ألا تعجب من حب مغيث بريده وبغض بريده مغيثا " (٣) .

ومما يتصل بحق المرأة في اختيار زوجها أعطاه الله الحق في تملك مهرها الذي يمنحه لها الزوج نحلة أو عطية من عند الله وتفضل منه فليس عطاء نظير عوض ولا هو ثمن ولا هدية في مقابل هدية ولكنه نحلة خالصة ترمز لما بين الزوجين من النقاء والصفاء والهناء في ود ومن سكن ممتلىء بالرحمة والحنان ، وهذا المهر الذي هو نحلة يجب أن يدخر من مصدر حلال لا يرتبط به أذى ولا منه ومن يقدمه بيد الحنان التي تجعله شهداً سلسبيلا وألا ينتظر في مقابله عوض (٤) .

وكما أعطى الإسلام المرأة الحق في اختيار زوجها ، أعطاه الخيار في البقاء معه أو فراقه عندما تسوء العشرة بينهما ، ويعز التوفيق والصلح . ولهذا شرع الطلاق لمصلحة

١ - الإمام البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ، ج ٣ ص ٣٥٠ .

٢ - الإمام مسلم ، م ٣ ، ج ٩ ، باب استئذان الثيب بالنطق والبكر بالسكوت ، ص ٢٠٤ .

٣ - د / ر عوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهد المدني و منهجها و غايتها ، ص ١٧٩ .

٤ - د / ر عوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهد المدني و منهجها و غايتها ، ص ١٨٠ .

الزوجين على سواء ، فهو وإن جعل الطلاق في يد الرجل لأنه أبعد عن العاطفة والانفعال وأقدر على التحكم في نفسه أثناء الغضب والخصام – إلا أن المرأة تملك أن تطالبه بالطلاق أو المخالعة ، كما تملك عند العقد أن تشترط عليه لنفسها ما شاءت : من السكن في بلدها أو عدم التزوج عليها بثانية ، أو أن تكون عصمتها بيدها أي تطلق نفسها من حين تشاء – على ألا يكون الاشتراط مانعاً لحق من حقوق الزوج المشروعة<sup>(١)</sup>.

ولم يجعل الإسلام الطلاق بيد الزوجة لأنها تحكمها العاطفة ، فلو كان الطلاق بيدها لأساءت استخدامه ولجازلها أن تطلق نفسها لأتفه الأمور ، أما الرجل إذا أراد الطلاق فلا يقدم عليه إلا بعد تفكير ، فلا يندفع إلا إذا رجحت لديه عوامل الانفصال ، ولو أننا جعلنا الطلاق بيد المرأة لكان في ذلك ظلم للرجل بضياء ما أنفق في سبيل هذا الزواج من نفقات مالية وإنها لكثيرة ، ولقد وضع الإسلام مسوغات لطلب المرأة الطلاق منها : عجز الزوج عن النفقة بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " امرأتك ممن تعول تقول أطعمني وإلا فارقني " ، أو إذا وجدت المرأة بالزوج عيباً مستحكماً لا يمكن البرء منه أو يمكن ولكن بعد زمن طويل ولا تقبل المقام معه : كالجنون والجذام والبرص<sup>(٢)</sup>

### الأنكحة الفاسدة التي حرمها الإسلام :-

ومن تكريم الإسلام للمرأة أنه حافظ على كرامتها بعد أن كانت بضاعة تستغل لصالح من يعولها ، فقام الإسلام بالقضاء على ألوان من الأنكحة التي منها : زواج الشغار ومعناه أن يقول الرجل للرجل زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي أو زوجني أختك فأزوجك أختي وهو ممنوع لأن المهر حق خالص لها . . . وتلك صورة مهينة حرمها الإسلام حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف : " لا شغار في الإسلام " <sup>(٣)</sup> وقول الله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال الكلبي وجماعة : إن ولي المرأة – في

١- د. أحمد محمد جمال ، مفتريات على الإسلام ، ط ٣ ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٤ .

٢- د. عفيفي طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

٣- الإمام مسلم كتاب النكاح ، باب تحريم نكاح الشغار و بطلانه ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ .

٤- سورة النساء ، آية ٤ .



الجاهلية - إذا كان زوج المرأة معهم في العشيرة أخذ المهر ولم يعطها شيئاً، وإن كان زوجها غريباً حملوها على بيعه ولا يعطيها من مهر غير ذلك فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهلها <sup>(١)</sup> كما جاء الإسلام ليعلن أن مولد كرامة المرأة مرتبطة بها كعنصر أساسي للمودة والسكن والرحمة فحرم استخدامها في البغاء فقال تعالى:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْنُوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال السدي: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وكانت له جارية تدعى "معانة" وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه فأقبلت الجارية إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره بقبضها فصاح عبد الله بن أبي بن سلول: "من يعذرنا من محمد يقلب على مملوكتنا" فإن استخدام المرأة في البغاء حتى لو كانت أمة رقيقة، مثل "معانة" يتنافى مع حقوق المرأة في الكرامة ولهذا شرع الإسلام تحريم استغلال المرأة كمصدر تمويل <sup>(٣)</sup>.

وكذلك نكاح الخدن، المذكور في قوله تعالى ﴿وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ <sup>(٤)</sup> ونكاح الخدن كانوا يقولون فيه: "ما استترفلا بأس به وما ظهر فهو لؤم" <sup>(٥)</sup>. وكذلك نكاح البدل وهو أن يقول الرجل للرجل: أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، ونكاح الاستبضاع، ويفعل ذلك رغبة في إنجاب الولد حيث كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها، أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها، فإذا تبين أصابها إذا أحب، وجاء الإسلام ليحرم هذه الأنواع وليكرم المرأة ويصون أدميتها <sup>(٦)</sup>.

١- د. رءوف شلبي، المرجع السابق، ص ١٨٢، ١٨٣.

٢- سورة النور، آية ٣٣.

٣- د. رءوف شلبي، المرجع السابق، ص ١٨٣، ١٨٤.

٤- سورة النساء، آية ٢٥.

٥- السيد سابق، فقه السنة، مجلد ٢، ط ٢، الفتح للأعلام العربي، ١٩٩٠، ص ١٢١.

٦- نفس المرجع و نفس المجلد، ص ١٢٢، ١٢٣.



# المبحث الثالث

## المذاهب والفرق الإسلامية :-

ومن الناحية الدينية ، وضع الإسلام الحرية في التفكير مما أدى إلى وجود الكثير من المذاهب والفرق الإسلامية التي لا تختلف في أصول الدين بأي حال من الأحوال . ولكن هذا الاختلاف جاء من الاجتهاد الذي منحه الإسلام لأصحاب الفكر والعقيدة وليكون هذا الاختلاف رحمة للمسلمين . هذا فضلا عن أن الدين الإسلامي قد وضع قواعد الأخلاق الكريمة .

ويتعرض جوستاف لوبون في كتابه عن الحديث عن الأسس والقواعد الأساسية للإسلام ، ومدى تأثير الإسلام في أخلاق الناس أكثر من تأثير أي ديانة أخرى ، كما تعرض بصورة موضوعية عن عدم اجترأ أحد على انتهاك حرمة الإسلام والتأثير في هذه التعاليم فيقول : " تأثير دين محمد في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر ، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنا أجل ، قد تجد بين المسلمين عدداً قليلاً من الزنادقة والأخياء <sup>(١)</sup> ، ولكنك لن ترى من يجرو منهم على انتهاك حرمة الإسلام في عدم الامتنال لتعاليمه الأساسية كالصلاة في المساجد وصوم رمضان الذي يراعي جميع المسلمين أحكامه ، وبدقة مع ما في هذه الأحكام من صرامة لا تجد مثلها في صوم الأربعين الذي يقوم به بعض النصارى كما شاهدت ذلك في جميع الأقطار الإسلامية التي زرتها في آسيا وإفريقية ، ومن ذلك أن أتيح لي أن أركب سفينة نيلية كان فيها أفراد عصابة عربية مقرنين في الأصفاء ومتهمين بأنواع الجرائم ، فقضيت العجب حين رأيتهم ، وهم الذين خرقوا جميع القوانين

١- الأخياء : في المثل خلاؤك اتنى لحيانك لأي منزلك إذا خلوت فيه الزم لمراك و أنت خلى من هذا الأمر أي خال فارغ من هم ، و هو خلاف الشجي ، وفي المثل ويل للشجي من الخلى ، والخلى الذي لا هم له الفارغ ، و الجمع خليون و أخياء . ابن مطور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١٢٥٥ .

الاجتماعية مستخفين بأقصى العقوبات ، ولم يجرؤ على انتهاك تعاليم النبي ، وحين شاهدتهم يرفعون تلك الأصفاة عنهم وقت الصلاة ليسجدوا لله القهار ويعبدوه " (١).

ورغم أن المؤلف يتكلم بموضوعية وإيجابية إلا أنه ينحرف عن الصواب من الناحية العقلانية عندما يفسر سعادة المؤمنين بالنعيم في الآخرة على أنها أوهام فيقول : "حقاً بأن مثل تلك المعتقدات يورث الجموع تبصر من خلالها نعيم الآخرة الذي لا ترى مثله في هذه الحياة الدنيا ، وهي تصونها من الوقوع في اليأس وما يجر إليه اليأس من الفتن الشديدة ، ويجب على من يستخف بتلك الأوهام أن يستخف بجميع الأوهام ليكون منطقياً فيزدرى المجد والطموح والحب وجميع الخيالات الساحرة الجديرة بالاحترام التي نقضى حياتنا وراء تحقيقها ، وهذه الأوهام أعظم عامل في سير الإنسان حتى الآن والمفكر الذي يكتشف ما يغنى الناس عنها لم يولد بعد " (٢).

ثم يستعرض المؤلف العبادات الإسلامية وأسسها مثل الصلاة وصوم رمضان ومظاهر الحياة الدينية خلال هذا الشهر ، والأعياد والمناسبات الدينية الخاصة المولد النبوي الشريف وليلة النصف من شعبان ومن الأعياد عيد الأضحى (٣). ومدى تأثير الإسلام في هذه العادات والتقاليد العربية فيقول : " وبلغ تأثير الإسلام في تلك المراسم في أدق شئون العرب مبلغاً تكون معه جميع مراسمهم أعمالاً دينية ، ومن تلك المراسم أنكحتهم وختانهم التي وصفناها في فصل سابق ، والتي ليست في الحقيقة سوى أعمال دينية ومدنية معا " (٤).

ويتناول كذلك فريضة الحج واصفاً كيفية الاستعداد لهذه الفريضة وما يتم فيها ويحلل ذلك تحليلاً دقيقاً وأنه فرض لتوثيق عرى الإخاء الإسلامي ، فالقرآن قد وصف

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤١٧.

٢- حضارة العرب ، ص ٤١٨.

٣- نفس المرجع ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ . و رأيي في هذه المناسبات أنها شرعية ، ولكني اختلف مع كيفية الاحتفالات بها وما أحدثه الناس من مختلفات و بدع ياباها شر الحنيف.

٤- نفس المرجع ، ص ٤٢١ ، ٤٢٢.

المؤمنين بأنهم جميعا إخوة . كما يتم في هذه العريضة مناقشة شئون المسلمين في جميع البلاد الإسلامية (١).

وفي حديثه عن الدراويش وأذكارهم وكيف أن الزهد والذكر يؤديان إلى ظهور الفرق الإسلامية ، ويخطئ في نظرتة إلى القرآن الكريم حيث يصفه بأنه لا يقل تشاؤما عن الإنجيل فيقول : " وتظهر الطرق الدينية في الأديان التي تميل إلى التشاؤم عادة وليس القرآن أقل تشاؤما من الإنجيل ، فالقرآن ، كالإنجيل ، يعد الحياة الدنيا طريق ابتلاء وامتحان للوصول إلى الآخرة ، وأوجب هذا ميل ذوي الورع والقلق إلى التحرر من مفسد الدنيا ودخول ملكوت السماوات بالزهد " (٢).

ويتحدث المؤلف عن الطريق الدينية وأفعالها ، وفي خلال حديثه هذا يتناول الحديث عن المباني الدينية مثل المساجد والزوايا والمدارس ، ويركز حديثه عن المسجد النواة الأولى في دولة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : " المسجد مركز الحياة الحقيقي عند العرب ، فالعرب يتخذون المسجد محلا للاجتماع والعبادة والتعليم ، والسكن عند الاقتضاء ، لا لعبادة الله فقط كبيع النصارى " (٣).

ويسهب المؤلف في حديثه عن التصميم المعماري للمساجد وكيفية الإنفاق عليها والقائمين على شئونها ، ووظيفة المساجد التعليمية وخاصة الجامع الأزهر وكيف أن الإسلام قد حرص على العلم وشجع عليه ، ويفرق بين العلماء ومن سواهم ، ويصف الصنف الآخر بالحشرات فيقول : " فالعلم الذي استهانته به الأديان الأخرى يجله المسلمون حقا ، وإلى المسلمين يعزى القول الصائب : " من البشر من يتعلمون فيعلمون ويعد من سواهم من الحشرات أو ممن لا يصلحون لشيء ولا ينفعون " (٤). كما يتحدث عن

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

٣- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

٤- نفس المرجع ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

ويعد من سواهم من الحشرات أو ممن لا يصلحون لشيء ولا ينفعون " (١). كما يتحدث عن  
مزارات الأولياء والزوايا كأماكن للعلم الديني والطرق الدينية وكذلك كمراكز للعلم (٢).  
ومن الأخلاق الإسلامية يتحدث جوستاف لوبون عن أثر الإسلام في أصول  
الأخلاق عند العرب ، وكيف أن الإسلام قد هذب المسلمين وحثهم على التمسك بأخلاق  
التسامح والسلام وعدم الغدرو هذا واضح من خلال موقف المسلمين من أصحاب  
الديانات الأخرى في البلاد المفتوحة مقارنة بموقف الصليبيين من المسلمين أثناء حركة  
الحروب الصليبية ، وأن ارتقاء الإسلام بأخلاق المسلمين رفعهم من الانحطاط والتدهور  
على عكس أصحاب الديانات الأخرى الذين لم يتمسكوا بالأخلاق والقيم والمبادئ التي  
تأمر بها الديانات السماوية وعلى رأسها الإسلام من خلال القرآن الكريم ، وقد أصاب  
المؤلف في هذه النقطة وأجاد بموضوعية وافية فيقول : " أصول الأخلاق في القرآن طيبة  
فالقرآن يأمر بالصدقة والإحسان والقرى والاقتصاد في الرغائب والوفاء بالعهد وحب  
الأقربين واحترام الوالدين وحماية الأيتام واليتامى وبما نجده مكررا فيه من درء السيئة  
بالحسنة ، وتطابق أصول الأخلاق في القرآن ما ورد في الإنجيل تقريبا " (٣).

١- نفس المرجع ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٢٨ .

٣- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٢٨ .



## المبحث الرابع

### الدين والأخلاق في الإسلام :-

ويستكمل حديثه قائلاً : " وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة ، ولا سيما الأمم النصرانية ، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة ووفائهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر ويناقض سلوك الأمم الأخرى ، ولا سيما الأمم الأوربية أيام الحروب الصليبية " (١).

ثم يستطرد في حديثه عن تأثير القرآن وأفضليته عن الإنجيل فيقول : " ولو صح أن يكون للأديان ما يعزى إليها من التأثير لوجب أن نقول إن القرآن أفضل من الإنجيل ما بدت أمم الإسلام أسمى أخلاقاً من أمم النصرانية فيما مضى ، ولكن ما قلناه من استقلال الأديان على الأخلاق يدل على انتقاء صحة هذا الاستنتاج ، فأخلاق المسلمين كأخلاق النصارى اختلفت باختلاف العوامل المذكورة صعوداً وهبوطاً " (٢).

ويدحض المؤلف زعم الأوروبيين وافترائهم على الإسلام في أنه سبب الانحطاط في الشرق فيقول : " وما تقدم يثبت بدرجة الكفاية ، فساد الرأي الأوروبي القائل أن دين محمد هو سبب ما يشاهد في بعض أمم الشرق من الانحطاط ، ورأى فاسد مثل هذا مصدره ما قيل من إبداعه لمبدأ تعدد الزوجات وما زعم من أن جبريته تحمل الإنسان على الكسل وما أذيع من أن مُحمداً لا يطالب أتباعه بغير الشعائر السهلة ، فالقارئ الذي سار معنا إلى هنا يرى درجة بعد هذه المزاعم من الصحة ، وقد رأينا أن مبدأ تعدد الزوجات كان شائعاً في الشرق قبل ظهور محمد بقرون كثيرة ، وأن جبرية القرآن ليست أشد مما جاء في كتب الأديان الأخرى ، وأن العرب إذا كانوا جبريين بسجيّتهم ، ولم تؤد جبريتهم إلى الخمول ما شادوا دولة عظيمة ، وأن أصول الأخلاق في القرآن سامية سمو ما جاء في

١- نفس المرجع ، ص ٤٣٠ .

٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ٤٣٠ .

أي كتاب ديني آخر، وهذا إلى أن القرآن لو كان عاملا في انحطاط مسلمي الشرق لوجب أن يتلفت من ذلك الانحطاط الشرقيون الذين لا يقولون بمبدأ تعدد الزوجات ولا يبدون جبريين كنصارى سوريا، ونصارى سوريا كما أجمع كل من بحث في أمور الشرق أحط أخلاقا من المسلمين بدرجات<sup>(١)</sup>.

ولم ينس جوستاف لوبون في حديثه عن النظم الحضارية والأسس والمبادئ التي قام عليها الدين الإسلامي أن يتعرض للحديث عن المذاهب الإسلامية الأربعة والأماكن التي انتشرت فيها هذه المذاهب وأولية كل مذهب من المذاهب الأربعة في أماكن معينة من بلاد الإسلام فيقول: "وقامت بذلك جماعة كبيرة من الأئمة في القرن الأول والقرن الثاني من الهجرة، واعترف بأربعة منهم هم أبو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل. وإلى هؤلاء تنسب المذاهب الأربعة التي يقتدي بها مختلف شعوب الإسلام، فأما المذهب المالكي فاتبع في إفريقيا، وأما المذهب الحنفي فاتبع في تركيا والهند، وأما المذهب الشافعي فاتبع في مصر وجزيرة العرب مع عمل المحاكم المصرية بالمذهب الحنفي وأما المذهب الحنبلي فمهجور في أيامنا<sup>(٢)</sup> ثم صار لكل واحد من هذه المذاهب الأربعة كثير من الشرائع، ومن ذلك أن كان خليل المتوفى سنة ١٤٢٢ م، شارحا للمذهب المالكي المنتشر في بلاد الجزائر، فعد كتابه الذي ترجم إلى الفرنسية مرتين إحداهم بقلم الدكتور بيرون والثانية بقلم مسيو سغنت، أهم رسالة في الفقه المالكي<sup>(٣)</sup>.

وحقيقة الأمر أن هذه المذاهب الأربعة لا خلاف بينها وبين بعضها البتة فكلها تقوم على أسس وقواعد الإسلام التي أرساها الرسول صلى الله عليه وسلم، وفسروها وشرحوها من منطلق تعريف الناس بدقائقها وتوضيحها، ولا نجد خلافا يذكر في الأسس وأما الفروع فهي ثانوية للتسهيل على المسلمين في بعض الأشياء ولإيجاد مخرج للتخفيف

١- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ٤٣١.

٢- المذهب الحنبلي ليس مهجورا كما يزعم المؤلف، فهناك بلادا كثيرة تطبقه مثل أهل الحجاز. ويدرس في الأزهر: معاهده و كلياته.

٣- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٣٨٥.

عنهم ، وانتشرت المذاهب الأربعة بين المسلمين كافة وعمل بها جميعا لعدم وجود الاختلاف بينها وبين بعضها البعض في الأصول هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية وجد في كل بلد إسلامي القضاة على المذاهب الأربعة لكل مذهب قاض ، وعلى رأس هؤلاء القضاة الأربعة وجد قاضى القضاة الذي يجمع بين المذاهب الأربعة .

وبعد ذلك يتطرق المؤلف للحديث عن الفرق الإسلامية فيقول : " يشتمل الإسلام على عدة فرق ككل دين وبلغ عدد الفرق الإسلامية ، منذ أوائل التاريخ الهجري ، اثنتين وسبعين فرقة وأكثر من هذا عدد الفرق البروتستانتية وحدها . و فرق أهل السنة وفرقة الشيعة أقدم الفرق الإسلامية وأهمها ، فأما الشيعة فيزعمون أن الخلافة لصهر النبي علي ويحترمون عليا كاحترامهم لمحمد تقريبا ، وأما أهل السنة فيرون خلافة الخلفاء صحيحة وفق ترتيبهم ، ويمثل أهل السنة الفريق الصحيح " (١) .

ونوضح هنا أن المؤلف لم يكن واعيا أو مريكا أن الاختلاف بين أهل السنة والشيعة لم يكن خلافا دينيا فكل منهما مسلم ومؤمن تماما بالدين الإسلامي ، وأن هذه الفرق تعتبر فرقا سياسية وليست دينية . كما أنه قد خلط في استخدام المصطلحات المسيحية واستخدمها للتعبير عن الفرق الإسلامية ، ومع الاختلاف الواضح والذي يبين أهداف نشوء الفرق السياسية الإسلامية ، ونشوء الفرق المسيحية التي قامت على أساس الاختلاف الديني .

ثم يتناقض المؤلف مع نفسه عندما يوضح موقف أنصار كل فرقة من الفرق الإسلامية من الفرق الأخرى ، وكيف أنهم عاشوا جانبا إلى جنب في تسامح فيقول : "وينظر بعض تلك الفرق إلى بعض بعين التسامح ، وتصلح الفرق في سوريا على الخصوص أن تكون قدوة لختلف الفرق النصرانية ، وأنت لا تجد في العالم الإسلامي محاكم مثل محاكم التفتيش ألقت لحمل أنصار فرقة على انتحال مبادئ فرقة أخرى بالحديد

١- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤١٨ .

والنار، وأنت تجد أساتذة منتسبين إلى مختلف المذاهب يعيش بعضهم بجانب بعض متفاهمين في الجامع الأزهر الذي هو أهم موائل للتعليم الديني في الشرق" (١).

ويجدر بنا في هذا المجال التعليق بنبذة موجزة عن الأئمة الأربعة ومذاهبهم لتوضيح الهدف الأساسي من نشوء وقيام هذه المذاهب، أما المذهب الوهابي فسوف نتعرض لتحليله في الباب الثاني بمشيئة الله تعالى. وقد قام فضيلة الإمام محمد أبو زهره (٢) بتحليل الأسباب التي أدت إلى ظهور المذاهب والفرق الإسلامية تحليلاً جامعاً جامعاً مانعاً فيقول: "إن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين، فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى، وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن الكريم نزل من عند الله العلي القدير، وأنه معجزة النبي الكبرى، ولا في أصول الفرائض كالصلوات والزكاة والحج والصيام، ولا في طريق أداء هذه التكليفات، ولا في أمر علم من الدين بالضرورة، وإنما الاختلاف جاء في أمور لا تمس الأركان ولا الأصول العامة.

وقد جاء هذا الاختلاف من خلال مجاورة المسلمين لكثيرين من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم في الإسلام، والتعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة، وكذلك لاستنباط الأحكام الشرعية.

وأول هذه المذاهب هو "مذهب أبي حنيفة" وصاحبه هو النعمان بن ثابت المكنى بأبي حنيفة (٣) وقد قام أبي حنيفة في وسط الظروف السياسية القائمة في الدولة الإسلامية بالاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية، وقام منهجه على الأخذ بكتاب الله وسنة رسول الله، وأراء الثقات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "إني آخذ بكتاب الله إن وجدته، فما لم أجد فيه أخذت بسنة رسول الله والآثار الصحاح التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت

١- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٤٢٠.

٢- محمد أبو زهره، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، ص ١١ وما بعدها.

٣- عبد الحليم الجندي، أبو حنيفة، ط ٣، دار المعارف، ١٩٩٢، ص ١٠.



بقول أصحابه من شئت : و أدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب - وعدة من مجتهدي التابعين وتابعيهم - فلي أن أجتهد كما اجتهدوا " (١).

وفي نفس السنة التي مات فيها أبي حنيفة ولد الشافعي وهو من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف بمحمد بن إدريس بن العباس المعروف بالشافعي وسار على نفس النهج الذي سار عليه أبي حنيفة ، وإن كان قد اختلف معه في بعض المسائل التي لا تمس أسس الدين الإسلامي (٢).

أما " مالك بن أنس " صاحب المذهب المالكي فقد تتلمذ على يد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبو بكر بن عبد الرحمن الحارث المخزومي ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، القاسم بن محمد بن أبي بكر وأصبح بعد ذلك أستاذا للفقهاء في المدينة ، وانتشر مذهبه في العالم الإسلامي (٣).

أما المذهب الرابع فهو " مذهب الحنابلة " وينسب إلى أحمد بن حنبل ، ونشأ على العلم في حلقة الإمام الشافعي ، وتنقل وراء الإمام في مكة وبغداد ومصر حتى شهد الشافعي نفسه أنه لم يخلف بالعراق رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل ، وسار ابن حنبل على نهج أستاذة حتى صار إمام المسلمين الرابع ، ولاقى الكثير من الاضطهاد من الخلفاء نتيجة تمسكه وصلابته في مواقفه تمسكا بمذهبه الفقهي والتزاما بأسس ودعائم الدين الإسلامي (٤).

١- نفس المرجع ، ص ١٥٢ ، ١٥٣.

٢- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ، ص ٣٧٧ وما بعدها.

٣- عبد الحليم الجندي ، مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٩٣.

٤- عبد الحليم الجندي ، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٥.

## الخاتمة

وأتناول في الخاتمة النتائج التي خرجت بها من الدراسة ، وكذلك التوصيات التي أوصى بها الهيئات والإدارات المسؤولة عن درء أي هجوم أو اعتداء على الإسلام والمسلمين .

### أولاً : النتائج :

نستخلص من الدراسة (العديد من الاستنتاجات) :-

١ - أن المستشرقين ومنهم جوستاف لوبون قد تعرضوا في اتهاماتهم وزعمهم للقرآن الكريم ولشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وللإسلام والفتوحات الإسلامية .

٢ - أن جوستاف لوبون قد أصاب كبد الحقيقة في تعرضه للحضارة الإسلامية معترفاً ومؤكداً على الأثر الكبير الذي تركته الحضارة الإسلامية في كافة أنحاء العالم في الشرق والغرب ، وفي كافة نواحي العلم وحتى الأخلاق والمثل .

٣ - أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسجد لصنم أو وثن قط قبل مبعثه وكذلك لم يشرب الخمر ولم يقلد العرب في تقاليدهم وعاداتهم البالية .

٤ - أن الإسلام جاء ليقتضى على كل التقاليد والعادات العربية الفاسدة ما جاء ليقتضى على عبادة غير الله سبحانه وتعالى

٥ - أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً لم يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم شيئاً من اليهود أو النصارى أو غيرهم وهذا دليل على أن القرآن لم يأت به

الرسول من التوراة أو الإنجيل ولكنه كان من عند الله سبحانه وتعالى كان ينزل عليه عن طريق الوحي بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام .

٦ - أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالعديد من زوجاته لم يكن بغرض الشهوة أو المال أو غير ذلك من رغبات الدنيا ، ولكنها كانت لأغراض دينية واجتماعية أوضحها الرسول صلى الله عليه وسلم .

٧ - أن موقف قريش من الدعوة الإسلامية كان لأهداف وأسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية خاصة بهم .

٨ - أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسى أسس الدولة الإسلامية في المدينة لتقوم على الإخاء والمساواة والعدل والتكافل والتقوى .

٩ - أن الفتوحات الإسلامية قد بدأت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدين الإسلامي الذي أنزله الله للعالمين كافة ، ولحماية وتأمين الدولة الإسلامية الناشئة .

١٠ - أن أهل الذمة الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية أصبحوا في ذمة المسلمين ولهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات وتمتعوا بكافة الحريات في كل نواحي الحياة .

١١ - أن الإسلام قد وضع أسسًا وقواعد للنظام السياسي في الدولة وكذلك النظام الاجتماعي .

١٢ - أن المرأة قد تمتعت بمزايا وحقوق في المجتمع الإسلامي لم تتمتع بها المرأة في أي من المجتمعات الأخرى .

١٣ - أن جوستاف لوبون قد تعرض بالإنكار لبعض معجزات الرسول وكذلك لبعض الأشياء في العقيدة والشريعة والتاريخ الإسلامي وفي نفس الوقت قد تعرض للكثير من الإيجابيات التي تحسب له في مجالات العقيدة والشريعة الإسلامية

١٤ - أن الدولة الإسلامية ظلت قوية مهيمنة على كل العالم طالما ظل المسلمون يحافظون على عقيدتهم و متمسكين بها ، وعندما انحرفوا عن هذا التمسك بالعقيدة و أسس الدين الإسلامي بدأت في التدهور والانحدار.

## ثانياً : التوصيات :

١ - أهمية تحقيق أو ترجمة الكتب الأجنبية ، والرد عليها خاصة إذا كانت ذاتة الانتشار مثل هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، فقد قام الأستاذ عادل زعيتر بترجمته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وعلق عليه ، وتعرض للأخذ منه ونقده أو الاستشهاد ببعض ما فيه الكثير من علماء الإسلام ، وقد قمت بتحقيقه تحقيقاً منهجياً من زاوية الدعوة الإسلامية مثبتاً ما أصاب فيه المؤلف جوستاف لوبون ، وناقداً ما حاد فيه المؤلف عن جادة الصواب سواء كان هذا الخطأ عمداً استشراقياً أم عن عدم دقة الفهم لما تعرض له من مفاهيم إسلامية . ولم أترك شيئاً في هذا الكتاب إلا وقد تعرضت لتحقيقه ونقده تحقيقاً علمياً منهجياً من خلال المصادر الأصلية للدعوة الإسلامية معتمداً على القرآن الكريم وعلومه والأحاديث النبوية الشريفة المثبتة والمصححة في كتب الأحاديث مثل البخاري ومسلم وغيرهما من سنن الأئمة العظام ، وكذلك كتب السيرة النبوية وغير ذلك من المراجع المتخصصة في الدعوة الإسلامية .

٢ - على الباحث المسلم أن يكون مرهف الحس يشعر بما يضر وما ينفع عقيدته بمعنى أن يكون دارساً متخصصاً متعمقاً في دراسة الدعوة الإسلامية وأصول البحث فيها حتى يكتسب هذه الحاسة التي لا تتوفر عند كثير من الناس ، وأن يكون غيوراً على دينه وأمه الإسلامية ولا ينخدع بأساليب المستشرقين حتى يشعر بالسوء المدسوس في العسل من خلال التلاعب بالألفاظ عندهم .



٣ - على الباحث أن يكون محباً للعلم طاعة لله عز وجل وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكون كمأ مهملاً .

٤ - إنشاء موسوعة علمية للرد على المستشرقين ومعالجة هذه القضايا بمقتضى مستويات العصر الثقافية بعيداً عن التعصب ، والتعريف الكامل والدقيق بالإسلام والحضارة الإسلامية ، وإبراز أهداف المستشرقين ومناهجهم .

٥ - إنشاء فروع للعلوم الإسلامية والفكر الإسلامي لتقوم بترجمة ودراسة إهمال ودراسات المستشرقين في كافة اللغات والرد عليها عن طريق العلماء المسلمين بدقة وطباعتها ونشرها وتوزيعها في كافة أنحاء العالم .

٦ - إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية تقوم باستقطاب الكفاءات العلمية الإسلامية من كافة أنحاء العالم الإسلامي ولا يكون لها ولاء إلا لله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

٧ - إنشاء جهاز عالي للدعوة الإسلامية يقوم بعمل دائرة معارف إسلامية جديدة وتنقية التراث الإسلامي وترجمة إسلامية لعاني القرآن الكريم وعمل حوار مع المستشرقين المعتدلين .

### **وينبثق من هذا الجهاز لجان :-**

- ١ - لجنة التعريف بالإسلام .
- ٢ - لجنة إحياء التراث الإسلامي وتنقيته .
- ٣ - لجنة الدفاع الفكري عن الإسلام
- ٤ - لجنة شئون الدعاة العالمية .
- ٥ - لجنة التعليم والتثقيف الديني والتبشير بالدين الإسلامي في العالم .
- ٦ - لجنة الإعلام الإسلامي .

# المراجع

(أ)

(١) إبراهيم سليمان عيسى : من جوانب الحضارة الإسلامية ، العدد ١٩ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٩٧ م.

(٢) إبراهيم مدكور : المعجم الوجيز ، مادة " حضر " مجمع اللغة العربية ، ١٩٩٤ .

(٣) أبو بكر الجزائري : منهاج المسلم ، بدون تاريخ .

(٤) أحمد بن حجر آل على : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الجامعة الإسلامية بالمدينة ، بدون تاريخ .

(٥) أحمد سمائلوفيتش : فلسفة الإستشراق ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

(٦) أحمد شلي :

١ - مقارنة الأديان ، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥ .

٢ - موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٧ .

(٧) أحمد عبد الرحيم السايح : يسر الإسلام وسماحته ، الأزهر ج ١٢ ، ١٩٩٩ .

(٨) آدم عبد الله الآلورى : تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ، ط ٣ ، ١٩٨٨ .

(٩) أحمد عمر هاشم : في رياض السيرة النبوية ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ .

(١٠) أحمد فريد : وقفات تربوية مع السيرة النبوية ، دار ابن خلدون ، ١٩٩٣ .

(١١) أحمد فكرى أثر الإسلام في العمارة والتحف الفنية ، أثر العرب الإسلام

بدون تاريخ

(١٢) أحمد محمد الحوفي : من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، دار نهضة مصر

بدون تاريخ .

(١٣) أحمد محمد بربري : حلف الفضول ، مجلة هـ الإسلام ، مايو ١٩٦٤ م .

- ١٤) أحمد محمد جمال : مفتریات على الإسلام ، ط ٣ ، بدون تاریخ .
- ١٥) أنور الجندي : صفحات من أمجادنا ، العدد ٥٣ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٥ م .
- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٩ .
- ١٦) أبو الأعلى المودودي : حقوق أهل الذمة ، بدون تاریخ .
- ١٧) الألوسی : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر الهربي ، ١٩٩٧ .
- ١٨) أمين أمين راشد ، قضية التفكير في الفكر الإسلامي .
- ١٩) أحمد بن علي بن حجر : هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ط ٣ ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية الإصابة في تمييز الصحابة ن ج ٧ .
- ٢٠) أحمد بن علي المقرئ : إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، ط ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- ٢١) ابن عبد الحق البغدادي : كتاب مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- ٢٢) إسماعيل باشا : هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مطبعة وكالة المعارف ، استانبول سنة ١٩٥٥ م .
- ٢٣) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، المطبعة الخيرية - مصر الكامل في التاريخ ، بدون تاریخ ، ج ١٢ .
- ٢٤) أحمد محمد علي بيومي : إتحاف المسلمين بسيرة سيد المرسلين ، مطابع ياسمين - بلبيس .
- ٢٥) ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب - مطبعة دار الفكر - بيروت .

( ب )

( ٢٦ ) البخاري :

- ١ - كتاب فرض الخمس ، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم ، بدون تاريخ .
- ٢ - كتاب الأدب ، باب الوصايا بالجار ، بدون تاريخ .
- ٣ - كتاب النكاح ، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ، بدون تاريخ .

( ٢٧ ) بكرى شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٢ .

( ٢٨ ) البلاذرى : فتوح البلدان ، ١ ، تحقيق د. / صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ .

( ٢٩ ) البهي الخولى : تذكرة الدعاة ، مكتبة وهبه ، بدون تاريخ .

( ٣٠ ) أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، مطبعة دار الريان للتراث ، بدون تاريخ .

( ت )

( ٣١ ) توفيق يوسف الراعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة العربية ، ط ١ ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٩٨٨ .

( ٣٢ ) توماس أرنولد : الدعوة الإسلامية ، ترجمة د. / حسن إبراهيم حسن ، د. / عبد المجيد عابدين إسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ .

( ٣٣ ) التهامي : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ .



( ج )

(٣٤) جاد الحق على جاد الحق : الفقه الإسلامي مروتته وتطوره ، ط ٣ ، سلسلة البحوث الإسلامية ، ١٩٩٥ .

(٣٥) جبور عبد النور : قاموس المنهل ، فرنسي عربي ، د. / سهيل إدريس ، دار العلم للملايين بيروت ، دار الأدب ، بدون تاريخ .

(٣٦) جمال الشيال : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، بدون تاريخ .

(٣٧) جمعة أمين عبد العزيز :

١ - من مصادر التشريع الإسلامي القرآن والسنة ، دار الدعوة ، بدون تاريخ .

٢ - الدعوة قواعد وأصول ، بدون تاريخ .

٣ - فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين للإمام حسن البنا ، دار الدعوة .

(٣٨) جمعة على الخولي : تاريخ الدعوة ، ط ١ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

(٣٩) جوتس سرجله : قاموس ألماني عربي ، طبع بلبنان ، بدون تاريخ .

(٤٠) جود المهدي : هدى النيرين في سيرة سيد الكونين ، ط ١ ، ج ١ ، مطبعة الإصلاح بطنطا ، ١٩٨٣ .

(٤١) جوستاف لوبون :

١ - حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، بدون تاريخ .

٢ - مقدمة الحضارات الأولى ، ترجمة محمد صادق رستم ، القاهرة ، ١٣٤١ .

(٤٢) الجهشياري : كتاب الوزارة والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

( ح )

(٤٣) ابن حزم : المحلى بالآثار ، ج ٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٤٤) د. / حسن إبراهيم حسن :

١ - تاريخ الإسلام ، ط ١٤ ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ج ١ .

٢ - الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٣ - النظم الإسلامية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٩ .

(٤٥) د. / حسين سعيد : الموسوعة الثقافية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،  
بدون تاريخ .

(٤٦) الحسيني : المرأة وحقوقها في الإسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٤٧) الحنبلي البغدادي : جامع العلوم والحكم ، ط ٥ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(٤٨) حرية الفكر وأبطالها في التاريخ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ١ ، ١٩٩٨ .

(٤٩) د. / حمدي طه : بحوث العمليات طبع في أمريكا سنة ١٩٨٦ ، ط ٣ ، باللغة  
الإنجليزية ، ص ٣٨٠ .

( خ )

(٥٠) خالد محمد خالد : رجال حول الرسول ، بدون تاريخ .

(٥١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، بدون تاريخ .

(٥٢) خير الدين الزركلي : الأعلام ، ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، بدون  
تاريخ .

( د )

(٥٣) أبو داود : كتاب الإمارة والفئ ، ج ٣ ، بدون تاريخ .

(٥٤) ابن الربيع الشيباني الشافعي : حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي  
المختار وعلى آله المصطفين الأخيار ، ج ٣ ، ط ٢ ، قطر ، مطابع  
قطر الوطنية ، ١٩٨٢ .

( ذ )

(٥٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق محب الدين أبى سعيد غمر بن غرامة العمورى ، ج ١١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

( ر )

(٥٦) الرازى : مختار الصحاح ، باب وحى ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

(٥٧) رءوف شلبى :

١ - الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغايتها ، ط ٣ ، دار القلم بالكويت ، ١٩٨٢ .

٢ - الدعوة في عهدها المدني ، بدون تاريخ .

٣ - عالمية الإسلام ، الأزهر ، ١٤٠٩ هـ .

(٥٨) ابن رشد القرطبي الأندلسي : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ٢ ، دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ .

(٥٩) رفاعه الطهطاوي : نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ، المطبعة النموذجية - الحلمية الجديدة - القاهرة .

( ز )

(٦٠) زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، لجنة التعريف بالإسلام ، ١٩٦٥ .

(٦١) زكى محمد حسن : تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة ، ط ١ ، دار الكتاب العربي السورية ١٩٨٤ .

(٦٢) الزمخشري : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج ٣ ، ط ١ ، سنة ١٣٥٤ هـ .

(٦٣) زيعزید هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وآخر ط ٨ ، بيروت ١٩٩٣ .

(٦٤) زينب رضوان : الإسلام وقضايا المرأة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

( س )

(٦٥) سعاد ماهر : أثر الحضارة العربية في العصر الإسلامي على أوروبا من الفتح

العربي حتى آخر الدولة الفاطمية ، مجلة الأمة ، نوفمبر ١٩٦٦ .

(٦٦) سعد أبو الرضا :

١ - أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية ، مجلة الأمة ، العدد ٥٧ ، ١٩٨٥ .

٢ - الآداب الإسلامية وأثرها في آداب الغرب مجلة الأمة ، العدد ٤٩ ، ١٩٨٤ .

(٦٧) ابن سعد : السيرة النبوية من الطبقات الكبرى ، م ١ ، الزهراء للإعلام العربي ،

بدون تاريخ .

(٦٨) سعيد حوي : محمد رسول الله ، بدون تاريخ ، الإسلام ، ج ٢ ، مكتبة وهبة ،

١٩٩٧ .

(٦٩) سعيد عاشور :

١ - أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، الأنجلوا المصرية ، ١٩٦٧ .

٢ - الحركة الصليبية ، ج ١ ، بدون تاريخ .

(٧٠) سهر القلماوي وآخر (الأدب) : كتاب العرب والإسلام في النهضة الأوربية

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٦ .

(٧١) السهيلي : الروض الأنف ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات

الأزهرية ، بدون تاريخ .

(٧٢) السيد سابق :

١ - فقه السنة ، ج ٣ ، بدون تاريخ .

٢ - العقائد الإسلامية ، بدون تاريخ .

(٧٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ، م ٦ ، دار الشروق .



(٧٤) سيد محمد منور سنيار : اللغة العربية و أثرها على لغات الهند ، مجلة الأمة ،  
العدد ٤٨ ، ١٩٨٤ .

(٧٥) السيوطي :

- ١ - في الجامع الصغير ، ج ٢ ، بدون تاريخ .
  - ٢ - أسباب النزول ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٨٦ .
  - ٣ - تاريخ الخلفاء ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية ، بدون تاريخ
  - ٤ - الحاوي للفتاوى ، ج ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- (٧٦) ل . أ . سيدو : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، بدون تاريخ .

( ش )

(٧٧) الشامي : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق د. / مصطفى عبد  
الواحد ، القاهرة ١٩٩٧ .

(٧٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، بدون تاريخ .

(٧٩) الشعراوي ( محمد متولي ) :

١ - الإنسان مسير أو مخير ، إعداد عبد القادر أحمد عطا ، دار التراث العربي  
بدون تاريخ .

٢ - المرأة في القرآن الكريم ، كتاب أخبار اليوم ، ١٩٩٨ .

٣ - الفتاوى ، علق عليه د. / السيد الجميلي ، دار الفتح للإعلام العربي

(٨٠) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، تحقيق أمير على مهنا وآخر ، ط ٥ ،  
دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٦ .

(٨١) الشوكاني : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، تحقيق  
طه عبد الرؤوف ، سعد مصطفى محمد الهواري ، مكتبة الكليات  
الأزهرية ، بدون تاريخ .

(٨٢) شعيب الأرنؤوط : صحيح ابن حبان بتركيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة  
الطبعة الثانية .

( ص )

(٨٣) صالح بن عبد الله بن حميد : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول  
(صلى الله عليه وسلم) ، ٢م ، مؤسسة دار الوسيلة للنشر  
والتوزيع بالسعودية ، بدون تاريخ .

(٨٤) صبري أبو الخير : الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية رسالة  
ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب بالزقازيق ، ١٩٨٧ .

( ط )

(٨٥) الطبري :

١ - جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ، ج١٣ ، دار الفكر .  
٢ - تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الثاني ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
١٩٨٧ .

٣ - تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، بدون تاريخ .  
٤ - مختصر تفسير الطبري ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، ١م ، دار  
التراث العربي بالقاهرة ، ١٤٠٢ هـ .

٥ - جامع البياني في تفسير القرآن ، ج٢٣ ، دار الجبل ، بيروت ، بدون تاريخ .  
(٨٦) د. / طه حسين : الفتنة الكبرى ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

( ع )

(٨٧) عباس العقاد :

١ - الإسلام دعوة عالمية ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٩٩ .  
٢ - أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ .



- ٣ - حقائق الإسلام و أباطيل خصومه ، دار نهضة مصر ، بدون تاريخ .
- ٤ - الإسلام في القرن العشرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون تاريخ .
- (٨٨) عبد الجليل شلي : رد مفتريات على الإسلام ، ط ١ ، ص ٥٤ - ٥٨ ، الكويت ، ١٩٨٣ .

(٨٩) عبد الحليم الجندي :

- ١ - أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .
- ٢ - مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٩٣ .
- ٣ - أبو حنيفة ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٩٢ .
- (٩٠) عبد الحليم محمود : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ .

- (٩١) عبد الحميد حمدان : طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولي ، بدون تاريخ .
- (٩٢) عبد الحليم منتصر (علوم و طبيعة) : كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، بدون تاريخ .

- (٩٣) الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٨ .
- (٩٤) عبد العزيز آل الشيخ : تاريخ نجد ، ج ١ ، بدون تاريخ .
- (٩٥) عبد الفتاح شحاتة : تاريخ العرب وعصر الرسول ، ط ٣ ، ١٩٥٤ .
- (٩٦) عبد الكريم الخطيب :

- ١ - التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته ، ط ١ ، بدون تاريخ .
- ٢ - الخلافة والأمانة ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .
- ٣ - الدعوة الوهابية ، بدون تاريخ .

(٩٧) عبد الكريم زيدان :

١ - أصول الدعوة ، ط ٣ ، ١٩٧٦ .

٢ - أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، مكتبة القدس ، بدون تاريخ .

(٩٨) عبد الله سملك : الإستشراق بين الجحود والإنصاف ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

(٩٩) عبد الله عبد الحي : التبشير والإستشراق خططاً ومنهجاً وتطبيقاً ، ط ١ ،  
دار الطباعة المحمدية ، ١٩٩٣ .

(١٠٠) عبد الله بن العباسي الجراري : تقدم العرب في العلوم والصناعات  
وأستاذيتهم لأوروبا ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، ١٩٦١ .

(١٠١) عبد الله ناصح علواني : محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها  
دار السلام للطباعة والنشر بدون تاريخ .

(١٠٢) عبد المتعال محمد الجبري :

١ - المرأة في التطور الإسلامي ، بدون تاريخ .

٢ - السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة ، بدون تاريخ .

٣ - الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى ، ط ١ ، مكتبة وهبة  
القاهرة ، ١٩٩٣ .

(١٠٣) عبد المجيد الزنداني : توحيد الخالق ، ج ١ ، جدة ، دار المجتمع للنشر ، ط ٢  
١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ .

(١٠٤) عبد المنصف محمود : دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

(١٠٥) عبد المنعم صالح العلي : تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، الإمارات  
العربية المتحدة ، وزارة العدل والأوقاف ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

(١٠٦) الشيخ / عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، مؤسسة الحلبي للنشر  
القاهرة ، بدون تاريخ .



١٠٧) عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، ط ٨ ، مكتبة الدعوة الإسلامية بدون تاريخ .

١٠٨) عرفه سالم حسن سيف الدين : دعوى تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني ، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة العدد العاشر ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .

١٠٩) عز الدين الخطيب التميمي : التآمر على اللغة العربية ، مجلة للأمة العدد ١٠ ، ١٩٨١ م .

١١٠) العسقلاني : فتح الباري ، ج ٧ ، ط ٣ ، المكتبة السلفية ، ١٤٠٧ هـ .

١١١) عطية الإبراشي : عظمة الرسول ، بدون تاريخ .

١١٢) عفيف عبد الفتاح طيارة : روح الدين الإسلامي ، ط ١٩ ، دار العلم للملايين ١٩٧٩ .

١١٣) علي على منصور : الدين وقوانين الأحوال الشخصية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بدون تاريخ .

١١٤) علي محفوظ : هداية المرشدين ، طريق الوعظ والخطابة ، ط ٩ ، دار الإعتصام ، ١٩٧٩ .

١١٥) علي فكرى : أحسن القصص ، ج ٢ ، ط ٤ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٦ م .

١١٦) علي على شاهين : دراسات في الإستشراق ورد شبهة المستشرقين حول الإسلام ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

١١٧) علي حسن الخربوطلى :

١ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٢ - الإسلام وأهل الذمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٦٩ .

٣ - العرب في أوروبا ، المكتبة الثقافية ، العدد ١٤٣ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥ م .

(١١٨) على عبد الواحد وافى : حقوق الإنسان في الإسلام ونهضة مصر ، بدون تاريخ .

(١١٩) عماد الدين خليل :

١ - المستشرقون والسيرة النبوية ، ج١ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ .

٢ - دراسة في السيرة ، دار الوفاء بالمنصورة ، بدون تاريخ .

(١٢٠) عمر عبد العزيز قریش :

١ - التعصب الصليبي ، ج٢ ، ط١ ، دار الاستقامة ، ١٩٩٦ م .

٢ - سماحة الإسلام ، ج٣ ، ط١ ، دار الاستقامة ، ١٩٩٠ .

(١٢١) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق .

( ف )

(١٢٢) فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

(١٢٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ .

(١٢٤) فؤاد محمد النادي : طرق اختيار الخليفة ، ط١ ، جامعة صنعاء ، ١٩٨٠ م .

( ق )

(١٢٥) قاسم عبده قاسم :

١ - ماهية الحروب الصليبية الأيدلوجية ، الدوافع ، النتائج ، عالم المعرفة ، العدد ١٤٩ ، ١٩٩٠ م ١١٧ القحطاني .

٢ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى : الشيخ محمد عبد الوهاب ، بدون تاريخ

(١٢٦) القاموس المحيط : ج١ ، بدون تاريخ .

(١٢٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، م ٧ ، ج ١٤ ، دار علوم القرآن ، بدون تاريخ .

(١٢٨) ابن قيم الجوزية :

١ - واد المعاد في هدى خير العباد، ج١ ، دار الريان التراث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢ - مدارج السالكين ، ج٢ ، دار البيان العربي ، بدون تاريخ .  
( ك )

(١٢٩) الكتاب المقدس : الإصحاح الثاني والعشرون .

(١٣٠) ابن كثير :

١ - البداية والنهاية ، ج٢ ، دار الفكر العربي بدون تاريخ .

٢ - تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣ - قصص الأنبياء ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ .

( ل )

(١٣١) لويس المعلوف : المنجد في اللغة ، ط ١٠ ، دار المشرق ، بيروت ، بدون تاريخ .

( م )

(١٣٢) الماوردي :

١ - الأحكام السلطانية ، بدون تاريخ .

٢ - أدب الدنيا والدين ، تحقيق حمزة النشروني وآخرون ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(١٣٣) المباركفوري : الرحيق المختوم ، مؤسسة قرطبة ، بدون تاريخ .

(١٣٤) مجلة الأزهر : ثمار من قاع الإمام محمد عبده ، ١٤١٨ هـ .

(١٣٥) مسلم : استئذان الثيب بالنطق والبكر بالسكوت، م ٣ ، ج ٩ ، بدون تاريخ .

(١٣٦) المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر، المجلد الثاني ، دار الفكر، بدون تاريخ .

(١٣٧) منبر الإسلام :

١ - العدد ٢ ، يونيو، ١٩٩٨ .

٢ - دار الإفتاء ترد على أكاذيب مكسيم رودنسون، يونيو ١٩٩٨ م، العدد ٢

٣ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، أثر كتب الملوك والرؤساء ، ١٩٧١ .

(١٣٨) ابن منظور : لسان العرب ، ج٦ ، دار المغارف ، بدون تاريخ .

(١٣٩) منيب محمد ربيع : ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها

سلسلة البحوث الإسلامية السنة الرابعة عشر، الكتاب الثاني

القاهرة، ١٩٨٣ .

(١٤٠) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ج٢ ط ٣ ، بدون تاريخ .

(١٤١) الإمام محمد أبو زهرة :

١ - تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

٢ - محاضرات في النصرانية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

٣ - أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

(١٤٢) محمد أحمد الغمراوي : الإسلام في عصر العلم، دار الكتب الحديثة، بدون تاريخ

(١٤٣) محمد أمان بن علي الجامي : أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام ، الرياض

إدارة البحوث العلمية ، ١٩٨٤ .

(١٤٤) محمد الحضري :

١ - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، دار الفكر، بدون تاريخ .

٢ - محاضرات في تاريخ الإسلام ، ج١ ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .

٣ - نور اليقين ، ط ٢٤ ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .



١٤٥) محمد البهي : الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم ، ط ٢ . مكتبة وهبة ١٩٨٠ م .

١٤٦) محمد السيد محمد يوسف : التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ط ١ ، دار السلام ، ١٩٩٧ م .

١٤٧) محمد الأنور أحمد البلتاجي : من وصايا القرآن ، ط ١ ، دار التراث العربي ، ١٩٨٤ م

١٤٨) محمد إبراهيم الفيومي : الفكر الديني الجاهلي ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ

١٤٩) محمد الغزالي :

١ - فقه السيرة ، دار الكتب الإسلامية ، ١٩٨٣ م .

٢ - إحياء علوم الدين ، م ٢ ، بدون تاريخ .

٣ - مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية ، ١٩٩٠ .

٤ - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ .

٥ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطامع المستشرقين ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٦ - مائة سؤال عن الإسلام ، ط ٥ ، دار ثابت ، ١٩٩٦ م .

١٥٠) محمد بكر إسماعيل : قصص القرآن ، ط ٢ ، دار المنار ، ١٩٩٧ م .

١٥١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ط ١٦ ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

١٥٢) محمد خليفة حسن : آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ط ١ ،

دار عين ، ١٩٩٧ م .

١٥٣) محمد رجب الشتيوي :

١ - الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة و ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

٢ - النصرانية ، دراسة مقارنة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

١٥٤) محمد رضا : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ١٥٥) محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة ، ط ٧ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
- ١٥٦) محمد بن سعيد سالم القحطاني :
- ١ - الولاء والبراء في الإسلام ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢ - الحكمة في الدعوة إلى الله ، بدون تاريخ .
- ١٥٧) محمد سليم العوا : في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ط ٦ ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٨٣ م .
- ١٥٨) محمد طلعت أبو صير : الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم ، ١٩٨٦ م .
- ١٥٩) محمد عزت الطهطاوي : التبشير والإستشراق ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ١٦٠) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج ٢ ، مطبعة عيسى الحلبي ، بدون تاريخ .
- ١٦١) محمد عبد القادر أبو فارس : السيرة النبوية دراسة تحليلية ، ط ١ ، دار الفرقان ، ١٩٥٨ م .
- ١٦٢) محمد علي الصابوني :
- ١ - شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ١٩٨٠ م .
- ٢ - التبيان في علوم القرآن ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ١٦٣) محمد عبد الله الخطيب :
- ١ - " الهجرة " مقال بمجلة الدعوة ، العدد ٤٣ ، محرم ١٤٠٠ هـ .
- ٢ - نحو جيل مسلم ، المركز الإسلامي ، بدون تاريخ .
- ١٦٤) محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، دار الشروق ، بدون تاريخ .
- ١٦٥) محمد قطب : المستشرقون والإسلام ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٩ م .

١٦٦) محمد منير الغضبان :

١ - فقه السيرة ، بدون تاريخ .

٢ - المنهج الحركي للسيرة النبوية ، الأردن ، بدون تاريخ

١٦٧) الشيخ محمد متولي الشعراوي : معنى الهجرة ، الأخبار في ٩ / ٤ / ١٩٩٩ م .

١٦٨) محمد محمود الصياد ( جغرافيا ) : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية

بدون تاريخ .

١٦٩) محمد كامل حسين ( الطب و الأقربازين ) : أثر العرب والإسلام في النهضة

الأوربية ، بدون تاريخ .

١٧٠) محمد نعيم ياسين : الإيمان ، أركانه ، حقيقته ، بدون تاريخ .

١٧١) محمد يوسف موسى : نظام الحكم في الإسلام ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

١٧٢) محمد عبد العزيز داود : القضايا الاجتماعية في ضوء النظم الإسلامية

الطاووس الذهبى مبلبليس ، بدون تاريخ .

١٧٣) محمود السيد الطنطاوي : نبينا محمد المثل العلى للإنسانية ، مجلة منبر

الإسلام ، ١٩٧١ م .

١٧٤) د. / محمود حمدي زقزوق :

١ - الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، كتاب الأمة ، بدون تاريخ .

٢ - الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ، ط ٢ ، العدد ٤٦ ، وزارة الأوقاف

القاهرة ، ١٩٩٩ م .

١٧٥) أ . د. / محمود محمد رسلان :

١ - فجر الدعوة الإسلامية ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .

٢ - الدعوة الإسلامية في مصر منذ الفتح حتى آخر عهد عمر بن عبد العزيز رضى

الله عنه .

رسالة ماجستير، مكتبة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، ١٤٠٥ هـ  
١٩٨٥ م. تحت رقم ٣٥.

(١٧٦) محمود الحويرى : مصرفي العصور الوسطى ، ط ١ ، دار عين للنشر، ١٩٩٧ م.

(١٧٧) محمود قطام: الجوانب العلمية في الحضارة الإسلامية، مجلة الأمة، العدد ٤١،

جمادى الأولى، ١٩٨٤ م.

(١٧٨) الإمام الأكبر / محمود شلتوت :

١ - الإسلام عقيدة وشريعة ، ط ٣ ، دار الشروق ، بدون تاريخ .

٢ - من توجيهات الإسلام ، ط ٨ ، دار الشروق ، ١٩٨٢ م .

(١٧٩) محمد محمود الصواف : زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهرات

وحكمة تعددهن ، دار الاعتصام ، بدون تاريخ .

(١٨٠) مصطفى محمد البسيوني : مجلة منبر الإسلام ، ١٤٢٠ هـ .

(١٨١) مصطفى الرافعي : الإسلام نظام إنساني ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العدد ١١ ، ١٩٦٤ م .

(١٨٢) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة د. / حسن

حبشي ، القاهرة ١٩٦٣ م .

(١٨٣) مؤمن بن حسن مؤمن الشلبخي : نور الأنصار في مناقب آل بيت النبي

المختار ، دار الكتب العامة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(١٨٤) موريس بوتاي : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، الفتح العربي للإعلام

بدون تاريخ .

(١٨٥) مناع القطان : مباحث علوم القرآن ، ط ٦ ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ .

(١٨٦) محمد عطية الأبراشي : عظمة الرسول .

(١٨٧) نجيب العقيقي : المستشرقون ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٦٤ م .

المفتدين



١٨٨) مصطفى العظى : مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم لعروة بن الزبير  
منشورات مكتب التربية العربي بدول الخليج .

(و)

١٨٩) وحيد الدين خان : المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ، ترجمة سيد  
رئيس أحمد الندوى ، دار الصحوة للنشر ، ١٩٩٧ م .

(هـ)

١٩٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق محمد بيومى ، ط ١ ، ج ١ ، دار الحرم  
للتراث ، ١٩٩٥ م .

١٩١) هيتشكوك و آخر : أثر العربى فى حضارة العصور الوسطى ، ترجمة قاسم  
عبده قاسم ، ط ١ ، دار عين للنشر ١٩٩٩ م .

(ى)

١٩٢) د. / يوسف القرضاوى :

- ١ - غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، بدون تاريخ .
- ٢ - الحلال والحرام فى الإسلام ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٣ - حقيقة التوحيد ، ط ٢ ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ م .
- ٤ - مدخل لمعرفة الإسلام ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٦ م .
- ٥ - ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ، ط ١ مكتبة وهبة ، ١٩٩٦ م .
- ٦ - الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد ، ط ٢ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٩ م .
- ٧ - مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، بدون تاريخ .
- ٨ - كيف نتعامل مع السنة النبوية ، ط ٢ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٩٠ م .
- ٩ - فتاوى معاصرة ، دار الوفاء .

١٩٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان .